الأدب الإسلامي

٦٩

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٦٩) ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

تأملات في الكتابة والإبداع..

د. عماد الدين خليل

أدبنا والصورة المقلوبة

د. عبدالباسط بدر

الأدب الموافق عند غير المسلمين

د. سمير عبدالحميد

اتجاهات نقدية معاصرة

د. حلمي القاعود

مذهب الفن للفن في ميزان النقد الإسلامي

د. عزالدين مختار

بسم الله الرحمن الرحيم

الذوق الأدبي

نستطيع أن نعرف الذوق الأدبي بأنه «قدرة يميز بها جمال النص الأدبي أو رداءته». وما من شك في أن الناس يتفاوتون في الذوق الأدبي كما يتفاوتون في تذوق الطعام والشراب.

ومع أن من الصعوبة بمكان أن توضع معيارية للذوق الأدبي إلا أن النقاد المعاصرين وضعوا مصطلح «الذوق السليم» ليكون معياراً تقريبياً للذوق المتوسط الذي لا يهبط إلى مستوى الذوق السقيم، ولا يرقى إلى مرتبة الذوق المتفرد. والذوق الأدبي موهبة فطرية، وهو ينمو بالثقافة وسعة الاطلاع، كما ينمو بالدربة والمران على تذوق النصوص.

وللذوق الأدبي العام أهمية بالغة في توجيه الحركة الأدبية، ويذهب الدكتور عمر الدسوقي إلى أن طغيان المادة وجفاف الحياة وفساد السلائق.. كل ذلك أدى إلى انحراف الذوق الأدبي في العالم العربي نحو الأدب الهابط والأدب الرخيص الذي يثير الغرائز، ويصور المجتمعات الشاذة، ويكتب بأسلوب سقيم بعيد عن سمات الجمال الفني، بل ربما وصل إلى الركاكة والغثاثة.

ومن المؤسف أن كثيراً من الأدباء يتملقون الذوق العام المنحرف، ويقلدهم الآخرون، وبذلك نرى انحطاطاً محزناً في الإنتاج الأدبي شعراً ونثراً، والسبب في رأي الناقد المذكور يعود إلى إهمال الذوق الأدبي العام، وعدم تعهده بالصقل والتهذيب في المنزل والمدرسة والمجتمع، مع فقدان التوجيه السديد الذي يأخذ بيد القارئ إلى ما يسمو بروحه وعقله وخلقه، ويأخذ بيد الشادين في الأدب فيدلهم على الطريق الأقوم.

ومما يضخم المشكلة أننا ندخل فيما يشبه الحلقة المفرغة، فالأدباء يتملقون الذوق العام المنحرف بإنتاجهم الهابط، والجمهور يقبل على الإنتاج الهابط بسبب انحراف الذوق العام.

ومع أن الذوق موهبة فطرية كما قدمنا، فليس هناك إنسان محروم من قدر معين من الذوق الأدبي، الذي يمكن تنميته بالتثقيف والرعاية والصقل والتهذيب والممارسة الدائبة.

فأما الثقافة فتقتضي وجود مكتبة في كل بيت شريطة اختيار الكتب الجيدة من أمهات الكتب الأدبية وعيون الشعر، مع تنمية حب القراءة الواعية الهادفة. وأما الرعاية والصقل والتهذيب والتوجيه فهي عملية مستمرة تبدأ من الآباء المثقفين لتنتهي بالنقاد المتمرسين الذين لهم دور كبير في مسيرة الأدب وتوجيهه.

ويأتي ما بين الآباء والنقاد دور المدارس والجامعات من حيث العناية بتذوق النص الأدبي، وتوجيه الأجيال إلى دراسة أدب التراث، والوقوف عند روائع الشعر القديم، والتوجيه إلى حفظ الكثير منها أو مدارستها. وفي هذا المجال تستطيع أن تسترشد بما ذهب إليه ابن الأثير من ضرورة أن يكثر (المرء) من حفظ شعر العرب لاشتماله على ذكر أخبارهم وآثارهم وأنسابهم وأحسابهم، وفي ذلك تقوية لطبعه، وبه يعرف المقاصد، ويسهل عليه اللفظ، ويتسع المذهب، ولا يستغنى عن شعر المولدين المجيدين لما فيه من حلاوة اللفظ، وقرب المأخذ، وإرشادات الملح، ووجوه البدائع».

رئيس التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (١٨) العدد (٦٩)
محرم - ربيع الآخر ١٤٣٢هـ
كانون الثاني (يناير)-آذار (مارس) ٢٠١١م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أومايعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

د. حسن الأمراني

د. محمد علي حمدالله

عبدالله سالم الحميد

رضوان سلمان

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثيا مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

– الافتتاحية: الذوق الأدبي	رئيس التحرير	١
– مذهب الفن للفن في ميزان النقد الإسلامي	د. عزالدين مختار	١١٢
– تأملات في الكتابة والإبداع..	د. عماد الدين خليل	١٤
– اتجاهات نقدية معاصرة	د. حلمي القاعود	٣٢
– في حضرة الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي	عبدالله سالم الحميد	٤٠
– نوال مهنى شاعرة الوادي..	محمد عبدالشافي	٤٤
– قراءة في كتاب: الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره...	بو بكر عبدالحليم	٥٨
– الأدب الموافق عند غير المسلمين	د. سمير عبدالحميد	٦٤
– رمز العزة (نثيرة)	جمال سعيد عبدالغفار	٧٥
❖ الورقة الأخيرة:		١١٢
– أدبنا والصورة المقلوبة	د. عبدالباسط بدر	

الشعر

– أنا والعطر	عصام الغزالي	١٣
– في البيت العتيق	د. حسن الأمراني	٢٥
– رسالة عتاب	د. محمد وليد	٣٠
– إمام المرسلين	عبدالرحمن سليم الضيخ	٣٩
– عام مضى	جميلة هادي الرجوي	٤٣
– وباب الصبح مفقود	عبدالرحمن محمد أحمد	٥٧
– موسم التفاح	مؤيد حجازي	٦٢
– الأماني والثواني	شيخموس العلي	٨٧
– شجون الحرم	رياض عقيل أبونمي	٩٣

القصة والمسرحية

– إن تسلم فذلك مهري	فاطمة محمد شنون	١٢
– هل فات الأوان؟	د. وليد قصاب	٤٩
– الكبش الأقرن	محمد زيتون	٥٤
– ديبو المنحوس	محمد زهير الخطيب	٦٨
– أمواج الحرية – مسرحية	خالد إبراهيم	٧٢
– دمعة الحياة	علي عفيفي غازي	٧٦
– ماذا أفعل؟	محمود حسين عيسى	٨٦
– استغاثة	حسني سيد لبيب	٩٤

الأبواب الثابتة

❖ لقاء العدد:		
– مع د. محمد علي حمدالله	حوار: أيمن ذو الغنى	٢٦
❖ من تراث الأدب الإسلامي		
– سفير فوق العادة	د. عبدالقدوس أبو صالح	٥٢
❖ من ثمرات المطابع:		
– تذكرة للشعراء	د. محمود فاخوري	٧٠
❖ تعقيب:		
– إلماحات فنية في ظلال قصيدة عاشق الزنبق	رضوان سلمان	٧٨
– أمره ليس بين الكاف والنون بل بعدهما	أحمد حلمي	٨٥
❖ رسالة جامعية:		
– الفنون الأدبية في مجلة الأدب الإسلامي	أحمد علي محمد	٨٨
❖ مكتبة الأدب الإسلامي:		
– منهج الأدب الإسلامي للدكتور عبدالله العريني	عرض: التحرير	٩٦
❖ أخبار الأدب الإسلامي	إعداد: شمس الدين درمش	٩٨
❖ بريد الأدب الإسلامي		١٠٨
❖ ترويح القلوب:		
– ضريبة بالإكراه	محمد سعيد المولوي	١١٠

مذهب الفن للفن في ميزان النقد الإسلامي

د. عزالدين مختار* - السودان

أخذت علاقة الشعر بالأخلاق أو علاقته بالدين مساحة مقدرة في الدرس النقدي عند العرب قديماً وحديثاً على السواء، وذهب بعض الدارسين إلى الزعم بأن الاتجاه الجمالي الفني يبدو غالباً في التراث النقدي إذا ما قيس بالاتجاه الاجتماعي، بل وصل الأمر إلى حد زعمهم أن الاتجاه الجمالي لا يكاد يختلف عن نظرية الفن للفن التي نشأت في أوربا في القرن التاسع عشر.

فقد حاول بعض الباحثين المحدثين البحث عن جذور لمذهب الفن للفن في تراثنا النقدي بوقوفهم على بعض النصوص للنقاد العرب القدامى التي تشير إلى فصل الشعر- عند تقويمه وتقديره فنياً- عن الدين أو الخلق باعتباره موضوعاً خارجاً عن هذا الإطار الفني. بناء على ذلك فقد ادعى هؤلاء الباحثون أن تراثنا النقدي قد عرف مذهب الفن للفن.

فهل هذا الادعاء صحيح؟ وما كُنه هذا المذهب في حقيقته وجوهره؟

أؤثر أن أجيب أولاً عن السؤال الثاني، ثم أعقب ذلك الإجابة عن السؤال الأول.

مذهب الفن للفن أصل عام يندرج تحته مذهب الشعر للشعر بوصف الشعر فناً من الفنون الجميلة مثله مثل الموسيقى والرسم والنحت والتصوير. وقد نشأ هذا المذهب في أوربا في أواخر القرن التاسع عشر مستنداً إلى أساس فلسفي ذاتي مثالي وبنية اقتصادية واجتماعية وفكرية وروحية جديدة حتمت هذا الأساس الفلسفي المثالي الجديد الذي كان قد رأى أن الفن تحول في المجتمع الرأسمالي إلى مجرد سلعة أو وسيلة من أجل الحصول على الشهرة والمال من ناحية، ومن أجل بث الأفكار ونشر المعتقدات وترويج الآيديولوجيات من ناحية أخرى.

فهذا المذهب في أصوله «حركة احتجاج ونقد عنيف لوضع الفن والأدب المتردي؛ لذلك نادت بالفن الخالص أو الفن الحقيقي الذي يرفض

* أستاذ الأدب والنقد بجامعة حائل- السعودية.

ارتباطه بحليف ملوث فاسد.. لذلك رفضت أن يوظف الأدب والفن في خدمة أهداف نفعية والهروب من النفعية وعدم ارتباط الأدب بأي شيء خارجي (الدين- العلم- المجتمع) يؤدي إلى عودة الفن إلى برجه العاجي، ويجعله يتبنى الجمالية المحضة، وبهذا يصبح الفن حراً»[1].

ولكن بدلاً من الاعتدال فقد فرط المذهب في الاهتمام بالمضمون أو المحتوى، وأفرط في الاهتمام بالصورة أو الشكل لاعتباره أن لا غاية للفن سوى جماله وشكله الفني، وأن لا دخل للقيم الخارجية من سياسة واجتماع وخلق ودين وتربية وفكر عند تقويمه وتقديره «فقد يكون للشعر قيمة لاحقة ثقافية، أو دينية، أو تعليمية، أو نفعية من أي نوع من أنواع النفع ولكن قيمته اللاحقة- أياً ما تكن- لا دخل لها في تقويمه؛ لأن ذلك يحط من قدر الشعر في نظر دعاة الشعر للشعر، ويقيد من حرية الشاعر، ويتنافى وطبيعة الشعر بوصفه تجربة نفسية مستقلة تتجاوز جانب الواقع المحض في نظر هؤلاء»[2].

كذلك يذهب هذا المذهب الفني حسب أساسه الفلسفي إلى أن الخير مناف للجمال ومؤثر فيه سلباً، فكل ما هو خير ونافع ومفيد ليس جميلاً جمالاً حراً وإنما هو جميل جمالاً اتباعياً، وكل شيء جميل لا يكون جميلاً حقاً إلا إذا كان لا فائدة ولا خير فيه ولا نفع له؛ لأن الجمال لا ينشد سوى الجمال فهو غاية الغايات التي يكتفى بها في الفن، فإن هي حصلت واكتشفت لا يبحث فيه بعدها عن غاية أخرى.

يمكنني أن أجمل الأصول أو المبادئ التي ينبني عليها مذهب الفن للفن في ثلاث نقاط رئيسة، ثم أناقش هذا المذهب على ضوء هذه المبادئ والأصول التي قام عليها:

أولاً: أن التجربة الفنية غاية في ذاتها.

ثانياً: أن القيمة الفنية هي التي تحدد طبيعة الفن وليست القيم الثانوية الأخرى.

ثالثاً: أن البحث عن القيم الثانوية غير الفنية يلغي القيمة الفنية أو على الأقل يقلل من شأنها.

فيما يتعلق بالأصل الأول، من الممكن للتجربة الفنية أن تكون غاية في ذاتها ولكن فقط في دائرة الفنون الجميلة. أما في مجال الشعر فلا يمكن أن تكون كذلك؛ ذلك لأن طبيعته تختلف جذرياً عن طبيعة تلك الفنون من حيث الأداة.

أداة الشعر لغة، واللغة مفردات وأساليب تنطوي على معانٍ، ودلالات، وأفكار، وتجارب، وخبرات، وقيم، ومشاعر، ومرموزات، لهذا لا يمكن للشعر أن يكون غاية في ذاته دون أن يتحمل غايات أخرى نسبة لطبيعة الأداة التي يكتب أو يبدع بها، فهي ليست عبارة عن كتل صماء كالرخام في النحت، وكالألوان في الرسم.

■ أن الشكل والمضمون يقومان على التقابل أو التوازي أو التفاصل، وهما في الحقيقة يقومان على التداخل والاتحاد والاتصال بحيث لا نستطيع النظر إلى أحدهما دون النظر إلى الآخر.

إنّ الأصل الثاني- كما هو ملاحظ- يثبت أن للفن أو للشعر قيماً أخرى غير القيمة الفنية، ولكنه يراها ليست هي التي تحدد طبيعة الفن، فكأن النظرة الفنية المتطرفة كانت نتيجة طبيعية للنظرة الموضوعية المتطرفة، وهي تلك التي يشير إليها الأصل الثالث. فإذا كانت النظرة الموضوعية تعنى بالبحث في الفن عامة وفي الشعر خاصة عن موضوعه ومحتواه وهدفه وما يقوله ضاربة بالشكل والجمال الفني عرض الحائط، فإن النظرة الفنية- في الاتجاه المعاكس- قد ألغت الموضوع والمحتوى وماهية القول، واكتفت بكيفية القول وبنيته الفنية.

من الجلي أن كلتا الرؤيتين يشوبهما قصور في التقدير النقدي؛ ذلك لأن كلتيهما رأتا أن الشكل والمضمون يقومان على التقابل أو التوازي أو التفاصل، وهما في الحقيقة يقومان على التداخل والاتحاد والاتصال بحيث لا نستطيع النظر إلى أحدهما دون النظر إلى الآخر.

بعد هذا الاستعراض الموجز السريع لمذهب الفن للفن- ولنا عودة إليه بشيء من التفصيل- أنتقل إلى التراث النقدي لدى العرب من أجل الوقوف على النصوص التي نظر إلى أصحابها على أنهم قد نادوا فيها بالفصل التام بين الشعر والدين. وسأكتفي بإيراد هذه الآراء أو الأفكار عند من اشتهر بها أكثر من غيره من النقاد العرب أمثال الأصمعي وقدامة بن جعفر والقاضي الجرجاني.

للأصمعي- عبد الملك بن قريب- مقولة مشهورة ذاعت على قلم كل باحث تعرض لمناقشة قضية «ضعف الشعر» في صدر الإسلام. نص ما قاله الأصمعي في شأن هذه القضية هو: «طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى حسان بن ثابت علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي ﷺ، وحمزة وجعفر رضي الله عنهما وغيرهم، لان شعره وطريق الشعر هي طريق الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة.. فإذا أدخلته في الخير لان»[٣].

فهمتُ هذه العبارة أن الأصمعي لم يدع إلى الفصل بين الشعر والدين، وإنما أقام موازنة بين شعر حسان في الجاهلية وشعره في الإسلام خاصة في باب الخير (المراثي)، ليصل من خلال هذه الموازنة- البرهان أو الدليل إلى النتيجة التي قرر في مفتتح كلامه وفي مختتمه ألا وهي أن طريق الشعر إذا أدخلته في باب الخير لان.

في اعتقادي أن الأصمعي لم يفصل بين الشعر والدين، ولكنه أراد أن يبين تأثير الإسلام في الشعر، ولاسيما الشعر المتصل بالمعاني والموضوعات الدينية حيث أضفى على الشعر ليناً في صياغته وأسلوبه لم يكن معهوداً من قبل في الشعر الجاهلي. وبهذا يبدو لي أن الأصمعي يكون قد ربط بين الشعر والدين موضحاً أثر الثاني في الأول وتأثر الأول بالثاني، ولم يفصل بينهما البتة كما توهم آخرون؛ وذلك لأن الفصل بينهما من شأنه أن يلغي تأثير أحدهما في الآخر أو تأثره. ومن هنا فإن ثمة فرقاً كبيراً بين فصل الشعر عن الدين والتأثير السلبي- كما هو مدعى- للدين في الشعر. فهما- إذن- قضيتان مختلفتان جذرياً، ولكن مع ذلك يكثر الخلط بينهما عند لفيف من الباحثين.

على أن الأصمعي في الحقيقة يفصل أو يميز بين طريقين في الشعر: طريق الليونة وطريق الفحولة. يتمثل الطريق الأول في باب الخير من مراثي النبي ﷺ وصحابته. في حين يتمثل الطريق الثاني في

وصف الديار والرحيل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء. فكأن هذه الموضوعات في رأي الأصمعي لا تدخل- فيما يبدو- في باب الخير، وهو ما ليس بصحيح على الحقيقة، إذ الهجاء وحده هو الموضوع الذي لا يدخل في باب الخير إذا ما فهمنا الخير على أنه الوجه المقابل للشر.

ثم بناء على ذلك، هل خلا شعر حسان في الإسلام من الهجاء حتى نقول بليونته كله لدخوله في باب الخير؟

إن الإجابة عن هذا السؤال هي النفي بطبيعة الحال؛ ذلك لأن الهجاء كان يعد الغرض الذي تخصص فيه حسان وبرع، خاصة وهو يتوجه به إلى معسكر الشرك بتشجيع من الرسول ﷺ، فلا ريب في أن هذا التشجيع النبوي الكريم كان سبباً في أن يزداد الهجاء عند حسان قوة وفحولة لا ضعفاً وليونة. فمن الغلو- إذن- أن نقول مع الأصمعي: إن هجاء حسان في الإسلام ما عاد هو هجاءه في الجاهلية، إذ أصيب بالضعف بعد القوة، وبالليونة بعد الفحولة، وذلك بسبب الإسلام ودعوى الخير الذي دخل فيه شعره جملة.

أما قدامة بن جعفر فقد صرح بالفصل بين الشعر والأخلاق وذلك حين يقول: «وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح والعضيهة، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى النهاية المطلوبة.. إلى أن يقول: وليست فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب مثلاً رداءته في ذاته»[٤].

من خلال هذا النص يبدو أن قدامة كان صريحاً في الدعوة إلى الفصل التام بين الشعر والأخلاق في مجال نقد الشعر وتقويمه فنياً؛ وذلك لأن الشعر غير الأخلاق في أنه لا يقوّم من حيث الموضوع أو المضمون أخلاقياً كان المضمون أو غير أخلاقي، وإنما يقوّم من حيث طريقة تناول هذا الموضوع أو ذاك، ومن حيث كيفية التعبير عن هذا أو ذاك الموضوع بصورة فنية جيدة مراعى فيها

■ من المسلم به أن نظرية الفن للفن قد تسربت مع ما تسرب إلى عالمنا العربي الإسلامي فلقيت أنصاراً وأتباعاً ودعاة في العصر الحديث ينطلقون من منهجها ويتبنون فلسفتها دون أن يتفقوا على حقيقة النظرية في غورها الباطن.

شروط العمل الشعري من تصوير وأسلوب فني موحٍ مؤثر في نقل التجربة الشعورية المعبر عنها إلى الآخرين بغض النظر عن طبيعة الموضوع ونوعه.

ومع التسليم بصحة رأي قدامة وجودة ما مثل به لا يبقى شيء يؤخذ عليه- على حد تعبير بدوي طبانة- سوى تغاضيه عن مهارة النجار أو الشاعر أو الفنان في اختيار المادة التي يصنعها، وانتقاء ما هو جيد فيها حتى يناسب الذي اختاره وانتقاه فضل مهارته، ومظهر عبقريته حتى تناسب جودة الأداء جودة البناء ورسوخ الأرض التي أقيم عليها»[٥].

لكن إذا ما علمنا أن مفهوم الشعر عند النقاد العرب عامة وعند قدامة خاصة عبارة عن صناعة، تجلى لنا أن المعاني أو الموضوعات- باعتبارها ماهية القول- ليست بذات قيمة في ذاتها سواء أكانت حميدة أو ذميمة، وأن ما له قيمة حقيقية في نقد الشعر هو فقط آلية القول التي يعبر بها عن تلك الموضوعات والمعاني أو هو كيفية صياغتها صياغة فنية محكمة وهو الجانب الذي مال إليه قدامة بسبب مفهوم الشعر عنده، الأمر الذي يفسر لنا رأي قدامة في فصله بين الشعر والموضوع أو المعنى غير

الأخلاقي، أو بعبارة أدق في اهتمامه بآلية الشعر وصياغته وشكله بوصف الشعر صناعة وهي بلا شك تعنى بجانب الشكل من العملية الشعرية.

فنحن حين نحكم على المعنى- على ضوء رأي قدامة- أو نميز جيّده من رديئه لا نفعل ذلك باعتباره معنى أخلاقياً« وإنما باعتباره معنى شعرياً في المحل الأول. وما دمنا قد حددنا تمييز جيد المعنى الشعري من رديئه على هذا المستوى فعلينا أن نعود إلى مفهوم الصناعة الشعرية ونميز ما تنطوي عليه من ثنائية بين شكل ومادة... لنرى- في النهاية- أننا لا نحكم على المعنى بمادته وإنما بالصياغة التي تصاغ بها المادة أو تتشكل من خلالها. وطالما أن قيمة المادة تتحدد بالصورة التي تكون عليها، فعلينا أن نبحث عن القيمة الشعرية للمعنى في صورته أو تشكيله داخل العناصر التي يتآلف معها في الصياغة الشعرية، ومن ثم نبحث عن الإتقان في الصنعة أو وصول الشاعر إلى أقصى غاية الجودة في تشكيل معناه في صورة بعينها»[٦].

ثم يأتي في هذا الصدد منادياً بعزل الدين عن الشعر القاضي الجرجاني حيث يقول في مؤلفه «الوساطة»: «فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ومن تشهد الأمة عليه بالكفر... ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»[٧].

■ هذا الفصام النكد بين الدين والفن كان داعياً من دواعي الأدب الإسلامي الذي يبغي أنصاره تصحيح هذا الفهم المغلوط للعلاقة بين الفن والدين.

بداية لابد من التنويه بأن القاضي الجرجاني قد ذكر نصه السابق في معرض الدفاع عن شاعرية المتنبي على الرغم مما له من بعض أشعار يشم منها فساد العقيدة؛ لأن فساد العقيدة عند الجرجاني لا ينفي شاعرية الشاعر وبراعته الفنية، ولو كان الأمر كذلك لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين؛ ذلك لأن أبا نواس يفوق في تجاوزاته العقدية المتنبي.

كذلك يظهر أن الجرجاني لم يقصد الاعتراف للشعر بأن يصادم العقيدة، وأن يعاند القيم وهو قد عرف بالورع والتقوى والتدين والاعتدال، وإنما قصد الإقرار بقدرة الشاعر الفنية وبراعته الشعرية ولو كان فاسد الاعتقاد. فالقاضي الجرجاني في نصه الآنف الذكر: «يفرق بين القدرة على إبداع الشعر- بل والتفوق فيه- وعقيدة الشاعر، وأنه يقصد إلى أن الحكم على براعة الشاعر وموهبته يتجرد عن كل القيم غير الفنية ولا يأخذ في الاعتبار ملته ومذهبه. وهذه حقيقة لا جدال فيها. فهناك شعراء مبدعون في جميع الديانات والمذاهب وهناك شعراء مقصرون... وليس ثمة ارتباط بين معتقد الشاعر وموهبته، فالموهبة ملكة موزعة في أبناء آدم على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم ومعتقداتهم»[٨].

من هنا، وفي هذا السياق حتى نفهم رأي الجرجاني فهماً كاملاً، لابد من أن نفرق بين أمرين من الأهمية بمكان: الأول الدين حين يكون وصفاً للشاعر أي حين يكون ديانة الشاعر وعقيدته، والثاني الدين حين يكون موضوعاً للشعر. وإذا كانت الرؤية في الأمر الأول قد انجلت وضوحاً فإني أقول في الأمر الثاني: إن الدين حين يكون موضوعاً للشعر فهو حينئذ يعالج على مستويين: مستوى العلاقة الإيجابية بينهما، ومستوى العلاقة السلبية.

فأما في المستوى الأول فينبغي ألا ينظر إلى مجرد

طبيعة هذه العلاقة بين الدين والشعر لئلا يتحول الشعر إلى تقرير ومباشرة وخطابية إذ لابد من مراعاة الشروط الفنية التي يجب أن تتوافر في الشعر حين يتصدى لمعالجة قضايا دينية أو حين يتناولها من خلال تصور ديني. وفي ظني أن هذه العلاقة الإيجابية بين الشعر والدين كانت وما تزال هي المحك الحقيقي الذي يجابه الأدباء الإسلاميين.

وأما في المستوى الثاني فيجب ألا ينظر إلى مجرد الفنية الموحية التي عُبّر بها عن موضوع الدين تعبيراً سلبياً بحيث ينال من الدين باسم الفن والجمال، وبحيث يُراد منا أن نغض الطرف عن هذا النيل من الدين، وأن نكتفي بتملي جمال الشعر وبنائه الفني الذي أجاد التعبير بصورة فنية عالية (التكنيك) عن الاستخفاف بالدين، وأن نراه موضوعاً لا قيمة له في الحساب الفني الشعري.

هذا باختزال شديد موجز قضية العلاقة بين الشعر والدين، أو الأخلاق في تراثنا النقدي.

فهل حقيقة أن ما ذكر آنفاً من نصوص وأقوال وآراء بشأن هذه القضية يمكن أن يعد في الصميم من نظرية الفن للفن إلى الدرجة التي يذهب فيها أحد الباحثين إلى أن يقول: «إن نظرية الفن للفن أساسية وطبيعية في الفن العربي لا في الفن التصويري فحسب، بل في الفن القولي كذلك»[٩].

في تقديري، أن هذا الحكم حكم مطلق تعوزه الدقة والموضوعية ومن ثم فهو يستفز الباحث للرد عليه في المحاور الآتية:

أولاً: إن مذهب الفن للفن بشهادة ذات الباحث كان نتيجة لتطور فلسفي ضخم فهو مذهب قائم على أساس فلسفي مدروس. أما الفن العربي فلم يكن نتيجة لتطور فلسفي، فكيف يتأتى لنا القول: إن نظرية الفن للفن أساسية وطبيعية في الفن العربي مع أنه لم يكن مستنداً في الأصل إلى أساس فلسفي؟!

ثانياً: إن هذه النظرية الجمالية الفنية المحضة لم يكن مجمعاً عليها بين النقاد العرب القدامى حتى يتسنى لنا في سهولة ويسر أن نقرر بأن النقد العربي قد عرف مبادئ مذهب الفن للفن، وإنما هي في الحقيقة نظرة اتجاه نقدي يقابله في تناقض واضح اتجاه نقدي آخر يستند إلى النقد الأخلاقي أو الموضوعي، وخير من يمثله الباقلاني.

ثالثاً: النقد الشعري القديم عند العرب لم يشر إلى تهميش المحتوى والتركيز على الصورة أو الشكل لا من بعيد ولا من قريب، ولكنه كان معنياً بالمعنى غير الأخلاقي فحسب بوصفه أمراً لا يؤدي إلى التقليل من شأن القيمة الفنية للعمل الشعري. إذن فإن حديثه هنا ليس مطلقاً، وإنما هو مخصوص بالمعنى غير الأخلاقي. أما نظرية الفن للفن فهي لا تعنى بالمعنى أو المحتوى أياً كان لونه، كما أنها لا تجعل منه مقياساً للحكم على العمل الفني؛ ذلك لأنه غير داخل في الحساب، إذ القيمة كل القيمة لجانب الصياغة أو الشكل وحده.

رابعاً: إن القول بأن تراثنا النقدي قد عرف نظرية الفن للفن يعني فرض رؤية وهمية- لا وجود لها- على النصوص النقدية التراثية أو استنطاق هذه النصوص بما

ليس فيها فكأننا بهذا نعمل على تأسيس شرعية الحاضر وليس شرعية التراث النقدي.

من المسلم به أن نظرية الفن للفن قد تسربت مع ما تسرب إلى عالمنا العربي الإسلامي فلقيت أنصاراً وأتباعاً ودعاة في العصر الحديث ينطلقون من منهجها ويتبنون فلسفتها دون أن يتفقوا على حقيقة النظرية في غورها الباطن. فليس من الحكمة في شيء «أن نأخذ من أحد شيئاً دون أن نعرف أصل ذلك الشيء وفصله، وقد يتطلب ذلك منّا أن نعرف أصل معطيه وفصله أيضاً»[١٠].

لقد حسب بعض الناس- وكثيرٌ ما هم- أن نظرية الفن للفن تنحصر في الاهتمام بالشكل دون المضمون، أو تفضيل الجمال الفني الخالص على أية غاية أخرى من غايات الفن، ذلك أن الفن غايته في ذاته.. كل ذلك صحيح ولكن في ظاهرها. أما في باطنها فإن نظرية الفن للفن لا تنحصر في تلك القشور السطحية وإنما هي أعمق من ذلك بكثير، إذ ترمي هذه النظرية من حصر غاية الفن في جمال التعبير إلى فصل الفن عن الأخلاق؛ لأنه في نظر دعاتها أن لا علاقة بينهما البتة، وذلك استناداً إلى حرية الفنان المطلقة، ولما كانت الأخلاق من صميم الدين فهذه النظرية في حقيقتها تقوم على فصل الفن عن الدين أي تقوم على علمنة الفن.

إن مبدأ فصل الفن عن الدين يعد الأصل الذي تستند إليه نظرية الفن للفن التي ينتهز دعاتها- بحصرهم غاية الفن في شكله الجميل- الفرصة للاستخفاف بالدين والاستهتار بالأخلاق بواسطة التعبير الفني في حرية كاملة عن الجنس والانحراف والمجون والانحلال والإلحاد، حيث يمكن بهذا لأصحاب هذه النظرية أن ينالوا من الدين والأخلاق باسم الفن والجمال. فهم يريدون منّا أن نغض الطرف عن هذا الاستخفاف بالأخلاق والدين، ونكتفي بتملي جمال الشعر وبنائه الفني الذي أجاد التعبير عن هذا الاستهتار بالدين والأخلاق وهو كموضوع لا قيمة له في حساب الفن حسب وجهة نظرهم.

هذا الفصام النكد بين الدين والفن كان داعياً من دواعي الأدب الإسلامي الذي يبغي أنصاره تصحيح هذا الفهم المغلوط للعلاقة بين الفن والدين فإن«الخصام الذي نشب بين الدين والفن خصام خارج على طبيعتهما السمحة، وصدرهما الرحب. ومهما قيل في هذا الخصام فإنه لا يخرج عن كونه نتاج ظروف تاريخية قاسية وأخطاء فردية وجماعية تشابكت ملابساتها المختلفة. ونشوب هذا الخصام أدى إلى معركة اعتدي فيها على كرامة كل من الطرفين: فقد اتهم الفن بالمروق والجنوح إلى التحلل والإباحية تحت شعارات الحرية الزائفة، واتهم الدين بالجمود ومساندة القوى الرجعية وتقديس القديم بما فيه من غث وثمين»[١١].

ولعل هذا الخصام المدعى بين الدين والفن يرجع إلى أن المؤمنين بحقيقة هذا الخصام يرون أن الدين قيدٌ يحد من حرية الفن والفنان معاً، تلك الحرية التي تُعد من أهم شروط الفن. بيد أن هذا الفصام النكد بين الدين والفن كان- في حقيقته- نتيجة ثورة العلم على الكنيسة- رمز

الدين في أوربا، تلك الثورة التي عملت على فصل العلم عن الدين، وعلى فصل السياسة عن الدين، وعلى فصل الاقتصاد عن الدين، بل فصلت على المستوى العام الحياة عن الدين، تحت اسم العلمانية، ثم سحبت شعارها على الفن- باعتباره مجالاً من مجالات الحياة- ففصلت بينه وبين الدين داعية إلى نظرية الفن للفن.

بناء على ذلك، فمن الطبيعي أن يكون هذا الفصل بين الدين والفن أو الأدب «صحيحاً بالنسبة للأدب الغربي والمجتمعات الغربية والنفس الغربية، ولكنه ليس صحيحاً ولا ميسوراً بالنسبة للأدب العربي والمجتمعات الإسلامية والنفس العربية، بل إن هذا الفصل غير ممكن في واقع النفس الإنسانية؛ لأن النفس الإنسانية وحدة لا تتجزأ، والدين والأدب كلاهما يصدران عن هذه النفس ويتجهان إلى هدف واحد هو تنظيف الوجدان الإنساني وبناء الضمير على أساس سليم»[١٢].

وأما مبدأ أن الجمال وحده غاية الشعر والأدب والفن، فحتى هذا المبدأ لا يثبت عند التمحيص؛ ذلك لأن «الفن والأدب يفرض الاتصال، والاتصال يفرض الارتباط بأهداف أخرى منفصلة»[١٣]، هذا من جانب.

والأدب- من جانب آخر- تعبير أداته الأولى اللغة، واللغة ألفاظ، والألفاظ معانٍ ودلالات وأفكار وعواطف، فليس من المعقول إذن أن يُنظر إلى القيمة الجمالية متمثلة في تعبيره الموحي الجميل دون أن ننظر إلى قيمة الموضوع أو الفكرة أو التجربة التي تدفع إلى التعبير الأدبي حيث لا وجود لتعبير أدبي بلا موضوع أو تجربة أو فكرة «فالصياغة الفنية.. هي عنصر أساسي من عناصر الأدب لا يستغني عنه الأدب ولكنه لا يكتفي به، فمن خلال الصياغة الفنية هذه نعرض قضية أو موضوعاً تكون الصياغة الفنية وغيرها من عناصر الأدب عملت لأجل هذا الموضوع أو تلك القضية.. فالموضوع الأدبي لا يأتي ثمرة اختيار عادي ولكنه يكون ثمرة تفاعل في ذات الإنسان في فطرته وطبيعته وكيانه»[١٤] ■

الهوامش:

(١) د. شكري عزيز الماضي «في نظرية الأدب» دار الحداثة، لبنان- بيروت، ط١، ١٩٨٦م، صـ٦٧.

(٢) د. محمد غنيمي هلال «النقد الأدبي الحديث» نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠١م، صـ٤٥٤.

(٣) المرزباني «الموشح» المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٣هـ، صـ٥٩.

(٤) قدامة بن جعفر «نقد الشعر» دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، صـ٦٥-٦٦.

* لا نسلم مع الباحث في صحة رأي قدامة ولا سيما في مساواته بين المعاني، وأن فحاشة المعنى لا تزيل جودة الشعر. (التحرير)

** لا نسلم للباحث بذلك أيضا، فكون الشعر صناعة عند النقاد العرب لا تعني أن المعاني عندهم لم تكن بذات قيمة، انظر كتاب: النقد العربي القديم: نصوص في الاتجاه الإسلامي والخلقي للدكتور وليد قصاب » لترى عشرات النصوص في نقد المعاني دينيا وخلقيا وغير ذلك.

(٥) د. بدوي طبانة «قضايا النقد الأدبي» دار المريخ، الرياض، ط١، ١٩٨٤م، صـ٧٣.

(٦) د. جابر عصفور «مفهوم الشعر- دراسة في التراث النقدي» دار التنوير، بيروت- لبنان، ط٣، ١٩٨٣م، صـ٨١-٨٢.

(٧) القاضي الجرجاني «الوساطة بين المتنبي وخصومه» دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٤م، صـ٦٤.

(٨) د. عبد الباسط بدر «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي» دار المنارة، السعودية- جدة، ط١، ١٩٨٥م، صـ١٤٠.

(٩) د. عز الدين إسماعيل «الأسس الجمالية في النقد العربي» دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م، صـ٣٣٥.

(١٠) د. شكري محمد عياد «المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين» عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٧٧، ١٩٩٣م، صـ١٤٧.

(١١) د. نجيب الكيلاني «الإسلامية والمذاهب الأدبية» مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٣م، صـ٢٠.

(١٢) د. أنور الجندي «خصائص الأدب العربي» دار الكتب اللبناني، مؤسسة خليفة للطباعة، ط٢، ١٩٨٥م، صـ٤٢٦.

(١٣) د. شكري عزيز الماضي «في نظرية الأدب» صـ٦٩.

(١٤) د. عدنان علي رضا النحوي «الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته» دار النحوي، الرياض، السعودية، ١٩٨٧م، صـ٤٣.

إن تسلم فذلك مهري

«من رسائل أم سليم
إلى مسلمات القرن الواحد والعشرين»

فاطمة محمد شنون - سورية

كانت الأيام ملأى بكل جديد، وكان موسم الحج من كل عام نافذة على منابع النور في أم القرى، نتنسم عبرها أخبار الحق الذي يتطاول الباطل بكل جبروته لينال من حملته، فما يزيدهم إلا إيمانا وتثبيتا.

كانت سماء يثرب تبدو لي أرحب، ورمالها أبهج، ونخيلها أنضر.. لمست بيدي الروح النقي الذي يتضوع في الفضاء وفي القلوب، وأنا أتقلب في نعميَي: ضياء الحق، وطفولة أنس الساحرة. وكان أنس أجمل غلمانٍ يثرب، وقد دعوته «رَجُلي» منذ أن هجر الثدي، وبات هاجسي أن أضيف إلى حسن صنعة الله في خلقه حسن التهذيب والتثقيف لعقله، فاتخذته في وحدتي صديقا وندا، أحاوره، وأفتح مصاريع قلبه وعقله بلا حدود على هذه الدنيا الجديدة التي نذرت نفسي لإعداده لها. وعهدت به إلى معلم ليتم مهمتي بتعليمه الكتابة... لكأنها خطوات كانت توجه من وراء الحجب، استسلمت إليها بحدس المؤمن المخلص، وربما بتدبيره الذي يمليه روح الهدى وعشق الحق.

وكانت ثم نعمى أخرى تنبت في وهاد القلب بصمت وصبر، وتتلمس الطريق إلى النور بين الظلال الكثيفة لأرواح الإيمان والأمومة.. كان ذلك أبا طلحة... ذلك النجاري ذو الصوت العميق الرخيم الجهير، البادي القوة والطيبة، الناطق الخطوة والهمة بشجاعة معجبة. وجاءني يوما يقول: ها قد ترك أنس الثدي، وجلس مجالس الرجال، وأنا بك راغب يا رُميصاء...

وما كان لمثل أبي طلحة أن يرد، فلم أقطع ولم أجب. وجلست يومها إلى أم سليم... استخرجت المرأة التي ذهلت عنها زمنا..

يا أنا... أيتها المرأة التي أكرمها الله بقلب أحبه، وهيأ لها أن تنسلخ في آخر لحظة عن قافلة الظلام، وتجتاز بمعجزة

برزخ الضياع إلى عتبات النور المبين محتضنة طفلها الذي آلت لتجعلنه للنور بصيرا، فأرضعته الإيمان، وعلمته الخطوات الأولى في طريق الحق، وأعدته لحمل رسالته إلى غد ينتظر حملة هذه الرسالة بفارغ الصبر...

يا أم سُلَيم.. ها قد ضربت جذور غرستك الأولى في الأرض، وها هي ذي قرة العين وفرحة القلب، ولا خوف بعد عليها، فهلمي الساعة إلى شجرة طيبة أخرى فهزي إليك بجذعها باسم الله عسى أن تساقط عليك رطبا جنيا.

رسالة الأم، ورسالة الزوج.. قدر المرأة أن تنضح جسدا وقلبا ويدا... قدرها أن تصنع الحياة، وأن تلد من يصنعون الحياة.

راح كلانا يراقب الآخر.. كان يتحين الفرص ليكرر طلبه، ولم يُفدِني أن يسلم من أجلي، فأنا أعرف مبلغ ما فيه من الخير، وأنا على يقين أن الأرض الطيبة تحمل شوقا فطريا إلى طيب الغرس:

يا أبا طلحة... يسوؤني أن يسجد مثلك لخشبة نجرها قين..

يا أبا طلحة... أنت أجل من أن تعبد حجرا مهينا...

يا أبا طلحة... أنا مسلمة، وأنت مشرك، ولا تحل لي..

ولم يكن صعبا أن يدرك أبو طلحة مرادي، كما لم يكن سهلا أن يستجيب، وكما لم يكن ممكنا أن أيأس. ورحت أتشبث بكل موقع أصل إليه، وأعده لخطوة تالية إلى موقع أعمق، من وجدان هذا الرجل الكريم. وكأن الحق الذي ماهى الفكر والقلب كان يهتف بي، قبل أن أسمعها من سيد الخلق: لأن يهدي بك الله هذا الرجل خير لك من الدنيا وما فيها! واستبدت بي تلك الفكرة، فكانت مفتاح القلب والذهن:

يا أبا طلحة... إن تسلم فذلك مهري!

وجاءني أبو طلحة ذات موسم شوق يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

ولم أزل إلى يومكنَّ هذا أزهو بكوني أغلى نساء الدنيا كلهن مهرا.. أنا أم سليم، تزوجت بـ(أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله) فصنعت من ذاتي المرأة التي أردت، بعد أن صنعت منها الأم التي أردت. ولم يكن ولائي لنور الحق ليرضى بأقل من ذلك.

ووجدتني، وليس بيني وبين تمام نعمة الله عليه إلا عبارة غالبها الدمع، فغلبت الدمع:

يا أنس... قم فزوج أبا طلحة!

أنا .. والعطر

عصام الغزالي- مصر

فلا والله.. ما أطربتُ كالأطيارْ
ولا أدَّيتُ ما أدَّتْ من الأدوارْ
فهل منَّت.. وآذتنا بالاستكبارْ؟

* * *

وهل أدَّيتُ حق الريح والأمطارْ؟!
وحق اللونِ للأصدافِ والنُّوَّارْ؟!
وهل أدَّيتُ حق الظلِّ للأشجارْ؟!
وحقَّ الشمسِ في الإشراقِ للأبصارْ؟!
وهل وفَّيتُ حق الحسنِ للأقمارْ؟!
وحقَّ اللفتةِ انسلت من الأستارْ؟!
بما للأعين الدعجاءِ من إبهارْ؟!

* * *

وَجَدتُ الكونَ مجبولا على إيثارْ
أأرضى أن تُثيبوني عن الأشعارْ؟!
ويُرضى وزنُ ما غنيتُ بالأسعارْ؟!
بكمْ تشرونَ فوتَ النفسِ في المزمارْ؟!
أبالليرات؟!.. أم بالفلس والدينارْ؟!

* * *

أنا والعطرُ: مخلوقان لا نختارْ
وموهوبانِ للزوَّارِ والسمَّسارْ
خذوا منا اشتباك الروح في الأوتارْ
ورُدُّوهُ إلى الذكرى بالاستغفارْ

* * *

تأملات في الكتابة والإبداع

(حلقة من السيرة الذاتية)

د. عماد الدين خليل - العراق

◁◁ البحث عن اللغة..

أتوق، أحياناً، وأنا أحترق بنار التجربة، أن أجد اللغة التي تحمل صوتي إلى الآخرين.. أن أعثر على صيغة ملائمة للخطاب.. لإخراج النار التي تئزّ في جملتي العصبية لكي أشعل بها وجدان الآخرين.

هذا هو جوهر المأساة التي عاشها جلّ الشعراء والفنانين، إنهم لم يجدوا القدرة على صياغة لغة معادلة تماما للخبرة بكل خلفيّاتها، ومكوناتها، وألقها، وهديرها، وتوقها للمجهول.

أن يستحيل المجهول لديهم إلى معلوم، وأن يصير الحلم واقعاً.. وأن يتشكل الهيولى بقوة الحرف، قبالة الحسّ البشري واضحا، نقياً، متألقاً، كالبلّور..

فضاع بعضهم، ضاع في الغموض، دخل، أراد أم لم يرد، دنيا الضباب والألغاز.

بعضهم الآخر، وبصعوبة بالغة، أو بالأحرى بنوع صعب من التضحية، فك ارتباطه بالأعماق، وغادر إلى السطح، أو قريب منه، لكي يجد اللغة السهلة التي تعبر عن الطبقات الأقرب إلى السطح، فتضحّل.. وضاع..

مشكلتي كانت البحث عن اللغة التي تخرج بي بعيداً عن هذا المصير أو ذاك.. لغة الوضوح العميق أو العمق الواضح.. خمسون سنة وأنا أبحث وأنقّب عن اللغة الحلم.. اللغة المستحيلة.. ولقد أوقعني هذا في حشود من الأخطاء. أحياناً ـ وأنا أمارس المحاولة، حتى في ساحة الأكاديمية التي تستعصي على الشعر والخيال.. لم يفهمني أصحابي فازددت تعاسة وضياعا..

أحياناً أخرى كنت، وللحظات، أعثر على المطلوب (كما في المغول، والعبور، والفن والعقيدة، والسيف والكلمة..) فيقرّ قراري، وأحس طعم القناعة العذبة وأنا أجد الكلمة التي تحمل الحريق الذي يدمرني من الداخل، لكي تضيء به العالم!

أحياناً أخرى أرجع من حيث أتيت وتستعصي عليّ الكلمات، فأعرف كيف يكون العذاب.. في الشعر.. في النقد.. في الفكر.. في التاريخ.. في المسرحية.. في الرواية.. في المقال.. في البحث والدراسة والسيرة، في الفلسفة والمنهج.. وأخيراً في السيرة الذاتية..

كان الهاجس نفسه يلحّ عليّ، ويتقلب بي ـ كالموج الصاخب ـ هابطاً مصعّداً.. أحياناً، تصير التجربة نوعا من الرحيل في الملكوت.. تجاوز المنظور إلى ما وراء المألوف.. إلى دنيا لم تطأها ـ بعد ـ قدم إنسان، ولا تعاملت معها كلماته، فأنى باللغة التي تصف وتشرح وتيسّر وتنقل الخطاب إلى الناس متحدثة عما يحدث هناك، مشكّلة، بقوة الحرف وقدرته على التعبير، معالم الأرض البكر التي تغيب عند التخوم البعيدة، فيصير ذهبها وألماسها شيئاً آخر غير الذهب والألماس؟

الخيط الرفيع

هناك وجه آخر في إشكالية تعاملي مع اللغة، يتمثل في المستوى اللغوي للأداء وأنا أكتب مؤلفاتي..

والخيط رفيع.. والسير ها هنا كالسير على حدّ السيف.. فإما أن تكتب لجماهير القراء، فتتسطّح وتضيع، وتدان من دوائر المثقفين والمتخصصين.. وإما أن تكتب لهؤلاء فتخسر الجماهير، وربما الناشرين معهم، أولئك الذين يعطون لمؤلفاتك إشارة المرور للوصول إلى القرّاء.. وطالما حدثني بعضهم عن ضرورة إجراء تبسيط أكثر في أعمالي لأن القراء يشتكون من صعوبتها.

ولم تكن الاستجابة لهذا الطلب بالأمر اليسير، لأنها ستجرفني باتجاه السهولة الزائدة، فتفقد أعمالي احترامها من قبل الدوائر الأخرى.

على أية حال، كانت محاولتي صعبة وأنا أسعى إلى الإمساك بالعصا من أوسطها، فأحتفظ بالجماعتين معاً.. ولكن هذا لم يخل من خسارة، فإن هناك على

الطرفين من لم يرتح لهذا، فظلت مساحات من القراء تشكو من صعوبة لغتي، وظلت مساحات أخرى تدين جنوحها صوب البلاغيات، والإنشائيات، وربما التكرار الذي كان يستهدف إيصال الخطاب إلى القواعد العريضة من القراء.

مهما يكن من أمر فانني مقتنع بفضل الله، بهذا الذي استطعت أن أفعله تجاه إشكالية اللغة، وظلت مؤلفاتي ترفع خطابها لأكثر الشرائح ثقافة وتخصّصا، وتخترق جدران الأكاديمية لكي تعتمد في العديد من الجامعات العربية والإسلامية والعالمية، في مستويات الدراسات الأولية والعليا على السواء، فضلاً عن اعتمادها في إنجاز العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف بلدان العالم، دون أن يؤثر هذا، إلاّ في نطاق محدود، على قاعدتي العريضة من القراء.. قاعدتي التي أعتزّ بها وأعتبرها - بعد الله سبحانه - سندي وظهري ومحفّزي لمواصلة العطاء..

التنامي المستقل

عندما كنت أشرع في تنفيذ مشروع كتاب ما، كانت اللغة، أحياناً، تفرض نفسها عليّ: بإيقاعها، بجملها، بمناخها، بشروطها الجمالية، بل حتى بمفرداتها.. فيجيء التعبير متوحداً في «طعمه» إذا صحّ التعبير، من بدء العمل حتى منتهاه..

يبدو أن اللغة تمارس نوعاً من الجبرية على المفكر فلا تدع له مجالاً للانتقاء والتنقل بين الفقرات والفصول، ولا تعطيه هامشاً لالتقاط الأنفاس، وإعادة ترتيب أوراقه التعبيرية.. بمعنى أنها - كالعمل الإبداعي - تتشكل ذاتياً، وفق شروطها وقوانينها الخاصة، بعيداً عن التدخل المباشر من قبل المفكر.. فكما أن القصيدة أو القصّة أو المسرحية، بعد هندسة مرتكزاتها الأساسية، تخرج عن خيار الأديب، وتبني نفسها، وفق نوع من التنامي المحكم في معظم الأحيان، والذي يؤول بخيوط العمل الفني، بقصدية لا ارتباك فيها، ويقوده إلى النهايات المنطقية، فإن لغة الكتابة، حتى في مجالات بعيدة عن دائرة الأدب والفن - أحياناً - تخرج في صيرورتها، ونبضها، وإيقاعها، وترتيب مفرداتها، عن مملكة المفكر، أو إرادته، لكي تشكل نفسها بنفسها..

وهذا هو الذي حدث في بعض أعمالي، وليس فيها جميعاً بطبيعة الحال..

«ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز» - مثلاً - أو «حول إعادة تشكيل العقل المسلم» أو حتى «التفسير الإسلامي للتاريخ» إلى حدّ ما.. فكل واحد من هذه الأعمال ينطوي على مناخه اللغوي، أو التعبيري الخاص، بكلمة أدق، ويحمل مذاقه المختلف عن الأعمال الأخرى..

وكنت، في البدايات الأولى، أتعمّد أن أضع نفسي في دائرة بعض المؤثرات الخارجية، كتشغيل جهاز التسجيل على سيمفونية ما، كالذي حدث في «ملامح الانقلاب» من أجل منح التعبير بطانته الوجدانية، ونبضه الشعري، ولكني - بمرور الوقت - استغنيت عن هذا بعد أن وجدت «العمل» نفسه يختار لغته دونما أي مؤثر خارجي.

إلاّ صاحب هذا القبر!

نموّ الخبرة، والرغبة الدائمة في التحسين، وعدم الرضا عن الأشياء التي تمّ إنجازها، أو جوانب منها على الأقل، وعندما يرجع الإنسان إلى قراءة ما سبق وما كتبه قبل عشر سنوات أو عشرين، يقول في ذات نفسه: «يا ليتني ما قلت هذا» أو «لو أنني قلته بشكل آخر غير ما هو عليه».. ودائماً تبدو الأعمال الأكثر حداثة، ولاسيما في ميادين الإبداع، أكثر نضجاً واكتمالاً من الأعمال الأولى.. إنها مأساة الرغبة في التحسين في ضوء الخبرة المتنامية التي يبدو أنها تتحرك نحو الأوج

عبر الخمسينيات والستينيات، ربما لتزداد قدرة على العطاء قبل أن تبدأ رحلة الذبول والانطفاء..

إن ما قاله العماد الأصفهاني يبدو أنه قدر كل الذين كتبوا كثيراً.. كل الذين امتلكوا طموحا كبيرا في أن يقولوا كل شيء.. في ألّا يتركوا صغيرة ولا كبيرة، مما يمكن أن يكتب، إلّا وتعاملوا معه..

قدر ألا يقتنع الإنسان بكمال أعماله، وأن تحكمه عقدة النقص في نسجها، فيما عدا حالات استثنائية لا يقاس عليها.. لكن الجانب المضيء لهذه المأساة أنها تدفع للرغبة في المزيد من الإتقان، على الأقل بالنسبة للأعمال التالية، وبالتالي تنقذها من المزيد من المطبات والمناقص والأخطاء، ولكن هذه نفسها، في منظور زمني تالٍ، ستبدو ناقصة، ليس فقط بحكم تنامي القدرة العقلية والإبداعية، وإنما - أيضاً - بحكم تراكم الخبرة وقوانينها الضاغطة.. ودائماً تجيء عبارة مالك بن أنس -رحمه الله- قانوناً حاسماً وعدلاً ومطمئناً لكل الذين يحاولون.. «كل ابن آدم يؤخذ منه ويرد عليه إلّا صاحب هذا القبر» ويقصد محمداً (صلى الله عليه وسلم) الذي لا ينطق عن الهوى.

الكأس حتى الثمالة!!

كان الكتاب الواحد.. الكتاب الممتاز بطبيعة الحال.. يقدم لي أكثر بكثير مما يقدمه للآخرين..

كنت أعتصره حتى الثمالة.. وكنت أعرف كيف أوظفه على أكثر من مستوى.. أتذكر مقولة العقاد -رحمه الله: «أن تقرأ كتاباً واحداً خمس مرات، أفضل من أن تقرأ خمسة كتب»!

وكنت، بسبب الوسواس التسلّطي الذي طالما حكمني وعذّبني، أعيد قراءة العبارة الواحدة خمس مرات وربما عشرا حتى أقتنع تماماً بأنني بلغت غورها العميق وأدركت سرّها المخبوء..

كنت - أحياناً - أمضي قبل المؤلف نفسه، بخطوات قد تسبقه، بحثاً عن معنى ربما لم يكن يريد أن يقوله أو يقصد إليه.. ولكنه بالنسبة لي على الأقل كان يمنحني الكثير..

كانت الإضافات الجادة المؤثرة التي يمنحها الكتاب الممتاز بالنسبة لي تتمثل حيناً باللغة، وحيناً بالنبض الشعري، وحيناً بقوة الخيال، وحيناً بالقدرة على الابتكار، وحيناً بجبروت الأفكار.. حيناً بالهمس، وحيناً بالصراخ.. حيناً بالرضا والتوافق والانسجام، وحيناً بالثورة والتمرد والتشتت والارتطام.. حيناً بالقدرة على ترتيب المعطيات وفق نظام هندسي صارم كالفولاذ، ومنطق جدلي حادّ كالسكين، وحيناً آخر بتدمير الأنساق، وجعل الفوضى وتلاشي الحدود الفاصلة بين الأشياء هي الحكم الأخير، حالة سريالية - ربما - أو لا معقولة بشكل من الأشكال..

هذا كله طبعاً، فضلاً عن الطبقة الأولى.. الطبقة الاعتيادية: وهي ركام المفردات المعرفية، والخبرات الفنية، التي كانت دائماً تضيف إلى رصيدي ثروة غنية مترعة بالسخاء..

وكنت، بفضل الله سبحانه ورحمة منه، أوظف هذا كله في سياق واحد.. معمار يحاول أن يكون متناظراً قدر الإمكان.. مقنعاً في نِسَبِه وأبعاده ومساحاته.. أن تكون الكتابة، أية كانت الأطر التي تتشكل فيها، والأنواع الأدبية التي تنسج خيوطها، مرآة لكلمة الله في العالم.. لوحدانيته جلّ في علاه، ولحاكميته التي كانت الأديان كلها، وخاتمها الإسلام، تعبيراً عن بعدها الأول والأخير: أن يكون منهاج العمل في هذا العالم قادما من فوق.. من عند الله.. إذ إن أية محاولة أخرى خارج هذا التحليل المؤكد، ليست سوى ضياع وضرب في التيه..

الأصوات الحرفية التي كان يرفعها أصدقاء محدودو الفضاء الرؤيوي ما أدركوا هذا، ولا حاولوا - بإخلاص - أن يقتربوا منه، ولذا قال أحدهم: إنني في بعض أعمالي الأدبية، وربما الفكرية، كنت أعبّر عن نفسي، ثم ما ألبث أن أضع لافتات إسلامية عليها!

النواة التي تصير كتاباً!

بدأت أدرك أكثر فأكثر أن «المحاضرة العامة» يجب أن تكون معماراً مركبا من عدة مستويات.. لحناً هارمونياً ذات أصوات عديدة.. وأن المحاضرة ذات الطبقة الواحدة أو الصوت الواحد، إنما هي عرض لأمور مكشوفة على سطح ذي طول وعرض، يكاد معظم المستمعين يعرفون أبعاده مقدماً، فضلاً عن أنه جهد استهلاكي يكرر، ولا يملك القدرة على الإبداع، والإضافة، والابتكار..

إن المحاضرة المركبة هي هذه القدرة على الابتكار، ليس في المنهج فقط، وإنما في الموضوع أيضاً..

إن هندسة الموضوع المراد تقديمه في محاضرة عامة يجب أن يضع هذه البداهات في حسابه، وإلاّ تحرّك على سطح الأشياء ولم يمارس إيغالاً في أعماق الظواهر. ولقد ساعدني هذا على أن تتحول محاضراتي إلى مشاريع تأليفية.. كنت أرجع إلى النواة المتشكلة في نسيج المحاضرة، فأمدّ آفاقها، وأغنيها بالمفردات، وأحيلها إلى كتاب.. لكن الأساس هو نفسه.. الخارطة هي نفسها، تلك التي طرحت على الجمهور في محاضرة عامة.

نداءات مبكرة للتحذير

كانت المطالعة حتى منتصف الستينيات تنطوي على المتعة والعذوبة، وكانت الكتب المؤلفة والمترجمة تعتمد لغة عذبة واضحة وعميقة في الوقت نفسه، وكان الكمّ المعروض في السوق محدوداً يمكن متابعته، وتذوّقه، والسيطرة عليه.. ثم ما لبثت أن حلّت الكارثة:

انفجار رهيب في الكم ضاعت معه السيطرة والتذوّق على مكث.. غياب الأجيال الأولى من الكتّاب ذوي الأسلوب العذب، واللغة المحكمة، والرغبة الأصيلة في البيان.. ظهور جيل من المترجمين السيِّئين لا يتعاملون مع النصّ بتمكن وإلمام.. ظهور أجيال من الكتّاب المتأثرين بتيارات الحداثة الغربية، والنزوع إلى الإغماض دون إدراك دوافع ومنطوق الإغماض الغربي.. المتغيرات السريعة في ميادين المعرفة وحمى التخصص الدقيق.. انفجار المعطيات الأكاديمية الممسوخة، والاعتقال في زنزانة التخصص، وغياب الاستشراف الثقافي.. تحوّلات عنيفة للنقد الحداثي وضعت بين النصّ والمتلقي سداً من الكراهية والاشمئزاز.. انفجار الدوريات والحنين الرومانسي إلى أيام القلة العذبة: (الرسالة) و (الهلال).. إلخ.. تضاؤل انتشار السلاسل

المعروفة، وغياب بعضها: (اقرأ)، (الهلال)، (الكتاب الذهبي)، (الكتاب الفضي)، سلسلة (كنوز القصص الإنساني العالمي)، (مطبوعات كتابي).. إلخ.. انفجار مطالب الحياة والهموم المعيشية والتكاثر الشيئي على حساب ساعات المطالعة.. الحصار المنفعي لأماكن الجلوس الهادئة للمطالعة في المقاهي و(الكازينوات)، وتناقصها يوما بيوم لحساب التوسع التجاري الصرف.. تزايد النظم الدكتاتورية التي وضعت الحواجز والعقابيل أمام تناقل الكتاب عبر البلدان العربية، وتداوله الحرّ داخل البلد نفسه.. انكسارات العملة في العديد من البلدان فيما جعل توصيل الكتاب إلى تلك البلدان يكاد يكون مستحيلاً.. ثم انفجار وسائل الترفيه، وملء الفراغ، والنشاط الإعلامي، بدءا بعصر الراديو الترانزستور فالتلفاز الملون فالفيديو كاسيت.. وأخيراً وليس آخراً الحاسوب والإنترنيت والفضائيات، فيما قاد إلى تضييق الخناق على تقاليد المطالعة وإغراءاتها وطقوسها الجميلة..

ولقد رفعت صوتي منذ الستينيات للتحذير من هذا المصير.. فكتبت في العديد من الصحف والمجلات: أزمة التعبير في العراق.. نقد للأكاديمية.. بحث في الأسلوب المقارن.. الجسور المقطوعة.. السريالية واللغة.. حول أدب الغموض..، وعشرات غيرها من البحوث والمقالات.. ولكن؟!

الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه

في التعامل مع القرآن الكريم، تلاوة، اكتشفت في وقت متأخر نسبياً، أنه يمنح متعة ذهنية وروحية أكبر بكثير، عندما يحاول المرء أن يتابع الارتباط الصميم داخل بنية كل سورة، على مستوى الشكل والمضمون معاً.. إنه حينذاك سيكتشف أشياء جديدة، وقيماً ومعطيات مدهشة، وستصير القراءة محاولة يومية للاكتشاف.

صحيح أنه أمر مجهد، ولكنه يحقق متعة يصعب وصفها.. إنها - مع فارق التشبيه - كمحاولة حل المعادلات الرياضية الصعبة.

إن هذا القرآن كتاب معجز، وهو لا يَخْلَقُ على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوما.. وهذه هي إحدى عجائبه: ذلك الارتباط الوثيق بين مقاطع وآيات السورة الواحدة، ذلك الانتقال المرسوم بين الأزمان الثلاثة، ذلك التنقل المهندس بين الأماكن والبيئات، وذلك التسلسل المذهل بين الموضوعات.

إن البيئي، والطبيعي، والعالمي، والكوني، والروحي والمادي، والمنظور والغيبي، والظاهر والباطن، واليومي والدائم.. تلتقي وتتواءم، وتؤثر وتتأثر بحسابات دقيقة يمكن للمرء أن يلحظها بمجرد أن يبذل جهداً أكبر. ولنتذكر الآية القرآنية: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ (محمد).

إن متابعة وحدة السورة، والبحث عن طبيعة المفاصل بين مقاطعها.. عن دلالات التنقل بين الموضوعات، لهو التدّبر المطلوب، لقد مارسه بعض المفسرين، وبخاصة (سيد قطب) في (الظلال)، وليس هذا هو المقصود هنا، فالقارئ المتدبر، وأنا واحد منهم، ليس مفسراً لأنه لا يملك الأدوات الكافية، وانما هي محاولة للمقاربة، للفهم، للإيغال أكثر في نسيج هذا الكتاب الإلهي، وهي مسألة مفتوحة لكل ذي عقل، فليس ثمة حَجْرٌ في الإسلام على محاولة فهم كتاب الله، ولا توجد هناك سلطة كهنوتية أو تأويلية تحتكر حق الفهم والشرح والتعليل.

ليس ثمة خيار

منذ تفتح الوعي على الحياة تملكتني رغبة متأججة في التعرف على الأشياء واكتشاف سرّها.. كنت أقرأ قصص الأطفال بشغف عميق.. كنت أرتشفها ارتشافاً، وإنني لأتذكر جيداً ليالي الشتاء العميق والبرد والمطر.. بيوتنا العتيقة الضيّقة، والأحياء القديمة، والجمر المشتعل الممتزج بالدخان، وساعات القراءات الجذلى في القصص وكتب المطالعة المدرسية والمجلات.. ولم أكن أطالع السطور، ولكني كنت أخترقها بتوق عارم لكي أعيش الحدث من الداخل.. أصير شخصاً من شخوصه.. وحينذاك كنت أضحك معهم وأبكي معهم.. أهتز وأنبض وأرتجف، كما يهتزون وينبضون ويرتجفون.

بعدها، ومع ازدياد قدرة العقل على المداخلة، والإمساك بتلابيب الخبرات والأشياء.. صار الأدب يقدم لي أطباقاً من حلوى الفكر، بعيداً عن مماحكات التجريد والجدل الذهني الخالص، إنما من خلال الوقائع والشخوص والمرئيات وهي تكتسي لحماً ودماً فتغدو أكثر دهشة وأشد تأثيراً..

أذكر أيضاً شيئاً ما يتذكره كل الشعراء والأدباء والفنانين الذين يجيئون إلى الحياة بحساسية مفرطة تجاه العالم والوجود.. قبالة الكلمة وهي تئن وتتوجع.. إزاء الأشياء والخبرات التي تنث روعة وجمالاً.. حساسية تكاد تصل بهم حافات السقم والمرض، لأن فاصل الألم بينهم وبين العالم يكاد يغيب.. يتلاشى.. وتصبح جملتهم العصبية، وجدانهم، أجهزة استقبالهم الحسي، روحهم المتحفزة.. مكشوفة تماماً.. مكشوفة حتى لرفّة عصفور.. أو صوت خفي لا يكاد يسمع.. ولكنه يصلهم.. يخفق في ضلوعهم ويقول لهم شيئاً كثيراً..

في حالة كهذه تصير الكلمة.. التعبير.. المعالجة الجمالية.. المنفذ الوحيد للتخفف من العذاب، أو ما سماه أحمد شوقي: (الألم العبقري) وكان يعني ما يقول.. نوعا من التطهر (الكاثرسيس) إذا استخدمنا عبارة أرسطو وهو يتعامل مع التراجيديات اليونانية.

أن تصير أديباً ليس خيارك، ولكنه قدرك.. مرغم أنت على أن تكون أديباً، وإلاّ أكلك الهم وغدوت حطاماً..

بالكلمة يقوم أولئك الذين منحهم الله سبحانه (وصفة) خاصة لا أستطيع التعبير عنها.. مزيجا من الدهشة والحزن والفرح والعشق والبهجة والتوق لاكتشاف المجاهيل.. والرغبة القاهرة في تحويل هذا كله.. إخراج هذا كله من تحت الضلوع وتشكيل لوحة أو نشيد أو قصيدة أو سيّال من النثر مترع بالعفوية والنداوة والصدق.

تلك هي البدايات الأولى التي ينبني عليها المصير.. إن شبكة معقدة من التأثيرات.. منظومة من العناصر الفاعلة، ترغم الإنسان على أن يكون أديباً فلا يسأل أحد كيف كان هذا الذي كان.. فهي المملكة التي لا يسأل الداخلون إليها: لماذا دخلوا؟!

منطق العجز

لقد فتح أبناء جيلي عيونهم على عصر لم يكن الكاتب فيه قد اعتقل نفسه في زنزانة التخصص، ولقد تعلمنا كثيرا - بغض النظر عن اختلاف القناعات - من العقاد وسيد قطب وطه حسين والرافعي والحكيم وبنت الشاطئ والغزالي والسباعي والطنطاوي والندوي وغيرهم.. كانوا يكتبون في الفكر والأدب والتاريخ.. كانوا ينظّرون وينقدون ويبدعون، بل إن معظمهم قال شعراً..

ثمة مسألة أخرى.. إن الساحة الإسلامية بالذات قد تغري بنوع من الملاحقة.. قد تجعل الكتابة في أكثر من ميدان نوعا من «فرض العين» على كل قادر.. وتبقى مسألة الأولويات هي التي تحدّد ما الذي ينصب عليه الاهتمام في هذه اللحظة الزمنية أو تلك..

على أية حال، ومن أجل تجاوز أي نوع من سوء الفهم، فإن تشعب الاهتمام لا يعني بالضرورة انتقاصاً لمطالب التخصص أو المنهج، ولا خرقاً لضرورات الأكاديمية.. إن ما كتبته في حقل التاريخ - ولله الحمد والمنة - يتحقق بهذه الضوابط والضرورات، وإلا لما حصلت أساساً على الماجستير والدكتوراه، ولما رقيت إلى مرتبة الأستاذية في التاريخ الإسلامي.

إن منطق العجز وحده هو الذي يدين الآخرين، وهم يغادرون بين الحين والحين، مواقع تخصصهم لكي يكتبوا في مجالات أخرى بعيداً عن الزنزانات التي تحاول أن تقيم أسلاكاً شائكة بين حقول المعرفة الإنسانية.

إن آخر تقاليد البحث في العلوم الصرفة نفسها تدعو إلى مشاركة الإنسان في الظاهرة العلمية.. نوع من اندماج الذات في الموضوع.. هذا ما يقوله (فتكنشتاين) و(سوليفان) و(كاريل) وغيرهم بهذا الخصوص.. معنى هذا أن اتساع الفضاء المعرفي للعالم، وكسر حاجز التخصص الدقيق، عاد لكي يفرض نفسه، ليس فقط في الإنسانيات، وإنما في العلوم الصرفة كذلك.

الظروف المستحيلة

يتوزع المفكر في بلدي بين ألف نداء ونداء، ورغم ذلك يتشبث بمواصلة المسير في ظروف تكاد تكون مستحيلة..

في الغرب، المفكر يفكر فقط، والفنان يبدع، فإذا بالفكر والإبداع يتجسدان في مؤلفات وأعمال فنية يتولاها حشد من المعاونين.. أما في بلدي فإن على المفكر أو المبدع، فضلاً عن مهمته الأساسية، أن يكتب ويبيّض ويذهب إلى المكتبات، ويسأل هذا وذاك، ويراسل، وينتظر في البريد، ويتصل بالناشرين، ويتابع التفاصيل الفنية والمالية، ويسافر.. و.. و.. إلخ.

ثم هو، فضلاً عن هذا كله، ملاحق بألف حصار.. بضغوط من شتى الأنواع، الحقد، والغيرة، والحسد، والتجاهل، والصمت.. ثم خطّ أشدّ مرارة: التآمر لتدميره.. اللجوء حتى إلى السلطات لإيقافه عند حده..

وهنا يجيء دور السلطة، فإنها قد تحاصره لكي يتخذ أحد موقفين: إما التنازل عن الذات، وتسخير نفسه في خدمة السلطة، وإما الرفض والتعرّض لشتى صنوف الأذى والعقاب الذي قد يصل حدّ التصفية الجسدية.

لماذا..؟!

أضع قائمة مؤلفاتي أمامي: ما الذي جعلني أندفع لإنجاز هذه الموضوعات المتباينة في سياقاتها الثلاثة: التاريخية والفكرية والأدبية، والمتنوعة داخل كل سياق؟

أهو إلحاح الموضوع نفسه بسبب جدّته، وعدم معالجته من الآخرين بما فيه الكفاية؟ وربما بسبب أهميته أو أولويته؟

أم هو الدافع الذاتي للتعبير عن رغبات وقدرات كامنة تريد أن تخرج بصيغة إنجاز في هذا الاتجاه أو ذاك..

أم هما الدافعان معاً: الذاتي والموضوعي، وقد يضاف إليهما بعض الضرورات والفرص الخارجية، كأن تتقدم مؤسسة ما بطلب إنجاز مؤلف في هذا الموضوع أو ذاك؟

والحق أن هذه الدوافع الثلاثة، وقد تكون هناك دوافع أخرى، تكمن جميعاً وراء كتابات المؤلفين.. ولعلّه يكون أمراً ممتعاً ومجديا في الوقت نفسه، أن نتوجه بالسؤال لحشد من الكتاب: لماذا كتبوا هذا الذي كتبوه..؟!

ولكن، بالنسبة للمسلم الجاد، تظل الكتابة واجباً إيمانياً لا خيار فيه.. فرض عين يلزمه بمواصلة العمل حتى آخر لحظة من حياته.. إنها ليست خياراً ولكنها إلزام.. وليست ترفاً فكرياً، ولكن مهمة جادة تستهدف الإجابة على العديد من الأسئلة المعلقة في فضاء الفكر والروح!

إنها عبادة يتقرّب بها المفكر أو الأديب المسلم من الله.. كما أنها محاولة للاقتراب من جماهير المسلمين، بقوة الكلمة، لدعوتهم إلى الطريق.

إنه، إذا أردنا الحق، عمل دعوي، وجهد حركي، يستهدف إخراج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، ومن التخبط والضلال إلى الهدى واليقين، ومن السبل المعوجّة إلى الصراط المستقيم.

وهكذا يصير البحث في التاريخ، أو الفكر، أو الأدب، خطوة على الطريق.. تصير كتابة السيرة أو الترجمة أو الدراسة أو المقال أو البحث المنهجي أو الموضوع التاريخي أو القصة أو القصيدة أو المسرحية، خطاباً إيمانياً يحمل أقصى وتائر العقلانية والمنطق قبالة كل ضلالات الدنيا، وأوهام الوضاعين.

إنها، مرة أخرى، ليست خياراً، ولكنها قدر هذا الإنسان أو ذاك، من آتاهم الله سبحانه القدرة على التعامل مع الكلمة والفكرة وإخراجهما إلى الوجود بهذه الصيغة أو تلك..

أما أن يكتب الإنسان في التاريخ والفكر والأدب.. ويمضي مع هذا الأخير فينجز أعمالاً في التنظير والدراسة والنقد والإبداع، ويندفع مع الأخير فيكتب مسرحاً وقصة ورواية وسيرة ذاتية وشعرا.. فتلك منة يمن بها الله سبحانه على بعض الناس.. وحرام عليهم، والحالة هذه، أن يتنكروا للنعمة، ويسلموا أنفسهم للكسل، بحجة أن عليهم أن يكتبوا في سياق معرفي واحد، وأن هذا يكفي.

أبداً.. إذا كان بمقدورهم أن يقدموا شيئاً ما.. شيئاً ذا جدوى، في أي موضوع يتعاملون معه.. فلماذا يتردّدون؟.. ضرورات التخصّص؟.. كلا.. فإن ما سيقولونه في كل حقل، على تغاير فروعه، قد يضيف، بقوة ما أوتوه من علم وثقافة ومقدرة، شيئاً جديداً، لا يقدر على تقديمه الكثيرون ممن اعتقلوا أنفسهم في زنزانات التخصّص، وأصبحوا - بمرور الوقت - مجرد

منظفي أتربة كما يسميهم الفيلسوف الألماني «أزوالد شبنغلر».

ولو لم يكن الأمر كذلك، لما قدر كاتب كالعقاد أو سيد قطب على أن يرفد المكتبة العربية بأدبياته القيّمة، وتنظيراته النقدية، وأعماله الإبداعية، جنبا إلى جنب مع ما قدمه في سياق الفكر والسيرة والتاريخ.

بؤرة الاستقطاب

إن بؤرة الاستقطاب في كتاباتي التاريخية والفكرية والأدبية، هي «الأسلمة».. هي تمرير كل مفردة معرفية من خلال الرؤية الإسلامية (لعلّ هذا ما جعلني بعد عقود عديدة أندفع في التعامل مع حركة إسلامية المعرفة التي يقودها المعهد العالمي للفكر الإسلامي، وأستجيب للعديد من المشاريع الفردية والجماعية التي عرضها عليّ وعلى الآخرين، والحالة نفسها تنطبق على تعاملي مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية).

مهما يكن من أمر فإنه منذ البدايات المبكرة وصولاً إلى الأعمال المحدّدة والرسمية لأنشطة المعهد العالمي ورابطة الأدب، كان هدف كل حرف انضاف إلى بعضه لكي يصوغ الكلمة، فالعبارة، فالفقرة، فالفكرة، فالفصل، فالمبحث، فالكتاب.. كان الهدف واحداً.. النبض والإيقاع والمؤشر.. أن تصاغ كل المفردات المعرفية، أو يتم التعامل معها، من خلال الإسلامية.. ألاّ يمرّ، ويتشكل، ويأخذ جواز السفر، ويحمل الشرعية، إلاّ ما تسمح به الإسلامية.. وما لا تسمح به يتحتم أن ينتقد، أو يرفض، أو يفكك للبحث عن عناصر التلاؤم، أو يستبعد كلية في نهاية الأمر.

في القصيدة والمسرحية والقصة والرواية، في الخاطر والمقال والبحث، في الدراسة والتنظير والنقد، في التاريخ والمنهج والفلسفة.. وفي الفكر عبر تدفقاته كافة.. كانت المحاولة واحدة، والهدف واحداً، وبؤرة الاستقطاب هي نفسها: أن يكون هناك قصيدة إسلامية، ومسرحية إسلامية، وقصة إسلامية، ورواية إسلامية، وسيرة ذاتية إسلامية، وأدب رحلات إسلامي، وأدب حوار إسلامي، ونقداً ودراسة وتنظيرا أدبياً إسلامياً.. أن يكون هناك منهج إسلامي في البحث التاريخي، وتفسير إسلامي للتاريخ، وطريقة في الطرح الفكري تتشكل في نسيج إسلامي!!

طبعاً، فإن هذه الكتابات كافة، والتي مضت لكي تقارب الثمانين مؤلفاً عدداً، على مدى خمسين عاماً من العمل شبه المتواصل، ليست وحدها في الميدان.. ليست حالة فريدة.. وإنما هي حلقة متواضعة، سبقتها وزامنتها، وستعقبها حلقات لعشرات بل لمئات من المفكرين والمؤلفين والباحثين الإسلاميين.. والذي أريد أن أقوله ليس هذا، وإلاّ كنت مدّعياً، الأمر الذي أرفضه وأمقته، إنما أردت أن أقول: إنني كنت أتحرك، حتى وأنا أتعامل مع الموسيقى، في ضوء قناعة متأصلة حتى النخاع: أنه ما من مفردة معرفية أو خبرة في

هذا العالم لا يمكن التعامل معها إسلامياً.. ما من صغيرة أو كبيرة تخرج عن دائرة «الحكم الإسلامي» الذي يملك القدرة دائماً على أن يقول فيها كلمته.

قد أكون مبالغاً في تصوّري أو قناعتي هذه، ولكن هذا سيظل على مستوى التعامل مع مفردات محددة أريد لها أن تمر أو لا تمرّ من قناة الإسلامية، إلّا أن المبدأ الأساس.. القاعدة التي أنبت عليها معطياتي كافة.. الأسس التي أقيم عليها المعمار، ستظل منطقية وسليمة، ليس في دائرة قناعتي الشخصية فحسب، وإنما على المستوى الموضوعي، حيث كان الإسلام، ويكون، وسيكون، قدرة (أبستمولوجية) فائقة في التعامل مع حشود المفردات والخبرات المعرفية.. فهو في شموليته.. في احتوائه سائر الثنائيات المتواجدة في قلب العالم والطبيعة والكون والوجود.. في رؤيته المنفتحة على العالم.. في صيرورته الحركية المتصلة كحلقات يمسك بعضها بعضا.. في مسؤوليته كشاهد على كل ما يتمخض في دائرة المعرفة أو الخبرة البشرية.. في توقه الأبدي للأخذ بيد الإنسان والجماعة.. وبالتالي في شهوده الحضاري على واقع البشرية ومستقبلها.. في التزامه بالمصير الإنساني.. في احتفاظه بشكل معجز بأصوله العقدية كتاباً وسنة نبوية.. في هذا كله، كان ولا يزال يملك كل المعايير المرنة، والملائمة، للتعامل مع مفردات الخبرة البشرية في كل زمان ومكان..

ولقد حدث أن أغرتني محاولات في دائرة الأدب، أو الفكر، أو التاريخ، بدت للوهلة الأولى خارج نطاق اهتماماتي بصفتي مسلما، ولكنني بعد أن نفذّتها، فيما يمكن تسميته بنوع من التساهل: رؤية حيادية للأشياء.. سرعان ما تبين لي أن رؤية كهذه هي نوع من البذر.. نوع من تجاوز الالتزام بالمطلب الأساسي، وأنه ليس ثمة حيادية ـ أو حتى موضوعية ـ في نهاية الأمر، خارج نطاق العقيدة ـ الحق التي تحمل قدرتها على أن تقول كلمتها في كل شيء..

ليس من قبيل التغنّي برؤى مثالية، ولكن من خلال تراث متواضع سهرت على نسيجه لمدى نصف قرن، وقدّم، في سياق جهود آخرين كثيرين قبلي ومعي، قناعة بشكل من الأشكال في أن «الموضوعية» هي ها هنا بالذات: أن يتعامل المرء مع كل مفردة، أو خبرة، بالمعيار الذي منحتنا إياه السماء، حيث لا يعزب عن الله سبحانه مثقال ذرة في السماوات والأرض.

إنها ـ باختصار ـ قضية التعامل مع العلم الإلهي.. مع المعايير القادمة من فوق، والتي بدونها لن تصل الخبرة البشرية النسبية إلى هدفها، مهما كان البريق الذي يشع منها آخذاً بالعقول والأبصار:

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾ (طه) ■

في البيت العتيق

د. حسن الأمراني - المغرب

هل يسعف الروح ما يوحي به الأمل ؟ أم يدرك النفس دون المبتغى الأجل ؟
وبي من الشوق ما لو شامه جبل لانهد مما يلاقي في الهوى الجبلُ
إني لأفتح عيني حين أفتحها فلا أرى غير ركب راح يرتحلُ
وليس عندي جناح كي يبلغني دار الحبيب ، وظهري ليس يحتملُ
آه من الدمع محبوسا له حرق شحت عيوني ، ودمع القلب منهملُ
يا ويح نفسيَ إن الذنب قيدها ولو سوى الذنب هانت دوني الحيلُ

* * *

يا من غدا ببحار النور يغتسلُ وقلبه حول بيت الله يبتهلُ
بلغ سلامي إلى المحبوب إن دمي قد بات من وقدة الأشواق يشتعلُ
يا محرماً عرفاتُ الله أفئدة ترنو إلى الله ، والأجساد تحتفلُ
الشوق سربلها والدمع بللها كأنها من تراب العشق تكتحلُ
تسعى إلى الله شوقا وهي ضارعة وما لغير نداء الله تمتثلُ
تفتحت نحو عفو الله مشرعة لها السبيل ، إذا ما سدت السبلُ
إذا تنزلت الخيرات مسرعة من عند ربك لم تبطئ بها عللُ
وفضل ربك موصول بلا سبب ورحمة الله بالإحسان تتصلُ

* * *

يا صاحبي ودموع العين تسبقني وليس عن زورة المحبوب لي شغلُ
هيجت شوقي وهل للشوق أجنحة بها إلى حضرة المحبوب أنتقلُ ؟
إذا نسيم من البيت العتيق سرى أرسلت دمعا ، فلا كبر ولا خجلُ
إن الجمال ، جمال الله ، ألمحه في سجدة تمنح العشاق ماسألوا
إن الجلال ، جلال الله ، أبصره في دمعة مرة يسري بها الوجلُ
يا حادي الروح ، خذني نحو خيمتهم فالقلب في حضرة المحبوب معتقلُ
نسيت عندهمُ قلبي ، ودونهم مفاوز ، وحجاب الليل منسدلُ
خذني إليهم ، فما أبغي بهم بدلا وكيف ينهض عمن شاقني بدلُ ؟
إن يرحلوا فلقد أضنيت راحلتي (أو ينزلون فإنا معشر نزلُ)
سيرت أشرعتي في بحر حبهم إن المحبة قد أوصى بها الرسلُ
يا قُبْلة عند بيت الله فاغمة طيبا ، لقد ذبلت من دونك القبلُ
لقد شَفَتْ كبدي من حر وقدتها بعد الشراب وطاب النهلُ والعللُ
يا طيبه حجرا قد كان لامسهُ ثغر الحبيب ، فيا طوبى لمن نهلوا
صحوتُ بالسكر وانهلت على شفتي مدامع ذاب فيها الحزن والجذلُ

الدكتور محمد علي حمد الله لـ(الأدب الإسلامي)

لما عجزوا عن الطعن في القرآن التفتوا لاقتحام لغته

من العاملين بصمت في ساحة التربية والتعليم، ومن العاملين بدأب في مجال اللغة العربية والأدب، لمدة قاربت السبعين عاما.

أخلص لأساتذته ومعلميه فأخلص له تلاميذه والمتعلمون منه، كان حضوره المفاجئ في مدينة الرياض فرصة لاستضافته في الملتقى الأدبي بالمكتب الإقليمي للرابطة بالرياض، حيث أمتع الحضور بحديثه العذب الهادئ.

واغتنمت مجلة الأدب الإسلامي حضوره وأجرت معه هذا الحوار:

حاوره: أيمن ذو الغنى - سورية

● عملت في ساحة تعليمية واسعة زمانيا ومكانيا، كيف تنظر إلى هذه المسيرة الحافلة؟ وما الذي يميز المعلم والطالب بين الأمس واليوم؟؟

●● امتدت بي هذه المسيرة من سنة ١٩٤٦م إلى اليوم ٢٠١٠م، أي ٦٤ سنة ميلادية = ٦٦ سنة هجرية شملت (التعليم الابتدائي، والإعدادي، والثانوي، ودور المعلمين والمعلمات، وإعداد المدرسين، والمعهد العالي للفنون، وكلية التربية، وكلية الآداب، ومعهد الفتح (القسم الجامعي)، وجامعة الإمام بالرياض).

هذا، عدا الأعمال الإضافية: الإدارية والأهلية والمسرح وأدب الأطفال.

ونقدي الكبير الكبير للتعليم أنه عامي غالبا منظريٌّ ولا يعد الطلبة لمستقبل مأمون.

● لك عناية خاصة بأدب الأطفال من خلال الجمعية التي أسست لها في اتحاد الكتاب العرب والسلاسل التي أصدرتها. نرجو إعطاء القارئ لمحة عما قدمته للأحبة الصغار. وكيف تنظر إلى ما يقدم للطفل الآن من أعمال مقروءة ومسموعة ومرئية.

●● ظهرت جمعية أدب الأطفال في الاتحاد سنة ١٩٩١، أما سلاسلي للأطفال على أربعة مستويات عمرية فقد بدأت سنة ١٩٨٠، وأبرز إيجابياتها النقاء اللغوي والأسلوبي، والتربوي، واشتماله على معظم المواد التعليمية، وغلبة الواقعية المقبولة، ولا سيما في الصور، ونوع الخط وأحجامه، وعدم الاكتفاء بتسلية الطفل، وأنكر المنكرات فيما هو سائد – للأسف – (السلبيات) وعلى رأسها (القتل والإرهاب) في عنصر الحركة، والتشويه الشديد للمخلوقات في عنصر الرسم.

● عملت في الفن المسرحي تعليما وكتابة وتمثيلا، هل بلغت في ذلك ما يرضي طموحك. وأين يقع هذا الفن الآن بين الفنون الأدبية المعروفة؟

●● والله يا ابن الكرام، لا طموحي أو جموحي، ولا طروحي أو شروحي... قادرة على شفاء جروحي وقروحي... أفلا أقول الآن (سجعا) ولا هذه كلها سجعات بل أنات متواصلات، لأن المسرح مقتول.. مقتول.. مقتول.. سممته غازات سامة، جاءت من الغرب للكبار، ومن التلفاز للصغار، أما مسرح الأطفال فما دعيت لأراه قبل العرض أو خلاله إلا مسرح مدينة دوما (الثقافي) في عروض (دار العربية)، ومسرح (مدرسة إيلاف) في مدينة (دمر) الجديدة. لماذا؟؟ لأن النقد – إن وجد – فهو ضحل أو (غير مرغوب فيه). ولهذا بتنا لا نسمع من أخبار الفن المسرحي سوى الحشرجة.

وباختصار أقول للكبار: ترجمتم مسرحيات غربية وقدمتموها للوسط العربي، فليتكم – من أجل نجاح أكبر في أعمال لاحقة – أشممتموها عطرا عربيا مع التلميح لذلك لدرء مغبة (الحقوق المحفوظة) وباختصار أقول أيضا لكتاب مسرح الأطفال: من أسباب زهد الأطفال بمسرحياتهم أن الحوار فيها أكثر من الأحداث، علما أن الإضحاك بالنكتة المنطوقة أضعف وأبرد من الإضحاك بالحدث أو الحركة أو الصورة، والإضحاك بالعبارة الطويلة أضعف من القصيرة، وهو بالأنشودة الغنائية الملحنة ضعيف أيضا، إلا إذا قل المنشدون الممثلون، وقصر النص جدا، وكثر التكرار فيه ليتمكن الأطفال أن يوهموا أنفسهم بأنفسهم بأنهم ينشدون مع الممثلين المنشدين.

أما موقع (الفن المسرحي) من الفنون الأدبية – كما جاء في سؤالكم – فهو مختلف باختلاف الكاتب وطريقته، ولكنه يبقى دون الشعر مكانة، لأن الشعر مهيب غني

■ لا طموحي أو جموحي، ولا طروحي أو شروحي... قادرة على شفاء جروحي وقروحي.... هذه ليست سجعات بل أنات متواصلات، لأن المسرح مقتول.. سممته غازات سامة جاءت من الغرب.

■ أقول لكتاب مسرح الأطفال: من أسباب زهد الأطفال بمسرحياتهم أن الحوار فيها أكثر من الأحداث.

رغم افتقاد الصورة واللون والحركة والصوت (البشري والطبيعي والموسيقي) نقول: مكانة الشعر أعلى لأنه يعطيك الصورة من غير رسوم، ويصف الحركة من غير متحرك، ويصنع الموسيقى من غير وتر، ويدفع السامع إلى التغني من غير غناء، ولا يقدر على كل ذلك إلا قدير.

زد على ذلك أن الشعر يشعرنا بانفساح المدى والرؤى رغم ضيق المكان في صفحة أو صفحات دون خلفية ملموسة كالتي استجدت باختراع المسرح الدوار والمسرح المتحرك.

● ماذا لديك من الإبداع الشعري والقصصي؟ وبمن تأثرت فيهما؟

●● نظمي للشعر قليل حرصا على أسلوبي النثري، ومن كتب في الصناعتين يعترف أن سلطان الشعر على النثر أقوى.. لذلك بادرت إلى الإقلال من النظم، وإن نظمت.. فأبيات.

وكان لدي منذ الشهادة الثانوية دفتران، سميت الأول (على أوتار الغناء) – وهو للأغاني العامية والزجل – وسميت الثاني (على أوتار القلوب) وهو للشعر والرجز وفيه مقطوعات من (غزل عفيف، وغزل لطيف، وإخوانيات ذات مداعبة، ونجوى ذاتية، و«اسكتش» حواري مدرسي، وآخر غنائي، وأحجية ونشيد مدرسي). وكان تأثري بغيري ضئيلا جدا، لأن (التأثر) تبعية أو اعتقال، فبرئت منهما بطبعي الخاص، اللهم إلا في أبيات تشم منها رائحة شعر (البهاء زهير) و (ابن سودون) وهما من عصر متأخر، لا لشعرهما، بل لدعاباتهما، ولأن حياة من لا يضحك نصف ساعة في اليوم ليست حياة.

● هل تتابع مسيرة الشعر العربي الحديث؟ وما رأيك فيما آلت إليه حاله؟

●● لا، لا أتابع مسيرة الشعر الحديث لأني – بصراحة – لست شاعرا. أما حال الشعر الحديث فلن أقول لأهله سوى: (ضيع الصياد الغزال فعاد إلى قومه بقنفذ) والمعروف أن القنفذ لا يصاد إلا إذا بال صياده عليه، وانظر كتاب الحيوان للجاحظ!.

● تتنازع أدبنا العربي الحديث تيارات كثيرة في اتجاهات مختلفة

د . حمدالله في سطور

- ولد بدمشق سنة ١٩٢٨م.
- تخرج في كلية الآداب بجامعة دمشق سنة ١٩٥٧م، ودبلوم التربية سنة ١٩٥٨م.
- درّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وفي كليتي التربية والآداب بجامعة دمشق سنوات طويلة، وفي المعهد العالي للفنون المسرحية، ودار المعلمين.
- مؤسس جمعية أدب الأطفال باتحاد الكتّاب العرب.
- قدم دروسًا تعليمية في التلفاز السوري على مدار ١٤ عامًا.
- اختير خبيرًا تربويًا في الشرق الأوسط من قبل منظمة اليونسكو مدة ٩ سنين.
- كتب الشعر والقصة والمسرحية، وشارك في التمثيل المسرحي والتأليف الموسيقي في شبابه.

مؤلفاته:

ابن زيدون ورسالتاه، الأسلوب التعليمي في كليلة ودمنة، النحو والصرف لوزارة التربية السورية، شرح المعلقات السبع، للزّوزني (تحقيق)، سلاسل الفكر، أكثر من أربعين قصة ومسرحية للأطفال، له ديوان شعري (مخطوط)، ونشر عددًا كبيرًا من المقالات والقصص والقصائد في الصحف والمجلات.

يمكن تلخيصها بالالتزام وعدمه، ما رؤيتك الخاصة في هذا الشأن؟

●● أعتذر عن الولوج في الالتزام وعدمه لأن الكرة لو ثبتت في إحدى الشبكتين، واستقرت فيها لانتهت اللعبة، وهم يريدون لها ألا تنتهي، واسألوا أهل الأمثال: (هل تنتهي أغنية الشيطان).

● اللغة وسيلة الأديب لإيصال شعره أو نثره إلى القراء، فهل أحسنت هي هذا الإيصال في هذا العصر؟

●● أولا: هذا تحجيم لوظائف اللغة، فبها نزل القرآن، وبها يتشاتم الناس.

ثانيا: هي للأديب وغيره.

ثالثا: أحسنت قديما بحرص الناس عليها، ولقد تبارزوا بها كتبارزهم بالسيف والرمح والنبال ولما فقدنا هذا الحرص اقتحمتها لغات العالم.

أعني: لما عجز غيرنا عن طعن القرآن في صميم معانيه ومراميه التفتوا لاقتحام لغته، وهكذا فعلت أوربة في شعوب شمالي إفريقية. ويخطئ من يقول: (ليست اللغة من الدين) ثم يؤذن ويصلي بالعربية. وهذا طبيعي، أو لم نر الآخرين يرتلون كتابهم بالسريانية وما هم سريانيون؟!

● كيف ترى مسيرة الأدب الإسلامي، وما الدور المنوط به؟

■ ما تنشره مجلة الأدب الإسلامي جيد جدا، لأن طريقها واضح لها وللناس جميعا، وما كانت لتعمل بغموض أو خصوص.

●● بعد انتقال رسول هذا الدين وناشره (صلى الله عليه وسلم) انتقل واجب الرسالة ونشر الرسالة إلى المؤمنين جميعا ولاسيما القادرون على فقهه وعلى وسائل بقائه عزيزا، وفي طليعة هؤلاء: المعلمون والمؤلفون والكتاب والخطباء والأدباء وأولياء الأمور والراعون لنشأة الأجيال. ولكن كثرة من الناس راحت تقول بأفواهها وربما بخواطرها وظنونها نحن لسنا أنبياء، وليس علينا أن نلتفت إلى إسلام الناس وأفعالهم، بل نتركهم وشأنهم ما دام المثل يقول: (كل عنزة معلقة من كراعيبها)! ولكن قد يكون القانعون بهذا المثل من التائبين حقا، فماذا نقول لهم؟ نقول لهم: توبتكم مقبولة والله أعلم، ولكنكم لم تستتيبوا أحدا بنصح ولا بإغراء، ولو فعلتم لانفتحت لكم فرجة – هي فرصة ذهبية – تمرون منها إلى الفردوس جزاء نصح أو حديث أو قصيدة تجلجل أو تزلزل فتعتدل القلوب التي في الصدور... تعتدل في جلستها أدبا وخشوعا، حوقلة وبسملة، توبة وإنابة، تكبيرا واسترجاعا، استعاذة واستغفارات تسفح الدموع سفحا...وعندئذ لن تكون إزاء الخاطئين بحاجة إلى تهديد أو وعيد، أو إغراء بجائزة، إذ حسبها عشرون سبيلا للعمل هي التي بسطناها الآن، وتعرفها الرابطة.

هذا، ومجلة الأدب الإسلامي – كما سمعت وشاهدت، تسنح لها الفرص مرارا فتفعل الكثير وتعلن عن كثير... أجل... هي تفعل ذلك كلما سنحت فإن لم تسنح (سنَّحتها) عن طيب خاطر بلا ضاغط ولا مضغوط.

● هل تتابع مجلة الأدب الإسلامي، وما رأيك فيما تنشره؟

●● رأيي فيما تنشره مجلة الأدب الإسلامي أنه جيد جدا، لأن طريقها واضح لها وللناس جميعا، وما كانت لتعمل بغموض أو خصوص. حتى موضوعات منشوراتها عامة ينتفع بها كل أحد، وستؤول إلى أحسن إن شاء الله، شعرا ونثرا، قصة وحوارا، ماضيا ومستقبلا، تاريخا ومعاصرة لكي تصلح لكل بلد عربي أو إسلامي وغيرهما، والحمد لله على الصفاء وحسن الاصطفاء الواضحين فيها ■

د . محمد وليد - سورية

رسالة عتاب

«رسالة عتب إلى القصيدة .. التي ما عادت تزورني إلا قليلا...»

أنـا أهـواك مـن عـهود بعيدةْ ... فلماذا هجرتني.. يا قصيدةْ

كنتُ في لُجة القريضِ سعيدا ... غارقا في الهوى وكنت سعيدةْ

صاغ قلبي هـواك شعـرا وفنا ... وزهـور الـربـيـع كُـنَّ شـهـودهْ

ومضى يسكب العطور على الو ... دِّ وأشواك الورود تدمي خدودهْ

* * *

قدري أنت في الهوى يا قصيدةْ ... وتـر في الـلـهـاة غـنـى نشـيـدهْ

أنـت قـيـدي فـهـل رأيـت فـؤادا ... غير قلبي أحـبَّ فيك قـيـودهْ

لا تـصـديـه إنـه صـادق الـوعـ ... ـد وقلبي ما خان يوما وعودهْ

هل رأيـت الـهـزار يبقى هـزارا ... حـين يـلـقـاك هـاجـرا تـغـريـدهْ

أو رأيـت الـربـيـع يبقى ربيعا ... عـنـدمـا يـهـجـر الـربـيـع ورودهْ

لا تقولي غاصت ينابيع قلبي ... فبقلب الـيـنـبـوع تلقين غـيـدهْ

لا تقولي خبت بروقي ورعدي ... إنَّ ماء السحاب يخفي رعودهْ

أنـا أشـكوك للقريض محبا ... ثم أشكو إلى الحبيب صدودْ

* * *

إن فقدتُ القريضَ سوف أُناجي ... سـائلا عنه كـلَّ روح شـريدةْ
سـأجوب القفار بعد الفيافي ... وسأسعى خلف البحار البعيدةْ
سوف أرقى الغيوم حتى أراه ... ثم أرقى النجوم حتى أعيدهْ
فـإذا مـا أعـدتـه عـدت نفسي ... إيه يا نفس ما خُلقتِ وحيدةْ
إنني الشعر صار شعري كياني ... وكياني قد صار محض قصيدةْ
هـو أنسـي إذا بثثت همومي ... هـو أمـن لـنـفـسيَ المـكـدودةْ
هو فجري إذا ادلهمَّ ظلامي ... هو إشراقة الصباح الوليدةْ
هو ضوئي في آخر النفق المس ... ـدود تأوي إليه نفسي الطريدةْ
هو صوتي الحر الذي لا يبالي ... كتب الحقُّ نحسه أم سعودهْ
هـو نـار تـكـوي الـفـؤاد ولكن ... لست أرضى في الحب إلا مزيدهْ

* * *

آنسيني في وحشتي يا قصيدةْ ... واذكـري لي أيـام أنسٍ رغيدةْ
حينما كنت والـزمـان شباب ... وشباب الـزمـان يغني وعـودهْ
تملأ السمع والفؤاد طيوري ... بصـدى زقـزقـاتـها الـغـرِّيدةْ
أجتني العطر من رحيق القوافي ... عندما تخطر القوافي الشرودةْ
وأمـانيَّ في السماء تجوب الـ ... ـكون تحيا خلف النجوم البعيدةْ

* * *

آنسيني في غربتي يا قصيدةْ ... واسكبي لي كؤوسك المعقودةْ
حلقي في سماء روحي وكوني ... أملي في شروق شمس جديدةْ
واكتبيني حروف شعر وضوء ... يجد المرء في سناها خلودهْ
يسكن الشعر بين أهدابِ جفني ... ثم يغفو ويستطيب رقودهْ
عـرف الحُـبَّ في بـريقِ عيوني ... فمضى واستحالَ فيها قصيدةْ

* * *

د. حلمي محمد القاعود - مصر

بحكم الظروف الحضارية في الغرب، فإن القوم هناك لا يتوقفون عن البحث، ومحاولة الوصول إلى المناهج والطرق النقدية التي تفسر النصوص الأدبية والظواهر الاجتماعية، وفقا للمعطيات والمستجدات التي تحكم الواقع الغربي، على المستوى المادي والصعيد الروحي.. ولم تكن البنيوية والتفكيكية آخر المطاف بالنسبة لهم، فقد ظهرت اتجاهات أخرى جديدة، تحاول أن تتجاوز القصور فيما سبق، وقد دخل علماء الاجتماع والفلاسفة والمؤرخون بقوة، إلى جانب نقاد الأدب ومدارسه السائدة.. وفي هذه الاتجاهات تبدو خيوط العودة الدائرية إلى ما سبق الحداثة واتجاهاتها المتعددة؛ فضلاً عن أن كثيرا منها -إن لم يكن كلها - تتداخل، ويبدو التمييز بينها شبه صعب ،ودقيقاً..

اتجاهات نقدية معاصرة

ويمكن القول: إن هذه الاتجاهات الجديدة، تعود بقوة إلى النقد الاجتماعي، في إطار ما يسمى الماركسية الجديدة، التي تجعل للظروف الاجتماعية وعوامل البيئة والمؤثرات الخارجية، دوراً مهمّاً في فهم النصوص الأدبية وتفسيرها، فهناك الماركسية الجديدة، والشكلية الروسية، والتأويل، والتلقي، والحوارية، والسيموطيقيا، والتحليل النفسي، ثم التاريخية أو التاريخانية الجديدة، والنقد الثقافي، والنقد النسوي، وما يعد اتجاهاً تكاملياً، وإن لم يفصح أصحابه عنه.

لقد دفعت فوضى الاتجاهات الحداثية، أو ما بعد الحداثية، وعدميتها؛ نقاد الغرب إلى محاولة الخروج من أسر النصوص، وموت المؤلف للخروج إلى ما رواء النص في محاولة لاستكناه ما يحمله من دلالات ومعان ذات صلة بالمؤلف والمجتمع معاً، وهي محاولة كما نرى تصب في اتجاه العودة إلى «النقد القديم بصورة معاصرة، ترتبط بأصحاب الاتجاهات الجديدة.

والمشكل في نقدنا العربي المعاصر، أن كثيراً من نقادنا العرب، وقعوا في أسر النقد الغربي منذ عقود، وهو أسر لم يتح لهم أن يهضموا نظرياته الحقيقية التي تسهم في بناء نظرية نقدية عربية، تتوافق مع طبيعة اللغة العربية وخصائصها ومميزاتها. ولعل هذا ما جعل النقد العربي الراهن يدور في حلقة مفرغة من القراءات غير المجدية، والتفسيرات العقيمة التي تزيد النص غموضاً وعماءً، بدلاً من إضاءته وتنويره، وهو ما يدفع بعض النقاد بطريقة وأخرى، إلى رفع لافتة «أزمة النقد العربي»؛ مع أن هذه الأزمة لها أسباب متعددة، من بينها بالضرورة التماهي مع النظريات النقدية الغربية، دون وعي أو هضم أو فرز.

ولعل تناول بعض الاتجاهات النقدية الأخرى فيما يلي من صفحات، يضيء لنا أحدث التحوّلات النقدية في الغرب، وعلاقتها بواقعنا النقدي في العصر الحديث، وسنتوقف عند بعضها أو أبرزها كما نتصور:

النقد الثقافي.

النقد النسوي*.

الاتجاه التكاملي.

النقد الثقافي

ظهر النقد الثقافي في الغرب، في صورة رد فعل ضد فوضى التفكيك وعدميتها، باتجاهاتها المختلفة: الماركسية الجديدة، والمادية الثقافية، والتاريخية الجديدة، وما بعد الكولونيالية، والنقد النسوي.. [١].

ويعد الناقد الأمريكي (من أصل عربي) إدوارد سعيد من أبرز كتاب النقد الثقافي في تحديده للمنطقة الوسط بين البنية الفوقية للنص، وبنيته التحتية من ناحية، والنصّ بوصفه صومعة راهب – لابد أنه مؤلف النص – حيث يكون البعد المهم هو البعد الداخلي للنص فقط. لابد من وجود منطقة وسط يمكن عندها التعامل مع اللغة الأدبية بلاغياً، دون عزلها عن القضايا الأكثر إلحاحاً للحياة اليومية كما يقول هيليس ميللر [٢].

إدوارد سعيد

وقد كانت مجلة «النقد الثقافي» التي ظهرت في جامعة «مينسوتا» عام ١٩٨٥م هي الأرضية العريضة التي تأسس عليها التفسير الثقافي بصفة عامة، حيث تلتقي الدراسات الأدبية والفلسفية والأنثروبولوجية والاجتماعية والجمالية [٣].

المصطلح:

ويربط مؤلفا «دليل الناقد الأدبي» بين التاريخية الجديدة أو «التاريخانية الجديدة» و «التحليل الثقافي» الذي أخذ ينمو في نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن العشرين، على يد مجموعة من النقاد في مقدمتهم «ستيفن جرينبلات» الأستاذ بجامعة كاليفورنيا – بيركلي، حيث أطلق على التحليل الثقافي

مصطلح «شعرية أو بويطيقيا الثقافة» غير أن مصطلح «التحليل الثقافي» فرض نفسه بوصفه تسمية إجرائية ملائمة.

والتاريخانية الجديدة إفراز لما بعد البنيوية، وتضم عناصر هيمنت على اتجاهات نقدية أخرى، مثل الماركسية، والتقويض، وأبحاث الأنثروبولوجيا الثقافية وغيرها، لقراءة النص في إطاره التاريخي الثقافي، مع ملاحظة تأثير الأيديولوجيا وصراع القوى الاجتماعية في تشكيل النص، حيث تتغير الدلالات وتتضارب حسب المتغيرات التاريخية والثقافية.

وقد حدد «جرينبلانت» معالم هذا الاتجاه بذهاب التحليل الثقافي الكامل إلى أبعد من النص للربط بين النص بالقراءة الفاحصة لاستعادة القيم الثقافية التي امتصّها النص الأدبي، ونتيجة لهذا يمكن تكوين صورة للثقافة بوصفها تشكيلاً معقداً، أو شبكة من المفاوضات لتبادل السلع والأفكار، بل وتبادل البشر أيضاً من خلال مؤسسات مثل الاسترقاق، والتبني، والزواج[٤].

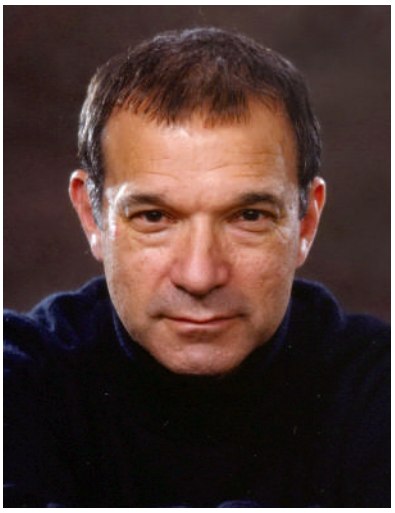

جرينبلانت

جناية الشعر العربي:

ومن هذا المنطلق يتساءل «عبدالله الغذامي» – أبرز من روّجوا للنقد الثقافي في البلاد العربية – عما يسمى الحداثة العربية، وهل هي حداثة رجعية؟ وهل جنى الشعر العربي على الشخصية العربية، وهل هناك علاقة بين اختراع ما يسميه بالفحل الشعري و «صناعة الطاغية»؟ [٥].

يجيب الغذامي في ثنايا معالجته للنقد الثقافي على هذه الأسئلة بـ «نعم»، وذلك من خلال نماذج لشعراء معاصرين وقدامى، وبعض المواقف التي اتخذها بعض الحكام العرب.

بيد أنه يعيد التساؤل حول الشعر العربي والثقافة العربية: هل في ديوان العرب أشياء أخرى غير الجماليات التي وقفنا عليها – نحن العرب، وحق لنا – لمدة قرون..؟ وهل هناك أنساق ثقافية تسربت من الشعر وبالشعر لتؤسس سلوكاً غير إنساني وغير ديمقراطي؟

ويؤكد الغذامي إجابته بالإثبات، من خلال تأويل النماذج الشعرية التي أكثر منها، وما يسميه فكرة «الفحل» وفكرة «النسق الشعري» بوصف ذلك دعماً للسلوك غير الإنساني وغير الديمقراطي في الثقافة العربية، وبذا كانت الثقافة العربية – بما أن أهم ما فيها هو الشعر – وراء شعرنة الذات، وشعرنة القيم..[٦].

ومع أن هذا التأويل يبدو مغرقاً في الخيال، وبعيداً عن طبيعة الواقع التاريخي والجغرافي؛ الذي صيغت فيه هذه النماذج الشعرية وغيرها، إلا أنه يكشف من خلال الأسئلة التي طرحها عن مفهوم «النقد الثقافي» في تصوّره، انطلاقاً من مرحلة ما بعد الحداثة، والرواية التكنولوجية، والنقد المؤسساتي، والتعددية الثقافية، ثم التاريخانية الجديدة (الجماليات الثقافية).

الفلسفة الجمالية والنقد الثقافي:

ويبدو أن المشتغلين بعلوم الفلسفة في بلادنا العربية قد وجدوا في النقد الثقافي بغيتهم أيضاً، فاهتموا به واعتمدوا عليه في تفسير بعض الظواهر، وقد أنتج بعضهم في السنوات الأخيرة بعض الدراسات التي طرحوا فيها تصوّراتهم للنقد الثقافي مع التطبيق على

بعض النصوص الأدبية، ومنهم «صلاح قنصوه»؛ الذي أصدر دراسة بعنوان «تمارين في النقد الثقافي»، حاول فيها بحكم أنه أستاذ فلسفة علم الجمال، أن يقلص الفجوة بين المثقف والقارئ العادي.

ويعرف «قنصوه» النقد الثقافي بأنه:

«ممارسة أو فاعلية تتوفر على درس كل ما تنتجه الثقافة من النصوص، سواء كانت مادية أو فكرية» ومعنى النص هنا كل ممارسة قولاً أو فعلاً تولد معنى أو دلالة.

وقد خصص قنصوه القسم الأول من دراسته للتناول النظري الذي يوضح مفهوم النقد الثقافي، ومعنى الثقافة ومستوياتها التي رآها تنحصر في:

أ- ثقافة الجِلْد، أي العرق والدين واللغة.

ب – ثقافة المشترك القومي (الموروث القومي).

جـ - الثقافة المعاصرة للمجتمع أو الأمة.

لقد أقام قنصوه كتابه على أساس رياضي، محاولاً الاقتراب من «العلمية المحضة»، فبدأ بالنظرية ثم التمارين المحلولة، ثم التمارين التي تختبر مستوى القارئ..

ثم إنه يستخدم مجموعة من الجمل والأمثال الشائعة والمتداولة بين العامة لإثبات آرائه، والتأكيد على أنها آراء العامة أيضاً، وليس من الناقد المثقف فقط.

ويشترط» قنصوه» شرطين لتحقيق نظريته:

الأول: وجود خطوات وإجراءات يعتمدها الباحث (التوافق المنهجي).

الآخر: الاتفاق على التعريفات الخاصة بالمفاهيم (التكافؤ القياسي).

ولا يغفل «قنصوه» أنه يسير وفقا لخطا (ماركس) لبلوغ المستوى العلمي، بيد أنه لا يتوانى عن رفض النظرية الماركسية؛ إذا تغيرت الأوضاع القائمة والمؤثرة، فهي ليست لاهوتاً ولا فلسفة، لأن العلوم تتجاوز بعضها، وتنتقل من مرحلة إلى أخرى[٧].

خصائص:

وأيا كان الأمر؛ فإن مصطلح «النقد الثقافي» ينتمي في الأساس إلى» فينيست ليتش «حيث يطرحه مرادفاً لمصطلح ما بعد الحداثة، وما بعد البنيوية، حيث نشأ الاهتمام بالخطاب بما أنه خطاب، وهذا ليس تغييراً في مادة البحث فحسب، ولكنه أيضا تغيير في منهج التحليل[٨].

صلاح قنصوه

ويطرح «ليتش» مجموعة من الخصائص للنقد الثقافي، تتضح في:

- الانفتاح على مجال عريض من الاهتمامات تتجاوز ما هو محسوب ضمن المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة، سواء كان خطاباً أو ظاهرة، ولا يوضع النقد الثقافي في إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي.

- الاستفادة من مناهج التحليل المعرفية مثل تأويل النصوص، ودراسة الخلفية التاريخية، والموقف الثقافي النقدي، والتحليل المؤسساتي.

- التركيز على أنظمة الخطاب والإفصاح النصوصي، كما هي لدى بارت وديريدا وفوكو، وخاصة في مقولة «ديريدا»: «أن لا شيء خارج النص». وهي مقولة يعدّها «ليتش» بروتوكولاً للنقد الثقافي المابعد بنيوي، ومعها مفاتيح التشريح النصوصي عند «بارت»، وحفريات فوكو..

ويقترح «ليتش» تطوير ما سماه فوكو (الأنظمة الحقيقية) إلى (الأنظمة الفعلية وغير الفعلية) بديلاً عن مصطلح الأيديولوجيا المحمل بدلالات سياسية، بهدف فتح إمكانات أوسع للنقد الثقافي ما بعد البنيوي[٩].

النسق المضمر:

لقد اجتهد «الغذامي» في تطوير الخصائص التي طرحها «ليتش» لبلورة طبيعة النقد الثقافي من خلال ما يسميه نظرية النسق المضمر، وهو نسق ثقافي وتاريخي؛ يتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، ويتقن الاختفاء من تحت عباءة النصوص، ويكون له دور سحري في توجيه عقلية الثقافة، وذائقتها ورسم سيرتها الذهنية والجمالية.. إنه يبحث عما وراء الجماليات من أنساق مضمرة في النصوص.

وثمة ملحظ مهم، يحتم التمييز بين النقد الثقافي والدراسات الثقافية، مثلما يتم التمييز بينه وبين النقد الأدبي.

يرتب الغذامي على ذلك هدفاً واضحاً للنقد الثقافي، وهو البحث في العيوب النسقية للشخصية العربية «المتشعرنة»! و «الشعرنة» رديف لمفهوم السلبية سواء في الذات العربية أو قيمها، وخاصة في الصراع بين السلطة والمجتمع، أو بين الهيمنة والاستقلال..

ومن ثم يهاجم الغذامي النقد الأدبي، ويراه قد استنفد أغراضه بعد أن أوقعنا – نحن العرب – أو أوقع نفسه في حالة من العمى الثقافي العام (!) عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي الذي اهتم به على مدى القرون الطويلة حتى صارت نماذجنا الراقية بلاغيا؛ هي مصادر الخلل النسقي[١٠].

لقد صارت «ألف ليلة وليلة» وفقا لخطاب المؤسسة الثقافية وميراثها البلاغي والجمالي غير لائقة إلا بالصبيان والنساء وضعاف النفوس، في الوقت الذي صارت فيه «كليلة ودمنة» ذات مكانة عالية، لأن كاتبها أحد فحول الخطاب الثقافي الذي ينتسب إلى المؤسسة الثقافية الرسمية، فضلاً عن كونه مكتوباً للملوك ومن يُوصَفون بالعقلاء[١١].

وبناء على فكرة «الأنساق المضمرة» يصبح الشعر العربي؛ هو المخزن الخطر لهذه الأنساق، وهو الجرثومة المستترة بالجماليات التي ظلت تفعل فعلها، وتفرز نماذجها جيلاً بعد جيل في كل التجليات الثقافية شعراً ونثراً[١٢].

فكل شاعر قديم له نصان، أحدهما أشعاره المروية، والآخر ما يدور حوله من قصص مبثوثة في الكتب. وهذا النص الأخير أهمله النقاد، وهو مختلف تماماً عن الأول، لأنه يكشف الهامشي والإنساني، والذي يختلف عن لغة الأنا المتعالية وصورة الواحد المنفرد.. وبناء عليه فالمتنبي مبدع عظيم أم شحاذ عظيم؟! وهل صنعت الطبقات الثقافية الأب الأول، أو الأب الصنم البلاغي؟ وأبو تمام هل هو شاعر رجعي؟ وهل عادت فكرة الفحل لدى نزار قباني، والرجعية لدى أدونيس؟

هذه الأسئلة وغيرها، يتوسع الغذامي في مناقشتها، ويجيب عليها بالإثبات دون النفي، ليدين الثقافة العربية كلها التي تنتج الطاغية والفحل والفرد الصنم![١٣].

سبعة عناصر:

ويحدد الغذامي – وفقا لما وضعه ليتش – سبعة عناصر أساسية في تحليل النصوص اعتماداً على النقد الثقافي، هي:

١ – الرسالة التي ينقلها النص.

٢– المجاز ووظيفته في النص.

٣– التورية الثقافية.

٤– نوعية الدلالة الفكرية التي يركز عليها النص.

٥– الجملة النوعية.

٦– المؤلف المزدوج.

٧– علاقة النص بالنسق الفكري السائد[١٤].

نقد شمولي وحضاري:

وكما نرى، فالنقد الثقافي يعود بنا إلى ما يمكن تسميته بالنقد الشمولي، الذي يجعل «الاجتماعي» سابقاً على «الجمالي»، ويعتمد على التأويل المفرط الذي يستنبط نتائج تخدم «الأيديولوجيا» أكثر مما تخدم «الفني» و «الإبداعي». كما يذكرنا بمقولة ابن سلام الجمحي الشهيرة في كتابه «الطبقات»: «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد، ومنها ما يثقفه اللسان..»[١٥].

د.عبدالله الغذامي

نقد شمولي إذاً، ربما نستطيع أن نقول: إنه كان نقداً ثقافياً، وفقاً للارتباط بين الأدب والثقافة. ومثل الجمحي ما حكمت به أم جندب على شعر علقمة وامرئ القيس، فضلاً عن نماذج أخرى [١٦].

ويمكن أن نعده أو نسميه نقداً حضارياً، كما يذهب صاحبا (دليل الناقد الأدبي)، وفقا لتطبيقات طه حسين والعقاد وأدونيس ومحمد عابد الجابري وعبدالله العروي.. بحكم أنه نشاط فكري يتخذ من الثقافة بشموليتها والحضارة باتساعها، مجالا رحبا لتجلياته، على أساس أن الثقافة كيان معنوي، يمثل عقل الحضارة التي هي كيان مادي تتجلى فيه مظاهر الرقي العلمي والأدبي والاجتماعي [١٧].

نتائج غير مقنعة:

لقد حاول بعض الباحثين العرب التطبيق على بعض النصوص الأدبية العربية من خلال النقد الثقافي أو التحليل الثقافي، وللأسف فقد كانت النتائج التي توصلوا إليها أقرب إلى المبالغات والافتعال، وقد سبقت الإشارة إلى بعض نتائج دراسات الغذامي في بعض النصوص القديمة والحديثة في أدبنا العربي، فقد وصل مثلاً إلى أن أبا تمام والمتنبي فحلان سامقان، ولم نر ما أحدثاه في أنساقنا الثقافية من عيوب خطيرة هما وغيرهما، من مثل نزار قباني، وأدونيس الرجعيّين، بينما تؤكد المؤسسة النقدية على تقدميتهما [١٨].

وعلى سبيل المثال أيضاً، فإن باحثاً آخر قرأ اعتذاريات النابغة الذبياني من خلال التحليلات الثقافية، أو التاريخية الجديدة، معتمداً على مقولات «جرينبلات»، ووصل إلى أنها ليست خطاباً زائفاً يُقلّل من قيمة الشعر أو مروءة الشاعر، بوصفه خطاباً صانعاً للسلطة الممدوحة، ومعززاً لقانون الرغبة والرهبة، وإنما هي توظيف عقلاني (!) ذكي لبلاغة الكلمة وسلطة الإضمار النسقي، قصد تأسيس الذات الشعرية الرافضة لكل محاولات الاستقطاب السلطوي، والثائرة كذلك على كل محاولات تسليع الفن، أو تأصيل ثقافة الاستجداء من قبل الآخر/ السلطة... [١٩].

ولسنا نرى سلطة إضمار نسقي في رجل يضع نفسه موضع «العبد الأمين»، ويجعل ممدوحه ربيعاً «ينعش الناس سيبه»، و سيفا «أعيرته المنية..» إنه رجل يعيش الرعب، ويودّ أن ينجو بنفسه بأي ثمن:

أتوعد عبداً لم يخنك أمانة
وتترك عبدا ظالماً وهو ضالع؟!
وأنت ربيع ينعش الناس سيبُه
وسيف أعيرته المنية قاطع...

ومع احترامنا لكل الاجتهادات، فإن لنا أن نختار منها أو نرفض وفقا للمنطق والإقناع العقلي ..

مأزق النقد الثقافي :

وهذا الاختيار أو الرفض للقراءة يعتمد على مدى الاقتناع بمنطقية القراءة وواقعيتها، وإذا كان قراء النصوص وفقاً للنقد الثقافي، يغرقون في إخضاعها لتأويلات غير مقنعة، فإن النقد الثقافي قد تهاوى تحت مطرقة التغيرات الثقافية نفسها .

إن النقد الثقافي – وهو يساري الهوى – يجد نفسه اليوم في مأزق حقيقي بعد التغيرات السياسية والأيديولوجية والاقتصادية التي يمر بها العالم اليوم في إيقاع لاهث منذ انهيار الاتحاد السوفياتي، مع بداية تسعينيات القرن العشرين، وانهيار ثوابت كثيرة قامت عليها الماركسية الثقافية، والماركسية المعدلة [٢٠].

ومع أن النقد الثقافي تخطته الأحداث داخل الثقافة الغربية التي أنتجته، فإن بعض النقاد العرب ما زالوا مفتونين به ويروجون له في بلادنا، مما وضعهم في أزمة خاصة بهم، ترتبط بأزمة النقد الثقافي الغربي نفسه وتختلف عنها..

لقد تزامن صعود نجم النقد الثقافي الذي لا يخفى انتماءاته اليسارية الواضحة، وإن كانت لا تصل بالضرورة إلى التبني الصريح للماركسية، مع صعود نجم اليمين الأمريكي منذ منتصف الثمانينيات من القرن الماضي.. وقد تعايش الاتجاهان (اليسار واليمين) لسنوات، بشكل واضح دون أن يضيق أحدهما بالآخر، ومع بداية الزمن الأمريكي الجديد في أول القرن الحادي والعشرين؛ فإن هذا الزمن بدأ يفرض أيديولوجياته.. ولا أحد يدري ماذا سيفعل النقاد العرب؟! هل سيتبعون المدرسة الأمريكية الجديدة، أم سيعودون إلى مذاهب الحداثة الغربية وما بعدها؟ إنها أزمة المثقفين العرب وحدهم [٢١].

وإذا كان النقد الثقافي يعيش مأزقاً تاريخياً؛ فهل يستطيع النقد النسوي أن يحل جانباً من هذا المأزق؟ هذا ما سنعرفه إن شاء الله■

الهوامش:

(*) نشر مقال النقد النسوي في العدد ٦٦ من المجلة.

(١) عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه: دراسة في سلطة النص، سلسلة عالم المعرفة ٢٩٨، الكويت، ٢٠٠٣، ص ٣٥١

(٢) السابق، ص ٣٢٩.

(٣) فينيست لينش، النقد الأدبي الأمريكي، من الثلاثينيات إلى الثمانينيات، ترجمة: محمد يحيى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠ ، ص ٤١٠.

(٤) ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ط ٢، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ٤٥ .

(٥) عبدالله محمد الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص ٧ .

(٦) السابق، الصفحة نفسها.

(٧) صلاح فضل، تمارين في النقد الثقافي، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٧ ،

(٨) الغذامي، النقد الثقافي، ص ٣١ .

(٩) السابق، ص ٣٣ .

(١٠) نفسه ص ٨ .

(١١) نفسه، ص ٥٧ – ٥٨ .

(١٢) الغذامي، النقد الثقافي، ص ٨٧ – ٨٨.

(١٣) السابق، ص ٨٨ وما بعدها.

(١٤) السابق أيضاً، ص ٦٣.

(١٥) ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة.

(١٦) محمد مشرف خضر، تحولات الفكر النقدي في القرن العشرين، ط ٢، دار المصطفى للنشر والتوزيع، طنطا، ٢٠٠٧، ص ١٥٠

(١٧) انظر السابق ص ١٦٩، ودليل الناقد الأدبي ص ٣٠٥ .

(١٨) النقد الثقافي: قراءة في الأنساق العربية، ص ٥٩.

(١٩) يوسف محمود عليمات، جماليات التحليل الثقافي: اعتذاريات النابغة الذبياني نموذجا، مجلة عالم الفكر، م ١، ع ٥٥، الكويت (يونيو – سبتمبر ٢٠٠٦)، ص ٩٦.

(٢٠) الخروج من التيه، ص ٣٣٩.

(٢١) السابق، ص٣٥١-٣٥٢.

إمام المرسلين

عبدالرحمن سليم الضيخ - سورية

إمـام المرسلين إليك شوق ... يطير بمهجتي نحو الربوعِ

ويحمل ما تبقى من فؤاد ... يذوب بحبه بين الضلوعِ

إذا ارتحل الخيال إلى حماكم ... تسيل بحر لهفتها دموعي

ويخفق مستهاما نبض قلبي ... ويسبح في تباريح الخشوعِ

متى يا خير خلق الله أحظى ... بما يطفي بسلسله ولوعي

إذا ما جن ليلي تحتويني ... عواطف هد أضعفها قلوعي

تشاغلني دوامـا ذكريات ... بروضة مصطفى هاد شفيعِ

سجدت برحبها والعين تجري ... تذيب دموعها أعتى صقيعي

فتسمو مهجتي فوق البرايا ... وتلتهب المسارب في نجيعي

بقلبي قبة خضرا أظلت ... إمام الخلق ذا الفضل الرفيعِ

بقلبي صاحبان جوار خير ... بهم تزكو الأصول مع الفروعِ

حباهم خير خلق الله حبا ... سما بهما على خير الجموعِ

عليه صلاة رحمان رحيم ... ودود خالق بَـرٍ سميعِ

على آل وأصحاب كرام ... وأتباع إلى يوم الرجوعِ

يتجدد حضور هذا الإنسان الرائد في نفوس محبيه كلما ما لاح في الأفق ضوء المنتديات، واستروح عبيرها كل عاشق للفكر والأدب، الأستاذ الشاعر عبد العزيز الرفاعي أحد عمداء الندوات في عصرنا الحاضر، وأحد محتضني اللقاءات الفكرية الفذة منذ أن أنشأ ندوته الأثيرة في مكة ثم في الرياض عام (١٣٨٢هـ) حتى وفاته عام (١٤١٣هـ)، ولم يقتصر حضور الأستاذ عبد العزيز الرفاعي على إقامة ندوته (الخميسية) كل أسبوع في داره بحي الملز بالرياض، ولكنه تجاوز ذلك بنشاطه الأدبي عبر سلسلته (المكتبة الصغيرة) وتسجيله التوثيقي لرحلاته في الحج، ومع المكتبات، ورحلته مع التأليف، ومع الشعراء، ومع الأدباء، والمواقف التي تناولهم في مجموعة من كتبه القيمة، ثم ذلك التدفق الوجداني المتوزع في قصائده التي نشرت في ديوانيه الشعريين (السلام عليك) و (ظلال ولا اغصان) وكانت خاتمتها قصيدته البكائية المؤثرة التي نسجها آخر حياته، وألقاها في حفل تكريمه الأخير بالنادي الأدبي في جدة، شهر رمضان عام ١٤١٣هـ - رحمه الله -.

في حضرة الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي

عبدالله سالم الحميد- السعودية

عرفت أستاذي الشيخ الرائد عبد العزيز الرفاعي عبر مقالاته التي كان ينشرها في الصحف، ومن قراءة سلسلته (المكتبة الصغيرة) ومتابعتها حيث كنت أنتظر صدورها لأبادر إلى قراءتها واقتنائها، وكان أول لقاء لي معه في ندوته الخميسية بداره بالملز عام ١٣٩٧هـ حين اصطحبني صديقي الأستاذ معيض بن علي البخيتان لأقدم له باكورة

إنتاجي الشعري (أمل جريح) الذي صدر عن رابطة الأدب الحديث بالقاهرة بعد انضمامي إليها، وقدم له أستاذي الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، صديق الرفاعي. وأذكر أنه بعد انعقاد (ندوة الرفاعي) ذلك المساء الذي كان فيه ترحيب بي وبصدور هذا الديوان الشعري، بادرني الأستاذ عبد العزيز الرفاعي بسؤال لم أتوقعه

:- لماذا اخترت هذا العنوان «أمل جريح» لديوانك ؟

فأجبته باختصار (أمل مضاف إلى جريح، أنا جريح وهذا أملي، والقصائد الوطنية في هذا الديوان تعبر عن العنوان) وكان صديقي الأستاذ محمد بن أحمد الشدي معجبا بعنوان هذا الديوان الذي قال: إنني وفقت في اختياره مما شجعني إلى متابعة إصدار خمس طبعات من هذا الديوان تجاوز عدد نسخها عشرين ألف نسخة وسط احتفاء إعلامي أثير في الصحافة والإذاعة، والمجلات والدوريات الثقافية آنذاك، ومنذ حضوري تلك الندوة الرفاعية تكشف اهتمامي بالندوات، والأمسيات الأدبية التي كانت من أهم الحوافز والروافد الإبداعية الأثيرة التي يلتقي فيها المثقفون.

وتقديرا لمكانه أستاذي عبد العزيز الرفاعي وحضوره الإبداعي الأثير وأهمية هذا الحضور في تنمية الوعي الثقافي في مجتمعنا ودعمه قمت بدراسة شخصيته الثقافية والإنسانية فأعددت عنه حلقة من برنامجي الإذاعي (شاعر من أرض الجزيرة)، ثم تناولته في برنامجي الإذاعي (رجال في الذاكرة)ضمن نخبة من الرواد الذين تناولتهم في هذا البرنامج التوثيقي الذي تم تقديره في (دارة الملك عبد العزيز)واختير ضمن الأعمال المكرمة لجائزة التوثيق التاريخي الشفوي عام ١٤٢٤هـ حيث حصلت على (درع التكريم) من الدارة من يد صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، رئيس مجلس الدارة، بالإنابة عن ولي العهد آنذاك الأمير عبد الله بن عبد العزيز في الاحتفال المقام بهذه المناسبة بتاريخ ٨/٢٨/ ١٤٢٤هـ، بمقر (دارة الملك عبد العزيز) بالرياض، مما حرضني على إصدار (السفر الأول)من كتاب (شخصيات في الذاكرة)، ثم كتاب (شعراء من الجزيرة العربية)في أربعة أجزاء تناولت فيها

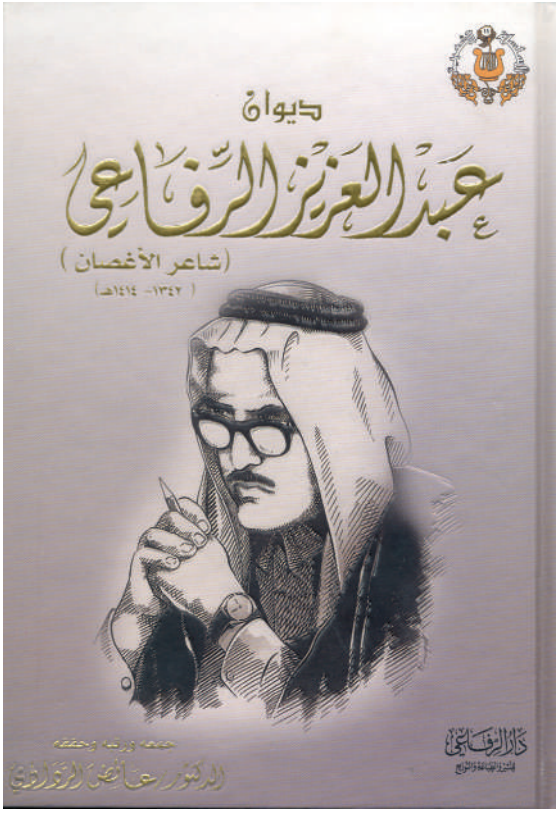

(أربعة وأربعين شاعرا)من ضمنهم أستاذي الشاعر عبد العزيز الرفاعي.

وقد نسجت في شخصيته الفذة قصيدة بعنوان (بوح الوداع الحزين)نشرت في ديوان (السفر في ذاكرة الوطن)تقول أبيات منها :-

صور..شموخ الشمس تغزلها قُبَلْ
وشذى..تدثر بالندى حتى ابتهلْ
وخمائل الأرج المنضر تجتلي
كالغيد..وشحها الربيع إذا اكتملْ
ما كان أبدعها نوابغ أمطرت
ثبجا من المثل النبيلات..الأجلْ
شجر تمدد شامخا..وظلاله
سمقت..سجاياه الأفانين الظللْ
لله درك - يا أبا عمار - إذ
هتفت مآثرك البديعات الحللْ

السلام عليك.. قصيدة في ديوان:

للشاعر الرائد الأستاذ عبد العزيز بن أحمد الرفاعي قصيدة نسجها في شخصية النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، تعد من روائعه الشعرية، يؤثر من قرأها أن يعيد قراءتها، ويتأملها دون أي تعليق لأنها قصيدة روحانية مشرقة بالحضور البهي أمام شخصية عظيمة، جديرة بكل احترام وتقدير، ولا يملك من يحظى بهذا الحضور الوجداني الأثير إلا أن يعيد قراءتها ليستمتع بتجليات الوجدان الشعري الإنساني فيها.

يقول في مطلع قصيدة (السلام عليك) عن النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم:

المبدعون، وكيف لي أن أبدعا
قطفوا الروائع، لم أجد لي مطلعا
ضفروا لسدتك النجوم فزاحموا
فيها، فما تركوا هنالك موقعا
ذهبوا بمدحك حيث ما ذهب الهوى
فحسبتهم أهدوا إليك روائعا
ولقد ظننت بأنهم بلغوا الذرى
فإذا بمجدك لايزال روائعا

قصيدة (سبعون) خلاصة تجربة الرفاعي:

في أواخر أيام حياته قام النادي الأدبي بجدة بتنظيم حفل ثقافي لتكريم الرفاعي ولكن الشاعر – المكرم – الذي رأى معاناته وتجربته في الحياة مكتظة بهواجس، آثر أن ينسجها في مشاعر فياضة معبرة في قصيدته عن سبعين سنة أنفقها في البحث والتأمل والقراءة والتدبر والعطاء، جاءت المشاعر متدفقة لتؤكد الحضور الأثير في نسيج الإبداع، ها هو الشعر ينهمر ليكون مسك الختام لتجربة عمر حافل بالعطاء والإيثار والحضور الأمثل، والحاضرون المشتركون في الوفاء والتكريم آذان صاغية لهذا النبض الوجداني الأثير حين يتدفق الشاعر عبد العزيز الرفاعي قائلا وبين عينيه تمثل ملامح الوداع الحزين:

سبعون يا صحبي وجلَّ مصابُ
ولدى الشدائد تعرف الأصحابُ
سبعون يا للهول أية حقبة
طالت، وران على الرحيق الصَّابُ
تتراكم الأعوام فوق رؤوسنا
حتى تئن من الركام رقابُ
لا تعجبوا إن ندَّ خاطر متعب
بعد السرى وشكا إليه ركابُ

وبعد : فقد نشرت جريدة الجزيرة ملحقا عن الشاعر عبد العزيز الرفاعي تكريما ووفاء له، وكذلك جريدة المدينة بملحق الأربعاء، وأعدت مجلة الأدب الإسلامي عددا خاصا عنه صدر برقم (٥٤) عام ١٤٢٨هـ.

ولكن المطالبة بتكريمه تتمثل في نشر مجموعتيه الشعريتين(*)، ونخبة من كتبه التي صدرت في سلسلة (المكتبة الصغيرة) ونفدت من المكتبات ليتمكن الجيل المعاصر من القراءة المتصلة لأولئك الرواد الذين كان لهم حضور أثير في نسيج المجتمع ومنتديات الإبداع■

(*) صدر شعره كاملا في ديوان عبدالعزيز الرفاعي (شاعر الأغصان)، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م.

عام مضى

جميلة هادي الرجوي - اليمن

عامٌ مضَى يشكُو جهالة أهلِه ... وتئنُّ.. في جَنَبَاتِهِ الآلامُ

قتلٌ وتدميرٌ وحقدٌ يُمتَطى ... تفنى به الأوطانُ والأحلامُ

وزهورُ أرضِ الياسمينِ تدنْسَتْ ... وتسابَقتْ في سحقِها الأقدامُ

* * *

بكتِ السّما والأرض زلزلها الصّدى ... والظالمون قلوبهم أصنامُ

فاضت بدجلةَ والفراتِ مدامعٌ ... والقومُ سكرى فجرهم إظلامُ

والطائفيّةُ في سعيرٍ ألهبتْ ... أرضَ الرّشيدِ..وسادتِ الأقزامُ

راحت طيورُ الأرضِ تهجرُ أيكها ... من غير زادٍ في الهوان تسامُ

* * *

في كلِّ بيتٍ في العراق ضحيّة ... باسم الجهاد تقطَّعُ الأرحامُ

إنّ الجهادَ.. فريضةٌ قدسيَّةٌ ... نحو العدوِّ تصوَّب (الأسهامُ)

ليس المجاهدُ من يجورُ ليعتلي ... عرشَ الحياةِ.. وفكرهُ هدّامُ

هو رحمةٌ لأخيهِ يعضد جهدهُ ... وعلى الدخيل صواعقٌ وحمامُ

لبى نداءَ الدينِ منتصراً لهُ ... في الله يحلو الموتُ والإقدامُ

* * *

ظلّ إبداع المرأة العربية طوال القرون الماضية متوشحاً بالسواد، ومُجللاً بالدموع والدماء، منذ أن وقفت «نائحة بني سليم» سيدة الشِّعر النسائي ترثي أخاها في سوق عكاظ، وكأنها رسمت حول الشعر النسائي دائرة من الدموع والأنين والأحزان، فلم يعد الشعر عندها إلا الرثاء، وصادرت سائر أغراضه ... ولم نعرف على مر القرون من بنات جنسها مَنْ كسرت ذلك الطوق أو مدتْ أظافرها لتمزق جدار الشرنقة الأنثوية المحاصرة بطوفان الدموع والألم والفقدان واللوعة إلاّ ما ندر، فالمرأة عندنا – كما تقول نوال مهني: «محاطة بقيود صارمة بعضها موروث، وبعضها بحكم ظروفها العائلية، وأغلب هذه القيود من صنع الرجل، فالرقابة على المرأة تتعدى حدود الرقابة على تصرفاتها إلى الرقابة على فكرها وخيالها، أيْ منعها حتى من التعبير عن أفكارها ومشاعرها، لدرجة محاولة تفسير كل ما تكتبه لغير صالحها، بلْ والبحث بين السطور عن أدلة اتهام ضدها!»

«نوال مهنى» شاعرة الوادي..

من الذاتية إلى الفضاء الطلق

محمد عبد الشافي -مصر

ولكن، أخيراً أفلح الشِّعْر النسائي في الخروج من قفص الحريم المخملي، فإذا به يتفاعل مع ما يموج به عالمنا من صراع دام، ومواجهات عنيفة، وإذا به يتدفق هادراً صاخباً، وإذا به يندفع إلى خطوط المواجهة شاهداً ومؤرخاً ومترجماً لإحساس الأنثى بقيمة البطولة والشجاعة والفداء والصبر، بل المشاركة في سائر ميادين الحياة.

ولعل الشاعرة نوال مهني، من أولئك الشاعرات اللائي شاركن في الحياة الأدبية بإسهامات بارزة ومتنوعة، فقدمت أعمالاً تجاوبتْ مع معطيات واقع الأمة وهمومها،

فرسمت لوحات بديعة في الشعر والنثر والمقال والمسرحية، عرضت من خلالها صورة حية وواقعية لما أصاب الأمة من تصدعات ونكبات ونوازل في عصر الهزائم والاستلاب الحضاري والتمزق السياسي الراهن، وبذلك ارتفعت برسالة الإبداع النسوي عن نمطه التقليدي الذي عاش قروناً في القمقم الأنثوي منكفئاً ومنعزلاً وملتفاً حول الهموم والمشاعر الذاتية الضيقة؛ إلى استشراف مستقبل أفضل ومحاولة المشاركة في صناعته وترسم خطاه.

لقد شاركت «شاعرة الوادي» أخواتها الشاعرات العربيات في تشخيص أدواء الأمة، واستنهاض عزائمها، وتحريضها طلباً للثأر ممن نالوا من كرامتها، واستباحوا حرماتها ومقدساتها، ومن هؤلاء الشاعرات: فدوى طوقان، وعلية الجعّار، وسعيدة خاطر، وإنصاف بخاري، ومباركة بنت البراء، وثريا العسيلي، وفاطمة عبد الحق،وغيرهن.

وقد كتبت شاعرتنا عدداً وافراً من القصائد المزوجة بالدماء، المغسولة بالدموع، في أثناء استعراضها لواقع الأمة الجريح من البلقان إلى الصومال، ومن الشيشان المنسية إلى بغداد الأسيرة، إلى فلسطين السليبة التي أرّقت الضمير العربي والإسلامي أكثر من نصف قرن من الزمان، فشاعرتنا تدعوها إلى مزيد من الصبر والصمود، حتى يتحقق الوعد، ويظلها وعد السماء، أو كما تقول الشاعرة:

فلسطين صبراً هو الله أكبرْ
يذلُّ ويمحو ظلوماً تجبرْ
لنا الوعد يسحق أحفاد خيبرْ
وسوف يظلك وعد السماءْ
فلسطين صبراً لهذا البلاءْ

الأمر العجيب في شعرها السياسي والملحمي أنها تصور فيه عوائق وقيوداً، وثورةً وتمرداً وتحقيق نصر واقتناص فوز، وغيرها من المعاني التي يصوغها الشعراء في نطاق البحور العروضية الطويلة؛ حتى يأخذ الشاعر براحه وارتياحه، ولكن شاعرتنا في تحدٍّ ربما لم تقصد إليه قصداً، تصوغها في البحور القصيرة التي تصلح لغير هذا الغرض، فتصيب توفيقاً ربما لم يكن ليتحقق لها ولا لغيرها إلا من خلال ملكة سخية معطاء، وامتلاك لناصية القريض ونصاعة البيان.

وفي زحام الحياة، وتوالي الأحداث، وفي ظل غفلة الأمة بفعل عوامل التخدير والتغييب والتذويب الحضاري، لم تنسَ الشاعرة أن في «الشيشان» لها إخوة في العقيدة، يواجهون حرب إبادة من طواغيت الكفر الذين

يصبّون عليهم أطنان المتفجرات والقنابل صباً، فتدعوهم إلى الاعتصام بالإيمان الذي هو وحده كفيل بسحق جحافل الإلحاد، فتقول:

مهما تمادى الظلم والطغيان
لا تتركي الميدانَ يا شيشانُ
بلْ صابري عند الجهاد وأبشري
لا لن يقيم بأرضك العدوانُ
واستعصمي بالصبر في يوم الوغى
فمن الشدائد ينضج الإنسانُ
كل القنابل لن تميت عقيدةً
دستورها وشعارها القرآنُ
هذي الجحافل رغم كل ضلالها
فلسوف يسحق رأسَها الإيمانُ

إنّ الشاعرة في هذا العصر، أينما تولِّ وجهها، لا ترَ سوى أشلاء تتمزق، ودماء تتدفق، ومنازل تحرق، ومساجد تهدم، وحرمات تُنتهك، وترى إخوانها في العقيدة ما بين جريح وأسير وقتيل، ولا ناصر لهم في ظل العالم المستكبر الذي ضللته أبواق الإعلام والدعاية الصهيونية، فالحل من وجهة نظر الشاعرة الإسلامية نوال مهني هو دعوة المسلمين جميعاً إلى الجهاد المقدس، الذي لا تسترد الأوطان بدونه:

لا لمْ يعد للصمت قَطُّ موضع
ضاق الخناق وضاعت الأوطانُ
غير الجهاد فليس يجدي منطقُ
فالكفر صال وتُعبد الأوثانُ

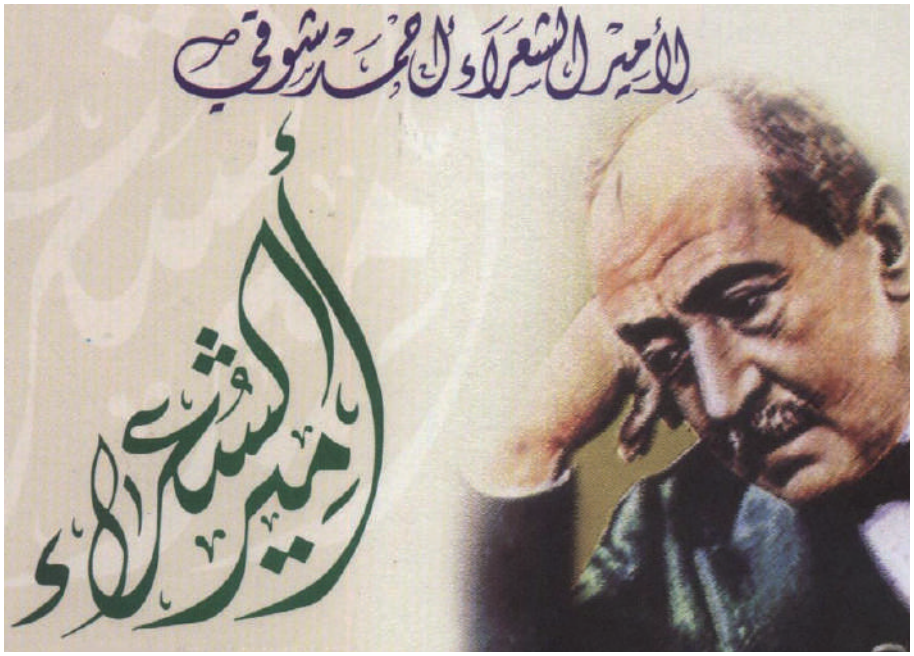

بل كيف نرضى بالسكوت مواقفاً
وشريعة الإسلام كيف تهانُ
أجدادنا أصل الجهاد وأهله
يروي التراث وتشهد الأزمانُ
يدعون جند الحق هيا انفروا
كي يسقط الإرهاب والطغيانُ

وهكذا رأينا الشاعرة كسائر شعراء الأمة الأصلاء، تصوب قصائدها، وتوجه إبداعاتها للتفاعل مع قضايا وطنها وأمتها، أملاً في استنهاضها من غفلتها، حتى تستأنف مسيرتها ورسالتها الحضارية المنوطة بها. وقد تأثرت شاعرتنا بمن سبقوها من المبدعين الكبار الذين نافحوا عن قضايا الإسلام والذود عن حياضه، كأمير الشعراء أحمد شوقي.. الذي بلغ افتتانها به حد كبيرا، فتأثرت به، وسارت على دربه، ووفاء منها، نراها تخاطبه في ذكراه، وتلقبه بـ«دولة الشِّعر» وتعزو إليه فضل البيان الذي ارتشف منه القريب والبعيد:

سلاماً لشوقي أمير القوافي
وكرمة هاني بها العطر صافي
فليس لمثلك جدٌ قرينٌ
وفضلك في الشعر ليس بخافِ
فكنت النشيد إذا الشرق غنّى
وكنت العزاءَ لشعب يعاني
وكنت الحنين لأرض الخلود
وكنت السفير لأحلى المغاني
فيا دولة الشعر باهي بشوقي
وحيي أميرك في كل آنِ

إنّ شاعرية نوال مهني جزء لا يتجزأ من حياتها، وصورة أصيلة مضيئة من شخصيتها، وترجمان

صادق لأحاسيسها ومشاعرها، فهي تحيا بالشعر الذي يعينها على الصبر على نوائب الزمن وعوائده، ويمنحها الأمل في الحياة، فتطلق له خيالها، أو كما تقول: «إن الشعر يعطيني فرصة لتفريغ الانفعالات، التي لو كبتها الإنسان لكانت كفيلة بأن تدمره، كما أن الشعر له أثر بالغ في التأسي به على الهموم والمحن والأزمات، كذلك من الشعر نستمد الحكم ونستخلص الدروس والعبر؛ لأنني أؤمن برسالة الأدب في الحياة عامة، وأؤمن كذلك برسالة الشعر ودوره في تغيير المجتمع إلى الأفضل، أو الذي ينبغي أن يكون عليه؛ فهو يحفّز الهمم، وينقي النفوس ويزكيها من خلال ترسيخ القيم النبيلة العليا، ويساعد على نشر المعاني الرفيعة والعواطف الرقيقة، لأنه يدعو إليها ويحث عليها ويبرز مزاياها ويشرح فضائلها» وراحت شاعرتنا تعارض قصيدة «الشعر والحياة» للشاعر الكبير محمد التهامي، قائلة:

هو الإبداع توحيه حياةُ
تبوحُ بسرّه حيناً وتكني
فكيف يحيط بالفنان سورٌ؟
وفي أعماقه حرٌ يغني
فلولا الفن ما ذقنا جمالاً
ولولا الحب ما عشنا لنبني

وبرغم دعاوى القوم ومزاعمهم بأنّ مملكة الشِّعر تهاوت ودالتْ دولتها، وأنّ فن الرواية أضحى ديوان العرب، إلا أن شاعرتنا لا تشاطرهم ذلك الرأي، مؤكدة أنّ «الشِعر وعاء عميق متنوع يحوي القصيدة والموشّحة والأنشودة والملحمة والقصيدة الدرامية التي تحوي بداخلها القصة، بلْ إنّ بيت الشعر الواحد يحوي من الحكمة والعبرة والفكاهة والمثل» وقالت في ذلك أيضاً:

الشعر في طبع العربْ
رمزُ النجابةِ والأدبْ
ديوانهم وسجلهم
فيه الأصالة والطربْ
وفصاحةٌ نُسبتْ لهم
أكرمْ به هذا النسبْ

وكما وقف البارودي وشوقي وحافظ وأحمد محرم وسواهم من شعراء الوطنية الكبار أمام «النيل» متدلّهين به، شاكين له ما يعتصرهم من هموم وآلام، كذلك وقفت الشاعرة أمام النيل، مستلهمة من عبقريته وفضله وخيره وبركاته التي عمّت الوادي بأسره، والتي زيّنت الأرض وأقامت حوله حضارة إنسانية؛ شاكرة فضل الله تعالى، ومدركة أنه يجري من عنده سبحانه، دونما حيرة واضطراب، كما حدث مع «شاعر الطلاسم»، فقالت:

كم فاض النيل بوادينا
كمْ شاد النهر بماضينا

والشط تُباهي خضرتهُ
كيْ يخطب ودّ روابينا
فالنيل رحيقٌ مختومٌ
يعطينا خصباً لا طينا
هبةُ الرحمن إلى مصرَ
هبة الرحمن لوادينا

هذا، وقد كتبت شاعرتنا في جميع أغراض الشعر وفنونه سواء في الوصف أو المدح أو الفخر أو الرثاء... إلّا الهجاء الذي لم تكتب فيه شطراً واحداً؛ لأنّ قلب الشّاعرة الإسلامية مملوء بالحب والعطف والحنان ومفعم بالرحمة والإيمان، فلم يجد الهجاء إلى لسانها سبيلاً، وليس من عجب أن يغلب فن الوصف بالذات على إبداعها، فتوليه اهتماماً بالغاً، وتجيد فيه أيّما إجادة، ذلك الفن الذي كان النقاد القدامى يرون أنه لا تكتمل للشاعر أسباب النبوغ إلّا إذا أجاد شعر الوصف بعامة، ووصف الطبيعة بخاصة، وقد أجاد في هذا اللون أبو تمام والبحتري وابن الرومي والصنوبري والمعتمد بن عبّاد... وغيرهم، فسارت الشاعرة على درب هؤلاء الرواد... فلنستمع إليها في رائعتها «دعوة للأمل»:

إنْ رأيتَ الروض يذوي
لا تقفْ خوفاً ويأساً
أوْ رأيتَ الزهر يغفو
سوف تزدان الروابي

ورقيق الغصن يهوي
حين يكسو الروضَ عُشبٌ
أو سمعتَ النهر يشكو
وتعود الوُرْقُ تشدو

* * *

لابساً ثوبَ الفقيرْ
فغداً يأتي الربيعْ
ممسكاً فيه العبيرْ
في محيّاها البديعْ
من جفاف يستجيرْ
نافضاً عنه الصقيعْ
باكياً فيه الخريرْ
في حمى الزهر الوديعْ

والحق، أننا في حاجة إلى مزيد من ذاك الشعر العذب الجميل، الموشح بالحُلل البيانية، والمطرز بالصور البديعة، والقيم والمعاني الإنسانية النبيلة، الذي يستحق الوصف الشريف «إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر لحكمة»!

ونختم حديثنا هذا، ونحن رافعين أكُف الضراعة ومُبتهلين إلى الخالق البارئ الحبيب - سبحانه وتعالى- نور الوجود، المفوّض إليه الأمر كله، ومُردّدين مع الشّاعرة الإسلامية الكبيرة نوال مهني:

يا ربّ أشكو ضارعاً
أنت المجيبُ ولا سواكْ
أنت الغفور لتائب
أنت السميع لمن دعاكْ
أمري إليكَ مفوّضٌ
منْ ذاكَ يُعصمُ من قضاكْ؟
نور الوجود بكوننا
لهبات فيض من سناكْ
أنتَ الحبيبُ ودائماً
القلبُ يخفق من هواكْ ■

هل فات الأوان!؟

د .وليد قصاب

منذ أن زارت أختها إلهام تغيرت نظرتها إلى الحياة، بدأت تغزوها هواجس وأفكار لا عهد لها من قبل.

كانت راضية مطمئنة، تشعر أن كل شيء على ما يرام، لم يعترها أي إحساس أن شيئا في حياتها غير طبيعي.

كانت ثقتها بنفسها وبأسلوبها في إدارة حياتها ثقة مطلقة لا يشوبها أي شك، فاخرت – باستمرار – بقدرتها الخارقة على خرق المألوف، والخروج على النمطي المعهود، وعلى صنع عالم خاص بها لا تستطيع الكثيرات من بني جنسها أن يصنعن مثله.

كان عالمها كتابا وقلما، ثقافة وقراءة. شبت على ذلك منذ طفولتها المبكرة. استهواها الكتاب، عشقته عشقا لم تعشقه أم لأطفالها، ثم صار عالمها الوحيد الذي لا تعرف عالما آخر غيره.

مضت في الدراسة جادة دؤوبا، تحقق نجاحا إثر نجاح، كانت الأولى دائما، يشار إليها بالبنان، كانت الغيرة من نجاحها وتفوقها تأكل قلوب زميلاتها بل قلوب جميع من حولها.

ثم عشقت الكتابة، وراحت تمارس الإبداع. أخذت ترسل ما تكتبه إلى الصحف والمجلات، فوجدت تشجيعا منقطع النظير، وأصبحت كتاباتها الجريئة المثيرة تحتل أحيانا صدر الصفحات الأولى، وبدأ اسمها يلمع ويكبر يوما بعد يوم. ولكن هذا النجاح الباهر كان يكلفها الكثير، كان على حساب أشياء كثيرة في حياة الأنثى خاصة.

كانت في عزلة عن العالم كأنها تعيش في كوكب آخر، لا تدري شيئا عما يجري حولها حتى في أسرتها الصغيرة. من حولها من أخوات أو قريبات أو جارات يخطبن، أو يتزوجن، أو يطلقن، أو ينجبن، أو غير ذلك، وهي لا تدري عن ذلك كله شيئا.

وقلّ أن لبت دعوة إلى حضور فرح أو مناسبة، وإذا فعلت جلست على مضض، لا تكاد تشعر بما يجري من حولها، بل تستعجل انقضاء الوقت حتى تعود إلى عالمها الأثير.

وكانت سنوات عمرها تنطوي سريعة عجلى. تقدم لخطبتها بعض الرجال، ولكنها أبت ذلك كل الإباء، لم تجد نصائح أمها التي قالت لها عدة مرات:

– الزواج يا أحلام سنة الحياة.. وهو حاجة إنسانية..

كانت تقاطعها دائما محتجة منهية حديثا لا تحب له أن يطول:

- أنا سعيدة يا أمي بعالمي.. لا أشعر أن شيئا ينقصني..

وتصر أمها أحيانا على الاستمرار فتقول لها:

- إنها سعادة مؤقتة يا أحلام.. ستشعرين في غد قريب بالحاجة إلى زوج وأولاد.. لا يمكن لامرأة أن تعيش وحيدة إلى الأبد..

* * *

لا أشعر أن شيئا ينقصني، تلك كانت عباراتها التي ترددها باستمرار كلما حادثها أحد في موضوع الزواج.

كان ما يغدق عليها من الثناء، وما يكتب عنها من الإطراء يشعرها أنها غير الأخريات جميعا، إنها أنثى من طراز فريد، تصنع ما لا تستطيع الأخريات أن يصنعنه.

لم تكن تزور أو تزار إلا نادرا، حتى أخواتها اللاتي تزوجن جميعا، وصار لهن أولاد، لم تكن تجد الوقت - كما تقول - حتى تزورهن. وقتها مشغول مستهلك دائما.

أين أذهب بهذه الأكوام من الكتب والصحف والمجلات التي علي أن أقرأها؟! وأين أذهب بأوراق الطالبات المتكدسة على مكتبي تنتظر القراءة والتصحيح والتعليق!؟..

الزمن يمضي وهي تزداد انتشاء وسعادة بما تحقق من نجاح، لم يقصم ظهرها قصمة شديدة الإيلام إلا موت أمها. أحست فعلا بالوحدة، واستشعرت طعم القلق لأول مرة. أصبحت وحيدة في بيت الأسرة الواسع الكبير، بعد أن تزوج إخوتها وأخواتها جميعا، وانتقل كل واحد منهم إلى بيته الخاص.

روضت نفسها على حياتها الجديدة، ومضت في سيرتها الأولى المعهودة.

* * *

رزقت أختها الصغرى إلهام مولودا ذكرا بعد ثلاث بنات، ففرحت الأسرة به غاية الفرح. وأقامت الأم بهذه المناسبة - حفلة، ودعت إلهام أختها الأستاذة أحلام. ولأنها دعتها من قبل مرات عدة ولم تلب، قالت لها في هذه المرة بلهجة تحذير ومودة:

- لن تعتذري يا أحلام هذه المرة.. لن أقبل اعتذارك..ولن أقدر ظروفك.. ولن أحدثك بعد اليوم إذا لم تأتي.. هكذا ألقت إلهام هذا الكلام كله دفعة واحدة في وجه أحلام حتى تقطع عليها حبل أي مسوغ للتخلف.. ردت أحلام مستسلمة غصبا عنها:

- سأحاول يا إلهام..

وردت إلهام بحزم أشد:

- بل ستأتين.. أسمعيني إياها مؤكدة يا أحلام..

لم تملك أحلام إلا أن تقول:

- سآتي يا إلهام.. سآتي إن شاء الله.

* * *

ذهبت. منذ سنوات لم تزر أختها، حتى كادت لا تهتدي إلى البيت بسهولة. زارتها أيام زواجها الأولى، باركت لها، و «نقطتها» ثم زارتها بعد ذلك مرات معدودات.

استقبلتها أختها بفرح عامر، واستقبلتها أخواتها الأخريات جميعا ببهجة وحبور، ولكن ذلك كله كان ممزوجا بالعتاب الصادق الودود لتقصيرها في زيارتهن..

وبينما كانت أحلام جالسة عند أختها حاضرة غائبة: حاضرة بجسمها، غائبة بذهنها تفكر بأوراقها وكتبها، وهي تتعجل انتهاء هذه الزيارة التي لم تجد مندوحة عن تلبيتها، دخلت ابنة أختها الصغيرة «بيان» كانت طفلة جميلة رائعة، تتدفق حيوية ولطفا. اندفعت نحو خالتها «أحلام» بحميمية طفولية عجيبة جعلت الجميع يستغربون:

- خالتي أحلام.. اشتقنا إليك كثيرا.. لماذا لا تزورينا يا خالتي؟..

طرقت كلمة «خالتي» لأول مرة سمع «أحلام» كانت تخرج من فم هذه الصغيرة البريئة باهرة عذبة، كأنها نغمة سيمفونية رائعة، أو زقزقة عصفور نشوان!

واندفعت الصغيرة التي لما تبلغ الرابعة من عمرها فجلست في

حضن خالتها، وطوقتها بذراعيها، وراحت تمطرها بالقبلات.. كان هذا الموقف جديدا على أحلام، لم تعش جو المرح الطفولي هذا من قبل، لم تستشعر في غمرة استغراقها في أوراقها وكتبها وأقلامها براءة الأطفال، ولا بهجة الصغار المتدفقة الغامرة.. وكانت «بيان» قد عانقت خالتها، والتصقت بها بود عجيب وهي التي لم ترها إلا مرة أو مرتين في حياتها، كانت تحركها غريزة الطفولة، وكانت الكلمات تتقافز من بين شفتيها مثل نغمات الكمان:

- خالتي «أحلام».. أنا أحبك كثيرا.. وأمي تحبك كثيرا.. نذكرك دائما.. حدثتني أمي عنك طويلا.. قالت لي: إنك شاطرة متفوقة، أريد أن أكون مثلك يا خالتي.. أحست أحلام أنها تستغرق في نشوة رائعة لا عهد لها بها، تفجرت في أعماقها - في لحظة واحدة - مشاعر الأمومة والحنين واللهفة.

كم هي رائعة هذه الطفلة! احتضنت أحلام ابنة أختها الصغيرة «بيان» بحرارة، ضمتها إلى صدرها بكل ما ملكت من المشاعر الدافئة.

دخلت «إلهام» فوجدت بيان في أحضان أختها، خشيت أن تكون هذه الصغيرة المعروفة بـ«الشقاوة» و«الفهرتة» قد أزعجت خالتها الجادة الوقور التي لا تكاد تزورهم إلا في مناسبات معدودة، فصاحت بها:

كفى يا بيان.. ابتعدي عن خالتك ولا تزعجيها.. ولكن بيان كانت تزداد التصاقا بخالتها، وحاولت إلهام أكثر من مرة أن تبعد الصغيرة عن خالتها، ولكنَّ

كلا من الخالة والطفلة كانت متشبثة بالأخرى تشبثا عجيبا، كان رأساهما ملتصقين، وقد أغمض كل منهما عينيها في استغراقة حالمة.

وكانت أحلام تقول منتشية:

- اتركيها يا إلهام.. دعيها في أحضاني أرجوك.. دخلت إلهام وخرجت أكثر من مرة، والخالة والطفلة متعانقتان بشكل عفوي رائع.

ما أروع هذه الطفلة ! ما أبهاك يا بيان!؟

تحس هذه الخالة - لأول مرة - بمشاعر دافئة تنبض في أعماقها، تشعر - لأول مرة - أن شيئا هاما ينقصها.

* * *

دعت إلهام أختها لتتعشى عندها، ولم تصدق أذنيها عندما هزت الأستاذة رأسها موافقة بعد أن كان شرط موافقتها على الحضور أن تجلس نصف ساعة على الأكثر ثم تنصرف بسبب كثرة أعمالها.

قامت إلهام - غير مصدقة سخاء أختها بالوقت - لتصنع العشاء، وكانت بيان قد غفت في أحضان خالتها.

أطالت أحلام السهر عند أختها، ولم تفلت الطفلة الغافية في أحضانها لحظة واحدة..

خرجت من بيت أختها في آخر الليل بمشاعر لم تألفها من قبل، لم تستطع أن تنام تلك الليلة، كانت فقط تغمض عينيها على طيف بيان الرائع الحبيب، يسري في جوانحها خدر لذيذ، وشوق إلى عالم طالما استهانت به، وكان يهجس في أعماقها هاجس ممزوج باللهفة والقلق: هل فات الأوان؟■

سفير فوق العادة

د . عبدالقدوس أبو صالح

كان عضد الدولة البويهي قد اتخذ في شيراز مجلساً لأهل العلم والحكماء والفلاسفة، ولما رأى خُلُوّ مجلسه من أهل السنة استدعى إليه أبا بكر الباقلاني من البصرة.

وتحدث الباقلاني عن دخوله على عضد الدولة وهو لا يعرفه فقال: «دخلت على عضد الدولة والناس قد اجتمعوا، والملك قاعد على سرير ملكه، والناس صفوف على يسار الملك، وفوق الكل قاضي القضاة بشر بن الحسين... فلما رأيت ذلك كرهت أن أتقدم على الناس، وأتخطى رقابهم من غير أن أُرفع، ولم تدعني نفسي أن أقعد في أخريات الناس، وكان المجلس عن يمين الملك خالياً، ولا يقعد هناك إلا وزير وملك عظيم، فمضيت وقعدت عن يمينه بحذاء قاضي القضاة، فوجَدوا من ذلك، وفزعوا واضطربوا، لأنه كان عندهم من الجنايات العظام، ونظر الملك لقاضي القضاة نظراً منكراً، وما في المجلس من يعرفني إلا رجل واحد، فقال للقاضي: هذا هو الرجل الذي طلبه الملك من البصرة، فأعلم القاضي الملك بذلك، فقال عضد الدولة: اذكروا له مسألة..».

ولما طرحت المسائل على أبي بكر وأَفْحَم بأجوبته شياطين المعتزلة والرافضة قال الملك لقاضيه: «فكرت بأي قِتلة أقتل هذا الرجل لجلوسه حيث جلس بغير أمري، وأما الآن فقد علمت أنه أحق بمكاني..».

وظل الباقلاني أثيراً لدى عضد الدولة حتى جعله سفيره إلى ملك الروم سنة ٣٧١هـ.

قال الباقلاني: «فخرجت من بغداد إلى بلاد الروم حتى وصلنا إلى القسطنطينية، وأُخبر الملك بقدومنا، فأرسل إلينا من يلقانا، وقال: لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تدعوها.. وحتى تنزعوا أخفافكم. فقلت: لا أفعل ذلك، فإن رضيتم وإلا فخذوا الكتب التي معنا وأرسلوا بجوابها، وأعود بها، فأخبر الملك بذلك فقال: أريد معرفة سبب هذا وامتناعه عما مضى عليه رسمي مع الرسل، فَسُئلت عن ذلك فقلت: أنا رجل من علماء المسلمين وما (تريدونه) منا ذلٌّ وصغار، والله تعالى قد رفعنا

بالإسلام، وأعزنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، سيّما إذا كان الرسول من أهل العلم، ووضع قدره انهدام جانبه عند الله تعالى وعند المسلمين..».

ولما أدخل الباقلاني على ملك الروم بلباسه ذكره أن رسول الروم قد دخل بملابسه على أمير المؤمنين الطائع، وأدخل بها على السلطان عضد الدولة، ثم قال للملك: «فما تنكرون عليّ هذا، وأنا رجل من علماء المسلمين؟ فإن دخلت بغير هيئتي، ورجعت إلى حكمك أهنت العلم ونفسي، وذهب عند المسلمين جاهي».

فقال الملك لترجمانه: «قل له: قد قبلنا عذرك، ورفعنا منزلتك. وليس محلك عندنا محلّ سائر الرسل، وإنما محلّك محل الأبرار الأخيار، وقد أخبرنا صاحبكم في كتابه أنك لسان المسلمين والمناظر عنهم، وأنا أشتهي أن أعرف ذلك منك كما ذكروه عنك».

وطرح ملك الروم على الباقلاني أسئلة متعددة عن معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وعن حقيقة المسيح بن مريم عليه السلام، وأجاب رسول الخليفة وسفيره بما بُهت به الملك وقساوسته، وكان من أطرف ما جرى في تلك المحاورات التي امتدت مجالس عدة أن الباقلاني قال لبعض المطارنة: كيف أنت؟ وكيف الأهل والأولاد؟

فقال له الملك وقد عجب من قوله: ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة أنك لسان الأمة ومتقدم على علماء الملّة! أما علمت أننا ننزّه هؤلاء عن الأهل والولد؟.

فقال الباقلاني: أنتم لا تنزهون الله تعالى عن الأهل والأولاد، وتنزهون هؤلاء؟ فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجل من الله سبحانه وتعالى، فَسُقِطَ في أيدي الملك ومطارنته ولم يردوا جواباً.

وروى القاضي عياض: أن ملك الروم قال لبطرك: ما ترى في أمر هذا الشيطان؟

فقال: تقضي حاجته، وتلاطف صاحبه، وتبعث إليه بالهدايا، وتخرج هذا عن بلدك من يومك إن قدرت، وإلا لم آمن من الفتنة به على النصرانية. ففعل الملك ذلك، ووكّل بالباقلاني من جنده من يحفظه حتى يصل إلى مأمنه.

الكبش الأقرن

محمد زيتون - المغرب

انتهزت المصاريف فرصة الضيق الذي عصف مؤخرا به، وأخذت تتبجح بمداد فاتوراتها طوال الأشهر الأخيرة، حتى إن كل مدخراته كان نصيبها تغطية عجز أجرته الشهرية المتواصل. وما زاد الطين، في اعتباره، بلة! أن عيد الأضحى على الأبواب، وما من سبيل أمامه لتدارك الأمر بعدما طاف بين أصحابه مستدينا، فكان لكل عذره، وزوجته بعناد كعادتها، جندت نفسها لرفض كل الحلول المقترحة بين يديها، وأخذت تصر دون هوادة:«فإما خروف أملح أقرن كالذي تعودناه في الأعياد السابقة وإما البقاء هكذا دون.. أضحية».

أجهد نفسه طول الوقت في التفكير لعله يتدبر المسألة بهدف إرضائها، وسعى جادا لتوفير ثمن أحسن أضحية كتلك التي تعوَّد شراءها في السنين الخوالي، قبل أن يودع أباه إلى دار البقاء منذ شهور، ويفضل رفقة زوجته وابنه الصغير فقط. لكنه لم يفلح، وتضاعفت على مسامعه نبرات زوجته:

- سكان العمارة كلهم اقتنوا.. متى ستقتني!

ثم تستطرد في وصف الأضاحي وطول قرونها، وملاحتها... وهو يتحرق راغبا عن الاستعانة بواحد من القروض التي تثقل الكاهل أكثر من كونها تحل المشاكل، طامعا باستمرار في إسعاد أسرته الصغيرة.وليحسم دبدبته أمام شيطان العوز الذي سارع لإغوائه بالحرام، قرر الاكتفاء بما في حوزته من دراهم، والانصراف إلى سوق الأضاحي قانعا بأوسط الحلول، راضيا بأضحية مليحة دون قرون.. عكس أضحية العام الفائت، والعام الذي قبله.. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها!

عندما ولج السوق، وعالج معروضات الفلاحين القليلة، أدرك أنه تأخر كثيرا، ومن الصعوبة إيجاد خراف مليحة في مستوى ما يحفل به جيبه الهزيل، لأن الفقراء كثر، وسلعة كالتي يبغي مطلوبة عموما.

والعيد لم يبق عليه سوى خمسة أيام، بصعوبة وجد أضاحي اختار من بينها بغيته، فاضطر صاغرا لقبول العرض بثمنه البسيط، وراح يقنع نفسه طول طريق العودة: خروف سمين لكنه أصغر حجما، وإن كان أغزر صوفا، الصوف سيبديه أكبر في عيون الزوجة على الأقل، رغم أنها قد تتساءل عن القرون...ولكننا ثلاثة فقط في البيت، وقرونه...

- القرون؟.. القرون..؟ أين الكبش الأقرن؟

ضجت زوجته فور أطل عليها حاملا خروفه، فلم يجبها إلا وقد أحكم ربط الخروف في ركن من الشقة، وابنه الوحيد، يتطاير فرحا وهو يرى أباه يتقدم متصبب العرق، معفر الثياب، لاهثا يحمل الخروف.

- أهذا كل ما وجدت في السوق؟

- بل هذا كل ما استطعت شراءه.

- ولماذا؟ أين القرون؟ هل نضحي بغير الأملح الأقرن؟

- لكل عام ظروفه.. يا عزيزتي.

- غير ممكن!

- لا يكلف الله نفسا إلا وسعها

- والناس..؟

- وما دخل الناس؟

- يا رجل.. ألا تملك ثمن خروف؟

- وهل أمزح عندما حدثتك في الأمر؟

- ومدخراتك؟

- نفدت.. لقد قلت لك!

- ولماذا لم تستدن؟

- حاولت ولم أجد...

فوضعت وجهها بين كفيها وأخذت تبكي وتصيح:

- حرام.. حرام...

فيجيبها:

- الحرام هو ما يغضب ربنا يا امرأة..!

ثم ضجت باشتعال أكبر:

- أأضحي بقط.. يا رجل؟؟؟

- إنه كبش.. كبش، وليس قطّاً.. استغفري الله!

أضاف وهي تواصل نشيجها:

- لقد سألت الإمام وأجاز لنا وفق المستطاع.. ثم إننا ثلاثة...

- يا ليتك ما اشتريته!

- هذا رأيك.. أعرف...

- ولماذا اشتريته إذن.. لقد قلت لك...

- أعرف.. أعرف...

كان ابنه قد لبث سجين ملامح الذهول والفرح، يتفرج على الخروف من مكان بعيد. والخروف يصيح مقيدا في الركن الذي لا يشبه في شيء فضاء المرعى الذي غادره. لكنه فجأة سمع صوتا ينتفض بغضب في غرفة والديه. إنه صوت أمه على الأرجح، هي التي تعودت أن ترفع صوتها بعين الرنّة. ولعل حنجرتها تنتفض الآن بداع أثارها في علاقتها بالوالد. تقدم الصبي صوب الباب الموارب، فأبصر أمه جالسة فوق السرير، تمسح دمعها، وفي المقابل يقف الوالد موليا جهتها ظهره متكئا على إفريز النافذة.

كان النقاش قد شارف على انتهائه حين التفت أبوه رافعا صوته:

- استغفري الله يا امرأة.. تعقلي!

وربما كان سيقول شيئا آخر.. لكن وجه ابنه طالعه بابتسامة وديعة، فابتسم وخطا صوبه، تناوله في حضنه، قبله، ثم رفعه عاليا قبل أن يسوي جلسته فوق قفاه، ويتقدم به إلى ركن الخروف:

- هل أعجبك الخروف يا بني؟

- نعم.. هل اشتريته يا أبي؟

- نعم اشتريته لك يا كبدي.

- لي؟.. وسأذبحه..؟

- نعم.. وستذبحه.. وتأكل منه...

- سآكله كله!

- أوه.. لا.. لا يجوز أن تأكله كاملا!

- ولماذا؟

- لأن هناك أبي وأمي في الدار.

- آه.. سأعطيكم بعض اللحم.

– وهناك فقراء لا يقدرون على شراء أضحية العيد ويجب أن نقتسم معهم.

– مساكين!

– نعم مساكين.. هكذا كن دائما طيبا يا بني..

بعد برهة، غادرت الزوجة خباءها، مصممة على الاستمرار في بكائها.. تزمجر بين الفينة والأخرى بما لا يتسع قفص جمجمته لسماعه، ومخافة أن تشتبك الأمور بينهما أمام ابنه. فتح الباب وفضل الخروج إلى حين عودة ربيع الارتياح إلى حقول شرايينها:

– هكذا هي عندما تركب دماغها!

قال في نفسه، وقرر أن المسألة لا شك ستسوى في غمرة دقائق، إذ ما أكثر ما انتفضت، وما أكثر ما عاجلها الهدوء! إنها سريعا تعود لارتداء قناع حقيقتها فتشرق باسمة، معتذرة عن الذي صدر منها، مصممة على الحب والفرح والحياة. لذلك اختار أن يتوجه إلى مكان يريح فيه أعصابه، المسجد. أولا توضأ وأدى صلاة الظهر، ثم دلف عبر الزقاق إلى أول مقهى في الشارع المقابل للحديقة العمومية. اختار مقعدا خلف زجاج الواجهة حتى يمنع نفسه ضجيج الشارع الذي يصطخب في كل ظهيرة، وأخذ يتناول جرعات مشروبه البارد. لقد لبث زهاء ساعة، يطوف بين كثبان هواجسه دون أن يهنأ قيد أنملة أسفل ما ينتابه من توتر، وكأنه يتوقع شيئا هذه المرة دون سابقاتها!

لذلك جمع قواه، وكاد يغادر المقهى عندما رن هاتفه الخلوي:

– أهلا.. السيد عبد الحكيم؟

– نعم.. من معي؟

– ضابط الشرطة.. أرجو أن تلتحق بنا في المركز على وجه السرعة...

– هل يمكن أن أعرف السبب؟

– زوجتك هنا...

– زوجتي؟؟؟!

هرول بفزع في عتمة الخبر الذي لطم أسماعه. وكل الذي في باله أن زوجته تقدمت بشكوى.. فهل يعقل مع كل الذي مر بينهما من ود وحب؟ أصحيح أن المرأة يمكن أن تنسى كل الخير.. تحت ذريعة مشكل مفتعل كهذا؟ أبكل هذه السرعة تستجيب الضابطة القضائية لشكواها؟ ثم يتدارك نفسه: لا..شيء ما وقع لابني! زوجتي لا يمكن أن تتشجع على رفع دعوى بهذه السهولة! شيء ما وقع لها أو وقع للولد! وأخذ يستسرع سائق سيارة الأجرة، وهو يجتاز الشوارع صوب المركز المجاور للمحطة. والغضب يمازجه القلق والخوف، والأسئلة تتقاطر، والوساوس تتضخم كلما استطالت الطريق، كلما توقفت السيارة أمام إشارة مرور. الظنون على اختلافها تشرئب كالطحالب السوداء تحتل من دماغه منافذ التفكير والرؤية والسماع. حلقه أصبح جافا، العرق يتصبب:

– لقد تركتها في الدار، متى

خرجت؟ كيف..؟

لكنه ما كاد يضع قدميه في المخفر حتى شرعت سجف الظلمة تتكشف أمام ناظريه. لقد انتهزت زوجته العزيزة فرصة خروجه، ورتبت أغراضها وأغراض ابنها، بما في ذلك حليها، في الحقيبة، وامتطت قاطرة جنونها، متوجهة صوب المحطة، عازمة على السفر لقضاء مناسبة العيد مع إخوانها وأمها في المدينة البعيدة. ولما كانت المحطة مكتظة، شديدة الزحام، وشباك التذاكر تطول أمامها صفوف المسافرين، فقد تركت الحقيبة جانب ابنها، وأوصته بأن يكون رجلا، عاقلا..(وابتسم الضابط ساخرا) وتشاغلت بالتذاكر عن الولد والحقيبة. بينما بادر غريب بمنح الولد دراهم، وكلفه باقتناء علبة حلوى وجريدة...

حينئذ تدخل ليكمل ما يمكن توقعه:

- عادت السيدة حرمي.. بعدما حصلت التذاكر فلم تجد الولد ولا الحقيبة!

- نعم

وأضاف:

- وأخذت تولول: خطفوا ابني.. ابني...

- والآن.. الابن ها هو.. فأين المشكلة؟ تساءل وهو يحضن ابنه.

- المشكلة.. أجابت زوجته دامعة العينين - إن الحلي كلها في الحقيبة!؟

- وماذا ستفعلون يا سيدي الضابط؟

- سنقوم بعملنا.. لقد أخذنا أوصاف السارق، وسجلنا تفاصيل القضية...

ابتسم الأب بارتياح، وطمأنينة، وأخذ ابنه بين ذراعيه بعد ما شكر ضابط الشرطة، ملتمسا منه المزيد من الجهد، راجيا من الله أن يوفقه في مهامه. ثم انسحب بزوجته المنتحبة صامتا.. وقلبه يرف: الله أعطى..الله أخذ.. منه العوض وعليه العوض..إنه درس يا حبيبتي أتمنى أن لا ينسى! ■

وباب الصبح مفقود

عبدالرحمن محمد أحمد - مصر

يصيح بي شجني والقلب مفؤود ... فهل دواء لقلب الصب موجودُ؟

أضناه شوق وآمال قد احترقت ... واغتاله الوجد والسلوان موؤودُ

ألقت به الريحُ للأمواج واختصمت ... فيه الأمانيُّ والأهوال والبيدُ

كم كان يضحك للأيام يحسبها ... تفنى شجونا ويبقى الأُنس والعيدُ

لكنّه العمرَ يمضي دون أغنيةٍ ... تمحو أساه وباب الصبح مفقودُ

قراءة في كتاب

الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره

للدكتور عدنان علي رضا النحوي

عرض: بوبكر عبدالحليم- الجزائر

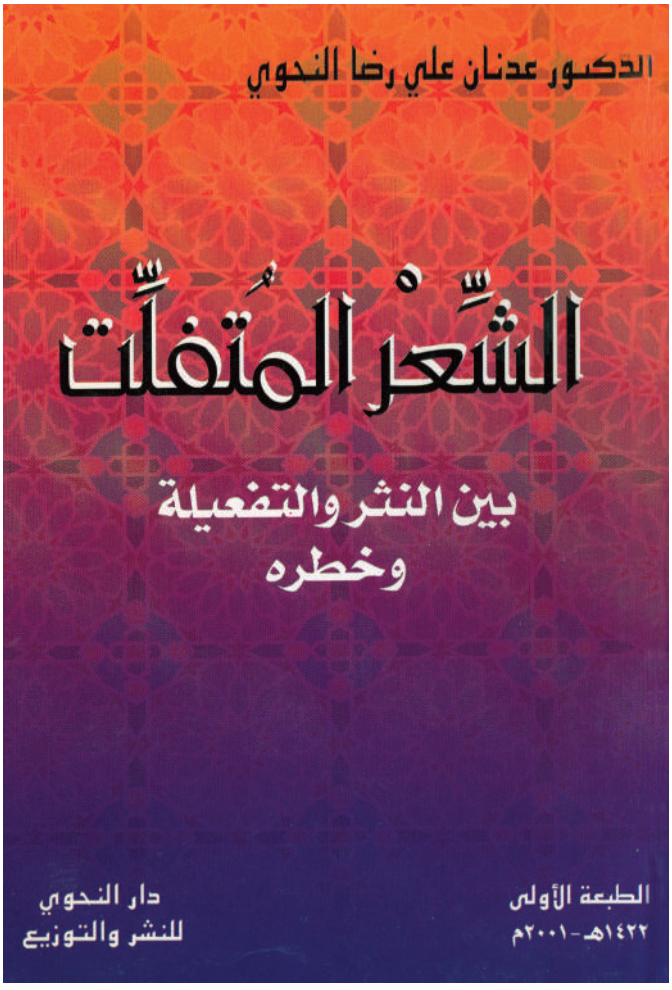

لم يعرف الأدب العربي في تاريخه الطويل، معركة اشتد لهيبها حول الوزن والقافية كما عرفتها سنوات الخمسينات والستينات.

لقد فوجئ عمالقة الفكر وأساطين الأدب والنقد، بطرح حداثي يسعى للتحرر من الأطر التقليدية في نظم الشعر، وعلى رأس هؤلاء صلاح عبد الصبور [١]

لقد استهواه التجديد، وضاقت به الأوزان، ففر من البحور الخليلية [٢] واحتمى بالتفعيلة الواحدة، مقدرا في نفسه أنها المفتاح الذي يساعد الشاعر على النظم في جميع الموضوعات قديمها وحديثها، ويمنحه قدرة عظيمة على تناول هذه الموضوعات في عمق أكبر، ويكون في وسعه أن يطيل في البيت، أو أن يوجز فيه تبعا للمشاعر والعواطف التي تدفعه إلى النظم. [٣]

لم يرفق العقاد بصاحبه، فضعف رأيه من وجهة الأدب والتاريخ، وأرتج بابه سدا لذريعة الفساد والإطاحة بمواريثنا المعرفية والثقافية. واعتبر هذا العمل شغلة لا تفلح، أو لعبة لا تسلي، مفندا القول بتصنيف شعر التفعيلة ضمن إطار الشعر الموزون.[٤]

وفي هذه القراءة نستعرض موقف الأديب والكاتب الدكتور عدنان علي رضا النحوي من هذه المعركة القديمة الجديدة من خلال كتابه: «الشعر المتفلت بين النثر والتفعيلة وخطره» الذي صدر في طبعته الأولى ٢٠٠١ م، عن دار النحوي للنشر والتوزيع. بالرياض.

د . عدنان النحوي

صلاح عبدالصبور

استهل كتابه بمقدمة حدد فيها موقفه الرافض لشعر التفعيلة وشعر النثر، مبينا حقيقة الشعر العربي الأصيل، معتبرا الوزن أعظم أركان الشعر وأولاها به خصوصية، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة، على رأي ابن رشيق في العمدة. [٥] مضيفا إلى الوزن والقافية تلك الخصائص الفنية من نحو وصرف وبلاغة وبيان وقواعد عروضية [٦] وهي عناصر مستقرة في نسيج اللغة وبنائها، وهي التي تمد النص الشعري بمواد فنية، وإشراقات جمالية، وبغير هذا لا يدخل الشعر ساحة الأدب. ولا غرو أن نجد النحوي يحدد موقعه باشتراطه للخصائص الإيمانية، ارتقاء بالإنتاج إلى مستوى الأدب الملتزم بالإسلام.

وهذا التوجه مادة من مواد قلمه وكتاباته، بل هو نفسه وحياته. وعلى ضوئه رفض الشعر المتفلت قائلا في ذلك: «وأما الشعر المتفلت نثرا أو بالتفعيلة فليس بشعر ولا نسب له مع الشعر، وهو هابط في معظمه معنى ولغة وبناء، وما حسن منه – وهو قليل – فإنه يدخل الأدب من باب النثر فقط، وفي النثر العربي ما هو أرقى منه جمالا ومعنى وبناء بما يغنينا عن هذا الانحراف.

والشعر المتفلت بالتفعيلة أشد خطرا على اللغة العربية من المتفلت بالنثر، وكلاهما خطر شديد ومؤامرة على اللغة العربية [٧].

وفيما حبره من فصول وصاغه من فقرات، نجدما أعده من أدلة وبراهين لتأكيد موقفه مما تطاير إليه من شعر الحداثيين.

أولا: شعر التفعيلة:

لقد سار النحوي على هدى العقاد عندما اعتبر شعر التفعيلة خطرا على الإطار التقليدي للشعر[٨]، ومؤامرة على اللغة العربية وآدابها. بانيا رأيه على مجموعة من الأسس:

١- الوزن دعامة أساسية للشعر، وجوهر يكون ماهيته، وبغير الوزن يستحيل الشعر رِمَّة لا روح لها، يقول: «الوزن والقافية بنيا مع تاريخ اللغة حتى أصبحا جزءا منها لا ينفك عنها، فإذا هدمناهما نكون قد هدمنا جزءا من البناء، ومزقنا جزءا من النسيج». [٩]

وتذكرنا هذه العبارة بأدب الخمسينات، وعلى لسان عبد القادر المازني ومن خلال قلمه نقرأ: «الوزن شيء ضروري في الشعر وليس هو بالشيء المصطلح عليه، ولكنه جوهري لابد منه، وإن شئت فقل: هو جثمان الشعر، وليس يكفي أن تدعوه ثوبا يخلعه الشاعر على معانيه فتشير بذلك إلى أنه شيء منفصل عن الشعر، لأن الإنسان لم يخترع الوزن ولا القافية، ولكنهما نشآ معه، ولا شعر إلا بهما أو بالوزن على الأقل». (١٠)

٢- تحرر شعر التفعيلة من القواعد والضوابط، فيمكنك أن تضع في السطر الأول كلمة على تفعيلة واحدة، وفي السطر الثاني سبع تفعيلات، وفي الثالث تفعيلتين، أي يمكنك أن تضع في كل سطر العدد الذي تشاؤه من التفعيلات دون أي قاعدة أو ضابط. فالشعر هاهنا متفلت من الشكل حتى يصبح لا نهائي الأشكال، وهذه دعوة أدونيس.

٣- هذا التساهل سيفتح الباب على مصراعيه لمن ضعفت قدراتهم، وكلت مواهبهم – إن كانت لهم مواهب – ما دام ميزان التقويم قد اضطرب واهتز.

٤- البحور الشعرية بأوزانها وقوافيها تتسع لكل الأغراض الشعرية والمواضيع المستجدة. والعاجزون هم الذين تضيق صدورهم وتنقبض مباسطهم حيالها. وهو الموقف ذاته الذي نجده عند جماعة الديوان، وبالأحرى عند عباس محمود العقاد (١١).

٥- شعر التفعيلة طريق ممهدة لشعر النثر، فمن يبدأ بالتفعيلة فسينتهي بالشعر المتفلت المنثور أو يجمع بينهما ليجمع بين شرين أو سوأتين.

٦- إن شعر التفعيلة – ويلحق به شعر النثر – ليس تطويرا ذاتيا نابعا من أنفس دعاته أو من حاجة اللغة العربية أو من حاجة الواقع، فهو تقليد وتبعية واضحة.

ثانيا: شعر النثر:

عقد النحوي فصلا خاصا عرض فيه الخصائص الثابتة في شعر اللغة العربية وتميزه من النثر، مبينا الفوارق بينهما من خلال الوضع والاصطلاح. متوصّلاً إلى عدم صحة هذه التسمية، أو اعتبارها بديلا عن الشعر العربي الأصيل الذي يمثل تاريخ هذه الأمة وأرومتها. وكل من حاد إلى هذا النوع من الكتابة فإنما انحاز إلى اتجاه تغريبي، يشكل خطرا على اللغة والأمة في آن واحد.

د . عماد الدين خليل

وفي الكتاب عرض لنماذج تطبيقية للشعر المتفلت، وموقف صارم من دعاة الحداثة، ومن أسماء كثيرة، كأدونيس، وكمال أبو ديب، وجميل صدقي الزهاوي القائل:

كل الفنون تجددت ... والشعر يعوزه الجديدْ
ما قام حتى أثقلته ... من قوافيه القيـــودْ

وثمة مؤاخذات وملاحظات حول الكتاب نبديها فيما يأتي:

١- لا نجد أي إشارة من قبل النحوي لتلك المعارك التي شهدتها الساحة الأدبية في الخمسينات، بين المؤيدين لتجديد القالب الشعري دون قيد أو شرط، والرافضين لذلك. فالمسألة لابد أن تطرح في سياقها التاريخي، غير مفصولة عنه، حتى يكون القارئ على بينة من خيوطها الأولى، مدركا ثمرات هذه المعارك سلبا أم إيجابا.

٢- لم يطرح مظاهر التجديد التي يمكن أن يتسع لها

القالب الشعري سواء في الوزن أم في القافية، وفي تاريخنا الطويل شاهد من كلام ابن رشيق في حديثه عن الشعر المسمط [١٢]، وفي بعض نصوص شكري [١٣]، وفي موقف العقاد [١٤] الذي قدم البديل، وقال بإمكانية اشتقاق أوزان جديدة من الأوزان القديمة، تسع الأغراض الشعرية والموضوعات الجديدة.

وفي سياق الحديث، نذكر موقف الدكتور عماد الدين خليل الذي اعتبر شعر الحداثة – بأنماطه كافة – ضرورة من الضرورات في الساحة الشعرية، وفي نظره فإن القدرة الإبداعية للشاعر هي الحكم الفصل في الحكم النقدي على أعماله سواء قدمها بصيغة العمود: أم التفعيلة أم أية صيغة أخرى.[١٥]

٣-تصنيفه للموشحات ضمن الأشكال المنحرفة التي ساقت الأمة إلى مهاوي الضلال، وصيرتها مغتوتة في بحار الظلام. يقول الكاتب: فشعر الشعراء الذين يتبعهم الغاوون قد يكون موزونا مقفى، وقد يكون منثورا، وقد يتبدل بالتفعيلة يزيد منها أو ينقص منها على غير قاعدة، وقد يكون على شكل الموشحات الداعية للرقص والغناء الذي نشر اللهو في حياة المسلمين في الأندلس حتى ضاع ملكهم... [١٦] «وهذا اعتقادي مرفوض نناقشه فيه من زاويتين:

- إننا إذا نظرنا إلى الموشحات من حيث الشكل فهي دليل على إمكانية التجديد، سواء أريد بها التيسير والتنفيس، أو كان المراد بها زيادة الإيقاع والتلحين. [١٧]
- وإذا نظرنا إلى المضمون ففي ذلك الغث والسمين، شأنها في ذلك شأن الأنماط الشعرية الأخرى، حسنها حسن، وقبيحها قبيح.

٤- قد يجد الكاتب أنصارا له عندما يقول: ليست قضية الشعر المتفلت من حيث الأساس والمنطلق قضية حلال أو حرام، إنها ابتداء قضية لغة، قضية اللغة العربية، شأنها في ذلك شأن من خالف قاعدة من قواعد النحو أو قواعد الصرف.

فنقول له: إنك أخطأت، فالتزام قواعد النحو ومثله كذلك مثل من قال إن ١+١=٣، نقول له هذا خطأ، فعد والتزم قواعد الحساب. [١٨] ولكن هؤلاء الأنصار، يمتلكهم الفزع، ويحفهم الخوف عندما يسحب الكاتب قضية تحتمل الصواب والخطأ إلى ميدان تصوب إليه سهام الحلال والحرام ولنقرأ عبارته:

وحين يتجه الإصرار ليصبح عملية هدم هنا أو هناك فإنه يقترب من الحرام شيئا فشيئا حتى يوقعه الشيطان فيه، وفي حالة الشعر فإن الخطر أكبر، والمدى أوسع، يكاد يرتع صاحب الخطأ في الشبهات فيقع في الحرام.[١٩]

إنه أسلوب في المحاصرة يرفضه الخاصة والكافة، ولو أصر هؤلاء الحداثيون على ما فعلوا، لأن المسألة مسألة شكل لا مسألة مضمون ■

الهوامش

١- ذكرناه نموذجا، يضاف إليه في سلكه أحمد عبد المعطي حجازي، ونازك الملائكة.... متجاوزين الخلاف فيمن كان سباقا إلى ذلك.

٢- يرفض عدنان النحوي هذه التسمية، مستبدلا إياها ببحور الشعر العربي، ص ٣٨، أو أوزان اللغة العربية وشعرها ص ١٢٣.

٣- محمد مصايف، جماعة الديوان في النقد ص ٣٥٦.

٤- ن. م، ص ٣٦١.

٥- العمدة، ص ١٣٤.

٦- عقد لهذه الخصائص فصلا خاصا ٣٥ / ٤٣.

٧- الشعر المتفلت، ص ١٣٤.

٨- جماعة الديوان في النقد، ص ١٥٦.

٩- الشعر المتفلت، ص ١٢٨.

١٠- جماعة الديوان في النقد، ص ٣٦٠.

١١- ن. م، ص ١٥٠، ص ٣٦٢

١٢- العمدة، ص ١٧٨ / ١٨٠

١٣ و ١٤- جماعة الديوان في النقد، ص ٣٤٧، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٦٩، ٣٧٠.

١٥- مجلة الأدب الإسلامي، ص ١٦- ١٧، المجلد الرابع، ع ١٣ (١٩٩٦. ١٩٩٧).

١٦- الشعر المتفلت، ص ٥٥.

١٧- الفكرة للأستاذ عباس محمود العقاد، جماعة الديوان في النقد، ص ٣٥١.

١٨- الشعر المتفلت، ص ٤٧.

١٩- ن. م، ص ٤٧ – ٤٨.

موسم التفاح

مؤيد حجازي - سورية

بأيديكم وأيدينا
تعالَوْا نَقْطف التُّفّاحَ
ونُرْسلَهُ لسوقِ الهالِ...
نُطْعمَ منهُ قاصينا ودانينا
ونُبْقِيَ منهُ مَسْكَبَةً - هِيَ الأحلى -
لِفَصلِ البردِ تكفينا
ونجعلها لعامٍ مِنْ أراضيكم
وعامٍ مِنْ أراضينا

* * *

بأيديكم وأيدينا
مَلأنا ذلك الصّندوقَ...
أَذْكُرُ جِسْمَهُ الخَشَبِيَّ يحضنُ فِتْنَةَ الألوانِ...
خَدٌّ أصفرٌ كالشّمسِ ترسمهُ أياديكم
وخَدٌّ أحمرٌ كالوردِ ترسمهُ أيادينا

* * *

بأيديكم وأيدينا
أصابتْ لَفْحَةُ التُّفاحِ غرباً مِنْ أراضيكمْ
وشرقاً مِنْ أراضينا
فهلْ تدرونَ ما صَنَعَتْ؟؟
أذابَتْ بعضَ موسمنا
فلمْ نحزَنْ بذاكَ الجُرْحِ قَدْرَ سرورنا فيها
فقَدْ كانتْ تُوَحّدُنا
بشرقٍ من تعاونكم
وغربٍ مِنْ تواصينا

* * *

بأيديكم وأيدينا
زَرَعْنا طُهْرَ ماضينا
حَصَدْنا مَجْدَ حاضِرِنا
لنورثَهُ ذرارينا
نَقَشْنا فوقَ ذاكَ الغُصْنِ...
عِنْدَ حُدُودِنا معكمْ
بِضفَّتنا أساميكم
وضِفَّتِكم أساميـنا

* * *

بأيديكم وأيدينا
تكاتَفْنا...
وكانَ الدَّرْبُ محفوفاً رياحينا
نَرَى مِنْ حَوْلنا العُشّاقَ مُصْطَفّينَ...
أفْئِدَةً تُغازِلُنا
وأُخرَى... تَسْرقُ الكلماتِ مِنْ فَمِنا
وثالثةً... تُغَنّينا
رَسَمْنا في قُلُوبِ الحُبِّ...
عُنوانَ المُحِبّينـــا

* * *

بأيديكم وأيدينا
غَفَلْنا عَنْ بُذورِ الشّوكِ دُسَّتْ في أراضينا
تُعَكّرُ صَفْوَ تُرْبَتِنا
وتجْرَحُنا
وتُؤْذينا
سَقَتْها غَيمَةُ الحُسّادِ...
غَذَتْها معاصينـا

* * *

بأيديكم وأيدينا
ومادامَ الهوى فينا
صَنَعْنا العُرْسَ للعُذّالِ...
رَقّصْنا خُصُورَ المَنِّ في بُستانِ عِفّتِنا
وحتى دودةُ التُفّاحِ...
عاثَتْ في أراضينا
وصِرْنا نَشتَهي الأشواقَ...
نَشْقى في تَجافينـا

* * *

بأيديكم وأيدينا
سَرَى الشيطانُ في دَمِنا
وصارَ يُلَفّقُ الأوصافَ...
يَنْقُلُها مُزَوّرَةً مَعَ الدّقّاتِ...
يرسمُ في العيونِ رُؤىً
تُكَذّبُها مرايا الأمسِ...
يَبْعَثُ في الشُعورِ هوىً
تُخالِفُهُ الحَواسُ الخَمسُ...
يُغْرينا بِـ (عَرْشِ أنا)
فَيُغْوينـا

* * *

بأيديكم وأيدينا
بَكَى التُفّاحُ ماضينا
وغابَ الصّيفُ مَحْزُوناً
وجاءَ اللّيلُ مسجوناً
ونادتْ خَيمَةُ السُمّارِ مَرّاتٍ فما عُدْنا...
فَهَلْ عُدنا؟؟
ليمْطرْ غَيمُنا الأحقادَ...
والحُسّادَ...
والأوغادَ...
وليحْملْ لنا مافيهِ مِنْ غيثِ المُحبّينا
فما أحلاهُ نادينـا
وما أحلى لياليـنا
إذا عُدْنا... كما كُنّا
أيادينا تَشُدُّ على أياديكم
أياديكم تشدُّ على أيادينا

* * *

الأدب الوافي عند غير المسلمين

ارتبط الأدب الأردي في شبه القارة الهندية بأسماء علماء وشيوخ كبار نشؤوا وتربوا في أحضان المدارس الدينية، ونهلوا من معين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، فكتبوا أدبا تضمن إيمانا بالحقائق الدينية التي امتزجت بما في قلوبهم من مشاعر جياشة، وصفها الشيخ أبو الحسن الندوي بأنها نوع من الحرقة والألم.

وهكذا كان الأدب الأردي في عمومه أدبا إسلاميا بمعنى الكلمة، على الرغم من التأثر بالأدب الأوربي والثقافة الأوربية، ومحاولة بعض الأدباء والنقاد التشكيك في وجود الأدب الإسلامي وتصور بعضهم – كما قال الشيخ أبو الحسن الندوي «أن الإسلام والأدب لا يلتقيان، وأن الدين والأدب غير صنوان».

د. سمير عبد الحميد - اليابان

وفي الصفحات القليلة الآتية نوضح أن بعض الأنماط الأدبية التي لها ارتباط بالأدب الإسلامي، قد جذبت إليها بعض الشعراء المسلمين، وهذا أمر عادي، لكن العجيب أن تجذب الشعراء من غير المسلمين، وهذا أمر يستحق بلا شك اهتمام الدارسين والباحثين، وما نقصده هنا هو «أدب الدعاء والمناجاة، والمدائح النبوية» فهو نمط أدبي فيه من الصدق والإخلاص أكثر مما في غيره من أنماط الأدب الأخرى.

وقد يظن بعضهم أن هذا النمط من الأدب لم يعد له وجود في العصر الحديث، إلا أن الأدب الأردي لا يزال يتضمن نماذج رائعة لأدباء عاشوا في هذا العصر وأبدعوا في شعر المدائح النبوية والمناجاة، ومن شاء أن يطلع على بعض هذه النماذج، فليقرأ ماترجم للشاعر الإسلامي محمد إقبال عن الأردية والفارسية.

وفي شبه القارة الهندية الباكستانية لم يقتصر الأمر على ما كتب بالأردية والفارسية، فهناك شعراء كتبوا أيضا في هذا النمط بالعربية، وهذه أبيات لشاعر مجهول ينتمي إلى منطقة «مالابار» في جنوب غربي الهند على ساحل بحر العرب:

وكم لله من لطف خفي
يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر أتى من بعد عسر
وفرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحا
و تأتيك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوما
فثق بالواحد الصمد العلي

وليس من العجيب أن نجد هذا النمط الأدبي لدى شعراء اللغة الهندية أيضا، ويرجع هذا إلى تأثر أدباء الهندية بالأدب الأردي – وتأثر الشعراء الهندوس بمواطنيهم من الشعراء المسلمين، والحقيقة أن هذا النمط الأدبي كان من القوة بحيث جذب إليه بعض

شعراء الإنجليزية الذين كتبوا أيضا شعرا بالأردية. ولابد من الإشاره هنا إلى وجود فروق واضحة في أشعار الأدباء الذين ينتمون إلى الإسلام دينا، وأشعار الشعراء الذين ينتمون إلى الإسلام ثقافة إن صح التعبير بينما ينتمون إلى دين آخر.، وليس هذا بالأمر الغريب أن تأتي أشعارهم خالية من الحرقة والمشاعر الجياشة التي نلاحظها عند الأدباء المسلمين الذين كتبوا في هذا النمط الأدبي.

وأثبت هنا بعض النماذج المترجمة التي اقتبست بعضها من المقال الجيد «شعر المدح لدى شعراء الهندوس» الذي كتبه الشيخ ضياء الدين إصلاحي، وهو عالم جليل من علماء دار المصنفين / أعظم كره في الهند، في مجلة «كاروان أدب» أي قافلة الأدب»، لسان حال رابطة الأدب الإسلامي في شبه القارة، كما اقتبست بعضها الآخر من مجلة « أردو دايجست» التي تصدر في لاهور بباكستان.فمن شعراء الهندوس الذين ذاع صيتهم في الأدب الأردي نذكر «بندت ديا شنكر نسيم» الذي ينتمي أصلا إلى كشمير، وقد ولد في لكهنو ومات في شبابه سنة ١٨٤٣م، اتخذ اسما أدبيا، أو كما يقال بالمصطلح الأدبي الأردي «تخلصا» وهو «نسيم» مقلدا في ذلك الأدباء المسلمين، ورغم أنه نظم قصة لاتمت للإسلام بصلة لكنه تقليدا لشعراء الأردية المسلمين بدأ قصته بأشعار في مدح «الباري تعالى»:

ظهرت براعم الإبداع على الأغصان
فكانت ثمار ما خطه قلمي في حمد الرحمن
وعلى لساني جاءت في الحال كلمتان
هما: حمد الحق تعالى ومدح النبي سيد الأكوان

ثم يدعو الله بعد ذلك أن يطوع له لغة الشعر وأن يمنحه القدرة على نظم آلاف القصص.

ومن الشعراء الذين ذكرهم الشيخ ضياء الدين إصلاحي في مقاله سابق الذكر «منشي جكن ناتو خوشتر، واللفظ الأخير في الاسم هو تخلصه الذي اتخذه تقليدا للشعراء المسلمين الذين نظموا بالأردية والفارسية. وهذا نموذج مما نظمه بالأردية:

«من المناسب للبشر وقت الحاجة أن يناجوا ربهم طلبا للحاجة،
فمالك الدارين هو مدبر الحاجات، ولا شك أنه كريم رحيم بالكائنات
هو الغافر لكل خطايا البشر، يرزق الملك والشحاذ، ويحمي من كل شر،
فهو غفار، ستار.....ومن أسمائه أيضا: قهار، جبار،
هو الذي خلق النار للعصاة، وهو الذي خلق الجنة للتقاه،

هو الذي يهب اللذات في الحياة، وهو الواهب للعز والنجاة.

فإذا ما تألمت وصرخت وتضرعت ولجأت.. فلا تلجأ لأحد سواه».

وشاعر آخر يدعى «وهبي» من سكان لكهنو طبع له ديوان ضخم اشتمل على قصائد وغزليات ورباعيات، يفتتح ديوانه بهذه الأبيات يناجي فيها رب العزة:

يا إلهي ! أنت القادر، الغيور، الغني، الكريم.

يا إلهي ! أنت المالك، السميع، البصير، العليم.

يا إلهي! أنت الوارث، الحليم، الغفور، الرحيم.

يا إلهي ! أنت الحافظ، الحفيظ،العزيز، الحكيم.

أنت الواحد القدير، أنت المتكبر».

وهناك شعراء كثيرون نظموا في شعر الدعاء والمناجاة، نذكر منهم منشي برشاد سحر الذي ولد في بلدة بدايون بالهند، وقضى معظم حياته في دلهي ولكهنو. وكتب عدة رسائل باللغة الأردية في البلاغة والمنطق وغيرها، وله ديوان بعنوان «سحر سامري» وتتلمذ على يديه في الشعر وفن الخط كثيرون.

ومن الشعراء أيضا منشي جوالا برشاد برق (ت ١٩١١م)، وسورج ترائن مهر دهلوي (ت١٩٣٠م)، ومنشي تلوك محروم (ت ١٩٦٦م).

ومن الشعراء الهندوس الذين نظموا في شعر المدائح النبوية أو النعت الشاعر الهندي شيش تشندر طالب يقول:

«لو أن الهلال في السماء تكلم عن محمد.

لقال: إن مطلع النور من تلابيب محمد.

ما أعظم درس المساواة الذي علمه للبشر محمد.

لا يمكن أن ننسى أبدا فضل وإحسان محمد.

فالعبيدَ حررهم، وأطلق سراح الأسرى محمد

أحراراً في الدارين صاروا أتباع محمد

نال حب كل البشر هذا الإنسان محمد

ليس مسلما من لا يتمسك بتلابيب سنة محمد.

اقتبست منه جذوة نور الإيمان فانطلقت أنظم الشعر بعنوان محمد.

يا «طالب» لا يليق أن تسميه إنسانا

من لا يعرف قدر محمد».

أما الشاعر الهندوسي «بركاش ناته برويز» فيقول في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

«اسم محمد نور للعقل والفكر،

رسالة محمد هي أسمى رسالات العصر،

سيظل إلى الأبد منتشيا

من يشرب من كأس محمد،

القلب والروح رهينة تعاليمه
فكرمه وفضله على القلب والروح،
سمعت دقات قلبي تبلغني رسالة محمد
تخبرني بأن ما نطلق عليه إلهام محمد
هو سلم يقود إلى رفعة الحياة».

وختاما أدرج بعض الأشعار لأدباء مسلمين حتى يتضح للقارئ الفرق بين مشاعر الأديب المسلم و الأديب غير المسلم وخاصة في أثناء الكتابة عن موضوع يتعلق مباشرة بالعقيدة الإسلامية.

وهذه أشعار لشاعر مسلم يدعى م ع سملوي وردت في مجلة « كاروان أدب عدد أكتوبر – ديسمبر ١٩٩٥م تحت عنوان «نعت شريف»:

«من ذا الذي ناداني قائلا: لقد جئت هنا،
وجد اللسان حلاوة حين ردد «لبيك اللهم لبيك».
كنت في وطني مسجلا في قائمة العصاة
فمن ذا الذي أكرمني، وحملني فجأة إلى هذي الفلاة،
أين انا صاحب الوجه المسود بالذنوب
من هذه الأرض المقدسة؟!
هذا ليس بحلم، لكنها أفكار أتت على خاطري،
باسم من تنبض دقات قلبي وباسم من تضطرب؟!
وعلى سطح من هبط نور الأزل؟!
رأيت آلاف الحسان..وجوه كالقمر،
رأيت هنا الحسن بعينه،
رأيتهم جميعا في ظل رحمة الله،
من قال: إن ما أرى ليس من تأثير دعاء المصطفى!
فاشفع لي يا سيد المرسلين وقت الحشر
فأنا غارق في المعاصي.
لقد جئت أشد الرحال إلى مسجدك
أعبر البحار، أمضي على الطرقات، قاطعا الجبال والمسافات،
يا رسول الله! أنا أشكو لله مانحن فيه
فالمساجد في بلادي غير مصانة
والأرواح غير آمنة، و الأمة مهانة...»

ويتضح الفرق أكثر وأكثر حين نطالع ما كتبه شاعر الأردية الكبير ظفر علي خان:

ذلك الشمع الذي ظل ينير لأربعين سنة في الغار،
أضاء يوما إيوانات كسرى وبلاطات قيصر بكل فخار،
وأحال ليل الدنيا نهار،
لو لم يتردد في محفل الأرض والسماء صدى «لولاك»،
لما ظهرت هذه الألوان والورود في البساتين والرياض،
ولما ظهر هذا النور في النجوم والأفلاك.
ما لم يستطع الفلاسفة أن يحلوه،
وما لم يستطع الحكماء أن يعقلوه،
ذلك السر أخبر عنه سيد المرسلين – بإشارة بسيطة:
«لم تأت من دكان الفلسفة ببضاعة الإيمان،
فابحث عنها أيها العاقل تجدها في آيات القرآن»

ومن أشعار ظفر خان أيضا هذه الأبيات:

«جمالك زينة محفل الحياة
رونق جمال الدارين زكاة لحسنك،
نور ذاتك يبدو من طلعتك،
وغبار زقاقك كحل عين الكائنات،
لقد علمت الدنيا كلها أسلوب العمل،
ومن عرش «ألست بربكم»
أعطيت للأفلاك التجليات،
جلا لك قلب صفوف الكفر
فتحطم هبل وانكسر اللات» ■

ديبو المنحوس

محمد زهير الخطيب -كندا

خطبها ديبو لأنهم أخبروه أنها غنية، وأنها تملك العمارة التي تسكن فيها وتؤجر شققها وتدير أمورها من مكتب صغير في أحد أدوار العمارة.

فرح لتجاوبها معه ولضحكها لنكاته الحلوة التي جمعها من الإنترنت، وأحس أنه سيطلّق الفقر أخيرا، وأنه سيدخل معها في شهر عسل لن ينتهي إلا عندما يتمكن من الاستحواذ على عمارتها، ثم يتركها ليطير إلى أوروبا ليرى الدنيا ويتمتع بمباهج الغرب الساحر حيث لا رقيب ولا عذول.

ولما كان الوقت الذي يقضيه معها لا يكفي للتعبير عن «حبه العميق» فقد تبادلا «الإيميلات» ليتحفها بأحلى الكلام قبل أن تنام، وليرسل لها أجمل الصور والألوان عن الجزر التي اختارها لها لقضاء شهر عسل خرافي.

ما أتعس اليوم الذي أخبره فيه صديقه عباس بأن «حبيبة القلب» ماهي الا مشرفة على العمارة - مديرة- وليست صاحبتها! عندها أحس بالأسى وانهارت أحلامه المخملية، وتذكر أن أمه المرحومة كانت تسميه «المنحوس» عندما لا يطيعها، وعندما كان يعود إليها خائبا في كل أمر ترسله إليه.

رحم الله الوالدة! كانت مع حبها الشديد لي تسميني « المنحوس» لابد أنها تعرفني أكثر من نفسي.

على كل حال سأنتقم من هذه النصابة التي كانت ستوقعني في حبائلها وتتزوجني وهي على الحديدة، وجلس إلى حاسوبه يدبج رسالة قاسية إليها.

«عزيزتي فتحية:

لم أكن أعلم أنك ممثلة قديرة بهذا الشكل عندما حدثتني عن عمارتك المزعومة وثرائك الموهوم، ولقد سرحتِ بي بعيدا بكلامك المعسول عن مستقبل مشرق لا قهر فيه ولا فقر. لكم كنت أهبل عندما صدقتك ووثقت بك! كنت سأدفن شبابي في مقبرتك الموحشة، هل كنت تصدقين أني سأتزوجك لأمتع نظري بمنظر أنفك الطويل وعيونك «المعموصة» وشكلك الذي لا يُعرف طوله من عرضه؟ أم لضحكتك السخيفة التي تظهر منها أسنانك العوجاء كحبات الذرة الصفراء؟!

كانت أمي تسميني منحوسا، وهذه أول مرة أعرف أن أمي كانت على خطأ لأني اكتشفتك على حقيقتك قبل فوات الأوان.

أرسل لك هذه الرسالة «بالإيميل» لأني لا أطيق أن أرى وجهك النكد من جديد. الآن الساعة الواحدة ليلا وأنا أعلم أنك تنامين مبكرا، ستقرئينها غدا عندما تستيقظين لتكون آخر كلام بيني وبينك».

وفي اليوم التالي ذهب ديبو إلى عمله مبكرا كالعادة، وقابل صديقه «فاعل الخير» عباساً الذي نقل له الأخبار عن خطيبته، فأسرع إليه قائلا: أبشرك ياعباس، لقد أرسلت إلى فتحية أمس «إيميلاً» سيأتي بخبرها ويزلزلها، لقد شتمتها وأعلمتها أني تركتها. هذه النصابة الشمطاء.

فاهتز عباس وأجابه ضاحكا: لقد كنت أمازحك يا مجنون، فتحية فعلا غنية وتملك العمارة ولكن أردت أن أداعبك وأمازحك، فاصفر وجه ديبو وانهال على عباس بالشتائم والسباب، وأحس عباس بالندم وحاول أن يفكر بسرعة وأن يجد طريقة لإصلاح غلطته.

أنت قلت: إنك بعثت لها «الإيميل» أمس في وقت متأخر ليلا، والآن الساعة الثامنة والربع صباحا، إنها لم تستيقظ بعد، أمامك قليل من الوقت لكي تذهب إلى بيت فتحية قبل أن تفتح «إيميلاتها» وتتصرف بطريقة ذكية لكي تتمكن من حذف «الإيميل» الذي أرسلته لها قبل أن تقرأه...

فكر ديبو طويلاً وهو يقول: هل هذا معقول؟ فصرخ فيه عباس: نعم معقول.. هيا انطلق. وبدأ بدفعه بقوة نحو الباب، سأخبر المدير أنك ذهبت لأمر عائلي مهم، وأنك ستعود سريعا هيا... هيا...

انطلق ديبو يسابق الريح وتسابقه أفكاره... ماذا يقول وكيف يقول و... و...!؟

* * *

مَنْ بالباب؟ فتحت فتحية الباب وهي في ثياب النوم وشعرها منكوش. أنا ديبو أردت أن أفاجئك في هذا الصباح الجميل وأن نشرب معا فنجانا من قهوة قبل أن أذهب إلى عملي، رحبت به على استغراب ومضض، ومضت لتصلح من شأنها وتعد القهوة.

ما رأيكِ أن تفتحي لي الحاسوب لأرى رسائلي ريثما تأتين بالقهوة، استجابت له وفتحت له الحاسوب... الحمد لله لقد فتح الحاسوب بريدها الإلكتروني الشخصي بطريقة آلية دون الحاجة لكلمة السر لأنها كانت محفوظة، بدأ يستعرض «إيميلاتها» بقلق وبيدين مرتعشتين حتى وجد «إيميله» اللعين، فأسرع بحذفه... وتنهد تنهد المنتصر، وقام يغني أغنية «أنا واد خطير...» فأتته فتحية بالقهوة وهي تبتسم وتعجب من أحواله.

ارتشف ديبو قهوته بسرعة واعتذر من «حبيبة القلب» وخرج مسرعا إلى عمله قبل أن يحسبوا تخلفه غياب يوم، ولم ينس أن يحكي لعباس ماجرى مستعرضا ذكاءه وسرعة بديهته في حذف الخطاب اللعين... وضحكا معا حتى كادا أن يقعا على الأرض.

وجلس ديبو إلى مكتبه وفتح حاسوبه وبدأ بمباشرة عمله، ورغم أن التعليمات في الوظيفة كانت تقضي بمنع الموظفين من الدخول إلى مواقعهم أثناء العمل، غير أنه قرر أن يلقي نظرة سريعة على «إيميلاته» ليرى فقط هل فيها شيء مهم.

لم يجد شيئا مهمّاً، وقبل أن يخرج من موقع «الإيميلات» لفت انتباهه «إيميل» قادم من فتحية، فقال لنفسه: لعلها تريد أن نرتب لقاءً على الغداء أو ماشابه ذلك، فتحه وطعم الانتصار الكبير لازال في فمه وقرأ:

عزيزي ديبو..

أريد أن أنصحك بأمر قد يفيدك في حياتك الجديدة .

لاتترك الرسائل المهمة المحذوفة في سلة مهملات الحاسوب عليك أن تحذفها أيضا من سلة المهملات.

شكرا لسلة المهملات التي كشفتك على حقيقتك. ولا أقول لك إلا: وداعا ياديبو المنحوس!.

فتحية■

تذكرة للشعراء*

د. محمود فاخوري** - سورية

جاء في كلام أحد الأئمّة: «اركب الآذيّ تشرب الماذي». أمّا الآذيّ فمعناه موج البحر، وأمّا الماذيّ فهو العسل. والمعنى في هذه العبارة واضح، وهو يقوم على الإصرار على مواجهة صعوبات الحياة من أجل تحقيق الغايات المنشودة والحصول على الراحة التامّة، كما قال أحمد شوقي:

أُعدَّت الراحةُ الكبرى لمَن تعبا
وفاز بالحقّ مَن لم يألُه طلبا

(لم يألُه، بضمّ اللام: أي لم يقصّر في طلبه).

وقال أبو تمّام الطائي:

بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها
تُنال إلّا على جسرٍ من التعبِ

وقال بعضهم:

اطلب ولا تضجرَ من مطلب
فآفة الطالب أن يضجرا
أما ترى الماء بتكراره
في الصخرة الصمّاء قد أثّرا

(تضجَرَ: بفتح الراء على حذف نون التوكيد الخفيفة لضرورة الشعر).

ومن أجل صعوبة العلم أو الأدب كان العلماء والأدباء من السَلَف ومن سار على نهجهم من الخَلَف يتوسّلون إليه بركوب الخطر، ومعاناة السفر، وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر. وبذلك كلّه ارتفع ذكرُهم، وعلا صيتُهم، ولمعت نجومُهم على مدى الأيّام.

وعلى سبيل المثال، خذ الشعراء الفحول من أمثال أبي تمّام الطائي والبحتري وابن الرومي والمعرّي وأبي نوّاس وغيرهم... أتظنُّ أنّ أحدهم وصل إلى ما وصل بالراحة والنوم؟ أم أصبح شاعراً مجلّياً بحفظه للأشعار، وإدمان النظر فيها، واقتناصه شواردها، وكثرة مخزونه منها؟

وأنا أذكر بعض الأمثلة على ذلك، وما آتاه الله سبحانه لبعض الأدباء والشعراء وسواهم من الاستيعاب المدهش لأشعار العرب وتراثهم التليد والطريف. وأبدأ بأبي نوّاس الذي قال: «ما قلت الشعر حتّى حفظت شعر ستّين امرأة فضلاً عن الرجال».

ورُوي أنّ أبا تمّام الطائي قال عن نفسه: «لم أنظم الشعر حتّى حفظت سبعة عشر ديواناً للنساء خاصّة دون الرجال». وكان أبو تمّام هذا يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع.

أمّا أبو الطيّب المتنبّي فقد كان من المكثرين من نقل اللغة، والمطّلعين على غريبها، ولا يُسأل عن شيء إلّا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر. وتفوّق عليه المعرّي في ذلك.

فأين «شعراؤنا» اليوم من أولئك الشعراء وأمثالهم؟ وكم بيتاً من الشعر يحفظون أو حفظوا قبل أن

ينظموا أنفسهم في سلك «الشعراء»؟ ولا أقول: كم قصيدة يحفظون من عيون الشعر العربي؟

حُكي أنّ الأديب الكبير أبا بكر الخوارزمي (-٣٨٣هـ) قصد حضرة الصاحب بن عبّاد، الوزير الأديب (٣٨٥هـ). فلمّا وصل إلى بابه قال لأحد حجّابه: قل للصاحب: على الباب أحد الأدباء، وهو يستأذن في الدخول. فقال الصاحب: قل له: قد ألزمت نفسي ألّا يدخل عليّ من الأدباء إلّا مَن يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب. فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك. فقال أبو بكر: ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب وأعاد عليه ما قال، فقال الصاحب: هذا يكون أبا بكر الخوارزمي. ثمّ أذن له في الدخول ورحّب به وأكرمه.

وذكر ابن قتيبة في كتابه «الشعر والشعراء» أنّ رَجلاً مسنّاً من حفّاظ الشعر يدعى أبا ضمضم جاء إليه فتيان بعد العشاء يزورونه، فقال لهم: ما جاء بكم يا خبثاء؟ قالوا: جئناك نتحدّث. قال: كذبتم، ولكنّ قلتم: كبر الشيخ، فعسى أن نأخذ عليه سقطة. ثمّ أنشدهم لمائة شاعر، وقيل: بل أنشدهم لثمانين شاعراً، كلّهم اسمه عمرو.

قال الأصمعي راوي الخبر: فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين. ويعقّب ابن قتيبة على ذلك قائلا: «فهذا ما حفظه أبو ضمضم، ولم يكن أكثر الناس روايةً، وما أقرب أن يكون مَن لا يعرفه من المسمَّين بهذا الاسم أكثر ممّن عرفه».

واجتمع ثلاثة من بني سعد يراجزون بني جعدة (أي يباروهم في إنشاد الأراجيز يعني القصائد المنظومة على بحر الرجز). فقيل لأحد الثلاثة: ما عندك؟

قال: أرجزُ بهم يوماً كاملاً إلى الليل لا أعجز ولا أعيا.

وقيل للثاني: ما عندك؟

فقال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا أنقطع.

وقيل للثالث: ما عندك؟

قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا ينفد ما عندي.

فلمّا سمع بنو جعدة كلام الثلاثة انصرفوا وعدلوا عن مراجزتهم.

وأخيراً ليسمع شعراؤنا الشباب قول الطائي الأكبر:

ولكنّني لم أحو وفراً مجمَّعاً
ففزتُ به إلّا بشمل مبدّدِ
ولم تعطني الأيّام نوماً مسكّناً
ألذّ به إلّا بنوم مشرَّدِ

وقال مالئ الدنيا وشاغل الناس:

دعيني أنلْ ما لا يُنال من العلا
فصعبُ العلا في الصعب، والسهلُ في السهل

المعري

أبو تمام

المتنبي

(*) مجلة الضاد، العدد الثاني، ٢٠٠٩م، تصدر في حلب، سورية.

(**) أستاذ بكلية الآداب بجامعة حلب، عضو هيئة التحرير بمجلة الضاد.

أمواج الحرية

خالد إبراهيم - قطر

الشخصيات:

- الشيخ أكرم
- المحقق
- جندي١
- جندي٢
- طفل١
- طفل٢

(يفتح الستار على قاعة تحقيق بها طاولة خلفها كرسي يجلس عليه الجنرال المحقق وأمامه بعض الأوراق وهاتف وبجوار الطاولة كرسي وقفص حديدي)

جندي١: (يدخل بحركات مضحكة تنم على ارتباكه وذعره ويؤدي التحية العسكرية باليسرى فيشير له الجنرال فيؤديها باليمنى) الإرهابي الخطير بالخارج يا جنرال.

المحقق: أدخله **(ينظر في يديه أولا ثم يؤدي التحية باليمنى).**

(جندي١ وجندي٢ يدخلان بالشيخ معصوب العينين ومكبلا بسلسلة حديدية)

جندي٢: الإرهابي المتطرف يا جنرال.

الشيخ: (يجلس على الكرسي).

المحقق: كيف رأيت الكرسي؟!

الشيخ: بنور البصيرة.

المحقق: أوقفوه.. وانزعوا العصابة عن عينيه.. فلا فائدة لها..

(جندي١ يوقف الشيخ وهو خائف منه، وجندي٢ ينزع عنه العصابة).

المحقق: اسمك؟

الشيخ: أكرم.

المحقق: جنسيتك؟

الشيخ: مسلم.

المحقق: هل تظنني غبيا لهذه الدرجة؟!.. شيخ يعني مسلما.. ما بلدك؟

الشيخ: أنا ولدت في مصر.. وأعيش في قطر.. وقدمت من تركيا.. لنصرة إخواننا في فلسطين..

المحقق: مصيبة.. كل هؤلاء اتحدوا علينا..

الشيخ: وحتى تكتمل مصيبتك.. أنا أمثل الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في أسطول الحرية..

المحقق: ظننا أن عدونا الشيخ القرضاوي قد كبر في السن وأنه لن يستطيع المشاركة في الهجوم علينا.. فإذا به يرسل لنا تلميذه..

الشيخ: ليس تلميذا واحدا..

المحقق: كم؟! قل لي كم حتى نستعد.. اثنان.. ثلاثة.. خمسة..

الشيخ: الآلاف.. الآلاف من تلاميذ الشيخ وإخوانه قادمون.. قادمون لتحرير المسجد الأقصى..

المحقق: هؤلاء هم الذين نخاف منهم.. نحن لا نخشى الجيوش العربية.. فقط نخشى من الذين يقولون: الله أكبر..

الشيخ: لماذا تخافون منهم كل هذا الخوف؟!..

المحقق: لأننا جئنا من كل بلاد الدنيا إلى هنا لنعيش.. أما هم فيأتون للموت..

الشيخ: هم لا يموتون..

المحقق: لا يموتون.. لماذا؟!..

الشيخ: هم أحياء عند ربهم يرزقون..

المحقق: اسمع يا شيخ أكرم.. لن أحقق معك.. وسأطلق سراحك.. إذا وقعت على هذه الورقة..

(يناوله إياها فيقرؤها ويلقيها على الأرض)

الشيخ: لن أوقع على هذه الأكاذيب..

المحقق: أنت دخلت إسرائيل بطريقة غير شرعية..

الشيخ: لن أدخل فلسطين وأنتم فيها.. عندما سأدخلها سيكون ذلك لطردكم..

المحقق: لكن أنت هنا الآن..

الشيخ: لأن قراصنتكم خطفونا من عرض البحر..

المحقق: أنت إرهابي متطرف.. اعتديت على جنود إسرائيل الأبطال.. الذين لا يقهرون.

الشيخ: أبطال.. لا يقهرون..

المحقق: نعم أبطال.. لا يقهرون.. ماذا فعلوا معكم يا كوهين؟!

جندي١: لا داعي يا جنرال.. لا داعي..

المحقق: تكلم حتى نثبت ذلك.. وندينه في التحقيق..

جندي١: عندما نزل جنودنا من الطائرات على سطح السفينة.. أمسك بهم هؤلاء الإرهابيون.. وضربوهم بالعصي..

الشيخ: عصي في مقابل رشاشات وقنابل.. ثم تقول: أبطال..!

جندي٢: لا.. ضربونا بالرصاص أيضا..

المحقق: ومن أين حصلوا على الأسلحة؟!

جندي٢: خطفوها من جنودنا..

الشيخ: الأبطال..

المحقق: اعتديتم على الجنود الطيبين المساكين.

الشيخ: الكتاكيت..

المحقق: نعم..

الشيخ: الآن صار الأبطال مساكين.. كتاكيت..

المحقق: نعم.. أمام الإرهابيين أمثالك.. فهم متحضرون.. مسالمون..

الشيخ: مسالمون.. هل كنت تريدنا أن نستقبل القراصنة الذين هجموا على سفينتنا في أعالي البحار ونحن نصلي الفجر بالورود؟!..

المحقق: كانوا يدافعون عن أنفسهم..

الشيخ: يا كَذَبَة!.. من الذي يدافع عن نفسه؟!.. ١٢٠٠ قرصان مزودون بأحدث الأسلحة.. تدعمهم الطائرات والبوارج في مقابل ٦٠٠ مدني، منهم نساء وشيوخ عمرهم ٨٢ عاما وحتى محمد الفاتح..

المحقق: لو كنا نعرف أن محمداً الفاتح هذا فيهم.. لكنا أرسلنا ألف جندي آخرين ليقبضوا عليه.. ذلك الإرهابي الخطير.. هو الذي حرض المتطرفين على المقاومة..

الشيخ: هل تعرف محمداً الفاتح الذي كان معنا على ظهر السفينة مرمرة؟!

المحقق: نعم.. الموساد لا يخفى عليه شيء..

الشيخ: كم عمره؟

المحقق: **(ينظر في الأوراق)** لم يذكروا عمره..لكنه المحرض على الأحداث الإرهابية..

الشيخ: محمد الفاتح الذي كان على السفينة.. عمره سنة.. سنة واحدة..

المحقق: سنة واحدة ويعمل كل ذلك!.. ماذا لو أصبح عمره عشرين سنة؟!

الشيخ: سيحرر المسجد الأقصى..

جندي١: احكم على هذا الإرهابي بالسجن المؤبد يا جنرال.

جندي٢: ثلاثة مؤبدات يا جنرال.

جندي١: اجعلها خمسة مؤبدات يا جنرال..

الشيخ: والله لو كانت ٦٧ مؤبدا كما فعلتم مع المجاهد القسامي عبد الله البرغوثي.. لن أهتم.. فسيأتي محمد الفاتح الجديد وإخوانه لتحريرنا.. وتحرير فلسطين..

المحقق: نحن عندنا عدالة.. نحن جهة تحقيق فقط.. أما المحكمة فهي التي ستحكم عليك بعشرين مؤبدا فقط..

لن ترى النور مرة أخرى يا شيخ أكرم..

الشيخ: يكفيني في السجن.. أن أتنفس عبير فلسطين..

(تسمع من الخارج أصوات أطفال فلسطينيين يهتفون: الحرية لأبطال الحرية.. غزة حرة)

المحقق: **(يجلس على مكتبه خائفا)** ما هذه الأصوات؟!.. اقبضوا عليهم..

(يخرج جندي١ وجندي٢ ويقبضون على أطفال يرتدون الكوفيات الفلسطينية)

الشيخ: مرحبا بجيل العزة.. مرحبا بجيل النصر.. **(يطوقونه بالأزهار)**

طفل١: جزاكم الله خيرا.

طفل٢: بارك الله فيكم.

المحقق: أدخلهم السجن (يدخلانهم غرفة لها باب حديد مشبك يرى من بداخلها).

الشيخ: أحبتي أطفال غزة.. سامحونا.. لقد أحضرت لكم ألعابا كثيرة.. لكن هؤلاء المجرمين سرقوها..

طفل١: لا نريد ألعابا يا عم.

الشيخ: هل تريدون طعاما؟

طفل٢: لا نريد طعاما.

الشيخ: ماذا تريدون إذا؟!

طفل١: نريد أن تحرروا فلسطين.

طفل٢: نريد أن تحرروا المسجد الأقصى.

الشيخ: (تدمع عيناه) إن شاء الله.. عما قريب سنحرر المسجد الأقصى.. لن يهدأ لنا بال حتى نحرر قبلتنا الأولى.. اطمئنوا.. اطمئنوا..

(يسمع جرس الهاتف فيرد المحقق)

المحقق: شالوم.. نعم.. هو أمامي.. ماذا؟!.. مستحيل.. كيف؟!.. أمرك.. أمرك.. شالوم..

(يضع رأسه بين يديه برهة ثم يرفعها) كوهين..

جندي١: أمرك يا جنرال.

المحقق: خذ الشيخ..

جندي١: إلى السجن..

المحقق: لا..

جندي٢: إلى المشنقة.

المحقق: لا..

جندي١: إلى أين؟!

المحقق: إلى المطار.

جندي٢: كيف؟!.. مستحيل..

جندي١: لقد اعتدوا على جنود إسرائيل.. هذا لم يحدث من قبل..

المحقق: الدنيا تغيرت.. لأول مرة أشعر بالخوف على وجود دولة إسرائيل.. أخرجوه..

(يهمان بإخراج الشيخ أكرم)

المحقق: شيخ أكرم.. (يتوقف الشيخ) لا أريد أن أراك هنا مرة أخرى..

الشيخ: لن أرجع وحدي.. سأعود مع كل هذه الجموع.. موجة وراء موجة.. أمواج الحرية.. أساطيل الحرية.. رددوا معي.. سنعود.. سنعود.. سنعود.. للقدس راجعين شهداء بالملايين.. للقدس راجعين شهداء بالملايين..

(ستار)

رمز العزة

جمال سعيد عبدالغفار - مصر

الليل الأسود يزحف.. ينفث سمومه.. المدينة أبية.. شوارعها موت زؤام.. زيت المصابيح أعد قديما.. الأبطال يجيدون حمل المشاعل.. يضيئون حياة المحرومين.. يخطون بأيديهم المضرجة دستور النصر الأسطوري المقدس.

عاد خالد وصلاح.. معهم كل الأباة.. ينفخون أرواحهم في روع صغير.. يصير البطل الأعجوبة.. يحتضن الموت تحت سترته.. يرهب جبانا سقط خلف ستار مفضوح.

المتغطرسون يسندون سواد الليل المتهاوي.. يرفعون عاراته.. رقصوا على أوتار الهزيمة.. خدام المذلة يهيئون لهم كأس نصر فارغا.

شرفاء العالم وقفوا.. قاموا.. زحفوا.. يلطمون الخد المصعرة.. يسقطون القناع.. يبعثرون الكيل الظالم.

الملائكة زفت عروس النصر ،، يحملون قناديل الشهادة.. الحور تغني لهم أهزوجة الخلد.

المدينة صارت مثلا

تليت آية

بقيت غزة رمز العزة.

دمعة الحياة

علي عفيفي علي غازي- مصر

وقتها كنت لا أزال صغيرا، طفلا لم يتعد الربيع الخامس، لكنني رغم ذلك لم أستطع نسيان تلك اللحظة التي لا تزال تجول بخاطري كلما خلوت إلى نفسي، وجلست للحظة معها، نتذاكر معا ذكريات الماضي، فهي لم تفارق خيالي أبدا، رغم بلوغي المنحدر، وها قد أوشكت على الانحدار.

كان جدي يستلقي على سريره، وكان كل أولاده يحيطون به، الجميع يدعو الله أن يطيل في عمره، ولكن هيهات أن يتأخر أجله، أو أن يتقدم، غاب جدي عن الوجود، ولاحظت أن قطرات العرق تندي جبينه، وعمتي الجالسة بجوار رأسه على حافة السرير تمرر المنديل على العرق ليتبلل به، وتدر مآقيها دموعا حارة أجاجة..

أدرت بصري في الحجرة لألحظ أمي تنزوي في جانبها وقد لمعت وجنتاها من أثر الدموع، أجول بعيني بين الموجودين، الجميع يبكي، انتابتني رعشة شديدة، ولا إراديا سالت دموع عيني غزيرة، لم أستطع أن أوقفها رغم محاولاتي اليائسة، ورغم احتضان والدي لجسدي النحيف بين أحضانه يستجديني أن أكف عن البكاء، لكني لم أتمكن أن أجفف عيني.

كانت جدتي لا تزال تنعم بالحياة، رغم أن الشيخوخة قد أحنت ظهرها، وأحالت شعرها إلى اللون الأبيض، ونشرت التجاعيد على وجهها، وغورت عينيها بين حدقتيها، كانت جدتي جميلة جدا في شبابها، ذات شعر بني ناعم، وعينين عسليتين، ووجه أبيض مستدير، ولكن الحال لا يدوم، هكذا فعلت بها السنون، ولكن رغم ذلك كانت لا تزال تحتفظ بخفة دمها، وبحبها الشديد لي، وخوفها علي، كانت دائما تنهر

أمي على إهمالها لنظافتي، وعلى ملابسي المتسخة، التي كانت في مرات متعددة تقوم بنفسها بتجديدها لي، ولكن ما كان يزعجني منها هو خوفها الشديد علي، ذلك الخوف الذي كان يحد من حريتي، ويمنعني عن الخروج للعب في الشارع مع أصدقائي، وفي محاولاتها المتكررة لمنعي من الخروج كانت تخيفني من الشارع بوجود «أم الغول» و «العجوز ذات العيون التي تقذف النار» وكلتاهما بانتظاري لتأكلاني، وكانت محاولاتها تلك غالبا ما يصادفها النجاح، إذ بعدها أسارع بالهرب فرارا إلى حضنها لتضمني إلى صدرها في حنو ودفء شديدين إلى أن يثقل النوم عيني فأذهب في ثبات عميق.

في الأيام الأخيرة كان قد ألمَّ بها مرض عضال ألزمها الفراش وأثقل لسانها عن الكلام، وكنت ألمس مدى سعادتها عندما أجلس بجوارها على سريرها أحادثها وأستجديها الكلام، وأشعر برغبتها في ملاطفتي كالأيام الخوالي، وهي تربت على كتفي، وتمسح بيديها على ظهري، وتمس شعري في لطف وحنان، ثم تشير لأميل عليها لتمنحني قبلة على خدي، لتمتد يدي إلى غطاء شعرها الأبيض القصير لأعبث بخصلاته، وألمس سعادتها، وفرحها، وكأنها تريد أن تخبرني مثلما كانت تخبرني من قبل عن جمال شعرها البني الجميل الناعم.

يفيق جدي من غيبوبته وهو يدير بصره في جنبات الحجرة، وكأنه يبحث عن شيء ما، ويتتعتع لسانه ثم يردد اسم جدتي «نفيسة» وهو يشير إلى الباب، ويغيب مرة أخرى عن الوعي، لنسمع بعدها بلحظات صوت طرقات على باب الحجرة، تهب أمي واقفة تفتح الباب، فإذا بجدتي تقف ببابها، وقد فارقت فراشها، وتسير بخطا ثقيلة متحملة على رفيقتها، متوكئة على عصاها، التي لازمتها منذ مدة ليست بالبعيدة، حينما هوت ببهو المنزل على قدمها، لتجري عملية جراحية بها.

تسير جدتي بخطا متباطئة مقتربة من السرير، حيث يرقد جدي، تقف عمتي مفسحة لها المكان لتجلس بجوار رأس جدي، وتشير إليها لتمنحها المنديل لتجفف به عرقه، وتحدق بعينيها في وجهه، وتدمع عيناها، وتمسح بيدها جبينه.

يفيق جدي مرة أخرى، يدير بصره في جوانب الحجرة، ينظر إلى المحيطين به نظرات متأنية، والجميع ينصت إلى السكون منتظرا أن يهمس، لكنه أدار بصره بين الجميع دون أن ينطق بحرف واحد، ليستقر بصره على جدتي، وتتحرك يده لتحضن يدها، تتشابك أصابعهما، تتماس بطون أيديهما، ويقبض كل منهما على طرف الآخر، وأجسادهما ترتجف، لحظتها لأول مرة انتابتني رعشة فارتجف جسدي كله، وذرفت دموعي بغير إرادة، ولا وعي.

يتحرك لسان جدي ليستحث جدتي على الكلام، وهي تمسح على وجهه تحثه بدورها على الحديث، وتتلاقى عيونهما، وكأنها تتحدث في صمت، وتنحدر من عين جدتي دموعها، يتحرك لسان جدي مرددا: «نفيسة» تجيبه جدتي: «حجازي». يغيب جدي بعدها برهة عن الوجود ثم يفيق وجدتي تحثه بعينيها وتثبته، ويردد في لحظة واحدة «لا إله إلا الله» وجدتي تدمع عينها، وكل من بالحجرة يبكون، وهي تجيبه «محمد رسول الله»، لتنحدر من عينه دمعة الفراق، دمعة الوداع، دمعة الحياة!.

ويتوقف لسانه، ويبرد جثمانه، ويتجمد دمه، وترتفع حدقتاه لأعالي الأجفان، لتمتد يد جدتي لتغمضهما■

إلماحات فنية
في ظلال قصيدة
عاشق الزنبق
للشاعرة نبيلة الخطيب

نشرت مجلة الأدب الإسلامي بفضل اعتناء قصيدة الشاعرة نبيلة الخطيب بعنوان «عاشق الزنبق» في العدد الثامن والأربعين.
وقد كانت المجلة موفقة في الاختيار ومصيبة في الاعتناء كعادتها دائما في الاختيار واحترام عقول قارئيها وأذواقهم.

رضوان سلمان* - الأردن

قرأت القصيدة وأعدت قراءتها ووقفت عليها، ولكم شد اهتمامي مستوى الشاعرة الصوتي والمعجمي والبياني والبديعي ؛ مما جعل القصيدة ثرية بالصور والمعاني الغنائية المنسابة، كما ساعد على ذلك أن نسجها جاء على بحر(البسيط)، ثم اختيار الهاء المشبعة وصلاً بحرف الروي(اللام)، لتعطي امتداداً صوتياً غنائياً مشبعا، وسبق حرف الروي في أغلب القصيدة بالتشديد وهو ما يسمى لزوم ما لا يلزم في ثلاثة عشر بيتاً من أصل أربعة وعشرين بيتاً وهو من البديع الذي ورد في القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ (الضحى)؛ ليعطي هذا تنويعاً في اللحن بين شدة وخفة، وكان اختيار الهاء المشبعة موفقاً لأن الهاء مخرجها من أقصى الحلق والإشباع بالواو ومخرجه الجوف فالقصيدة كلها جوفية المعنى إن صح التعبير، فكان التناسب الرائع بين المعنى والصوت.

* كاتب أردني، بكالوريوس في الأدب العربي من جامعة بيروت، ودبلوم عال في القراءات القرآنية من الجامعة الأردنية.

وقد خلت القصيدةُ من عيوب القافية فلا تضمين ولا إيطاء أو إقواء.

أما السناد فقد اهتمت به الشاعرة في القصيدة(فتح ما قبل حرف الروي) إلا في بيتين:

كسر الجيم في «يعجّله» في قولها:

إن أبطأ النسم والأفنان ناعسة

تراه هبّ رفيفًا كي يعجِّله

وكسر الزاي في(منزِله) في قولها:

دعوته نحتسي الإصباح مؤتلقا

وبالزنابق قد زينت منزله

وكذلك خلت القصيدة من عيوب الفصاحة والبلاغة فقد ائتلف اللفظ مع المعنى، فلا تنافر حروف وكلمات، أو غرابة استعمال وضعف تأليف، أو مخالفة قياس وكراهة في السمع.

وقد طهُرت القصيدة من أي تعقيد لفظي أو معنوي أو كثرة تكرار أو تتابع إضافات أو ضمائر أصحابها مجهولو الإقامة، مما يعني تمكن الشاعرة وتحكمها بالقصيدة صياغة ولغة وبياناً مع فصاحة الكلمة والمتكلم وبلاغتهما.

* * *

بدأت القصيدة بسؤال مباشر يدل بذاته على المفاجأة والدهشة:.

ماذا أتى بك؟ قال: الوجد والوله

فطرت زهوا وخلت الكون لي وله

للتدليل على أن الشاعرة لم تكن تتوقع إتيانه أو رجوعه – على المعنيين –.

وقولها «فطرت زهوا» يؤكد على المفاجأة، فالذي يفاجأ بمحبوب لديه يكاد يطير فرحا، فلا يتمالك نفسه فتخف به الحركة.

ومن جمال التعبير والتناسق بين اللفظ والمعنى استعمال «زهوا» التي من معانيها – الخفَّة – أي السرعة والنشاط، وهي تكاد تلبس لفظة « طرت» فلا تنفك عنها.

و «طرت» تعطي معنىً وصورة. أما المعنى: فالدلالة على شدة الفرح ووقع المفاجأة المحببة.

وأما الصورة: فتداخل – الشاعرة – وهي تطير بصورة العصفور الذي جاء يقطع المسافات طائراً، فامتزج الاثنان في صورة حركية جمالية واحدة – فهما واحد – هو طار إليها وهي طارت إليه.

عاشق الزنبق

كان حقل من الزنابق يحيط ببيتنا الذي عشت فيه طفولتي في فلسطين، وكان عصفور صغير دائم الحضرة يرتشف الرحيق من الزنابق. كبرت وسافرت وغاب العصفور عن عيني بينما ظلت الذكريات حائمة في البال. قبل عامين أحضرت بعض الزنابق إلى حديقة منزلي، ولم يمض إلا وقت قصير حتى أتى العصفور يرفرف فوق الزنبق ويشتف الرحيق فيدندنه بالهفة وإلفة وسوال:

شعر: نبيلة الخطيب
اليمن

ماذا أتى بك؟ قال: الوجدُ والولهْ ... فطرتُ زهواً وخلت الكون لي ولهْ
وكيف تَغفيل والأيـــام ضـاغبة ... عليَّ تحمل طيف العمر آونـــةً؟!
أبعد هذا الفراق المرّ تذكرني؟! ... من أين لي الوهمُ بعض من يراودني؟!
يا خلّ طيفك لم يبرح ذرى أملي ... وكلما مرّ قلبي اليأس أعلنهْ
أين الخصوبُ إذا ما الصيفُ زمّرها؟! ... وثمرة الظل حين الظل يلفظهْ؟!
حقل من الغيد لون الغيد منتشيا ... ليكن قدّ هوى في البال منيلهْ

* * *

٨ الأدب الإسلامي العدد ٥٤ ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

وفي البيت صورة أخرى: هي المزج بين الوجد والوله، فمن معاني الوجد الحزن والحب.

والوله: من ولهت الأم إلى طفلها: حنت إليه، وولهَ الطفل إلى أمه: فزع إليها.

فالجواب على السؤال «ماذا أتى بك؟» أن سبب إتيانه إما عدم تحمل الغياب فحزن فجاء، وإما الحب، والمعنيان في الحقيقة متشابكان.

لذا جاء التعبير بالوله لتؤكد هذا التمازج في المعنى. فالغياب أحزنه وأجج فيه الشوق فحن وفزع إليها كما يفزع الطفل إلى أمه...

والزهو: له معنيان: التيه والتعاظم، والافتخار.

وأيضاً: زها الشيءُ فلاناً زهواً: استخفه.

فإذا حملنا البيت على معنى التيه والتعاظم والافتخار تكون الشاعرة قد عبرت عن الامتلاء بهذه الأمور، وحُق لها ذلك بهذا الرجوع، فقد أحسّت بعظمة الموقف وافتخرت وتاهت بهذا المحب العاشق الوله، وإلى هذا المعنى أميلُ ؛ فالمعنى يقتضي ذلك والمعرفة بالشاعرة يصرفُ إلى هذا المعنى. وأما المعنى الثاني، فقد ألمحتُ إليه آنفاً ولا داعي

لإعادته.

ويحسن أن ألفت إلى أن هذا البيت جمع بين ثلاثة مُحسّنات بديعية وعروضية، وهي: «التصريع والسجع والتصدير» وهو أن يُجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحق بهما، أحدهما في آخر البيت والآخر إما في صدر المصراع الأول أو في حشوه أو في آخره.

إن عودة العصفور من هناك من(فلسطين) بعد هذه الغيبة التي طالت أو قصرت، ينكأ جروح الشاعرة، ويظهر العصفور رمزاً للقضية، فالشاعرة صاحبة قضية حية قائمة في وجدانها:

يـاخِـلُ طيفك لم يـبرح ذرا أملـي

وكلما مسّ قلبي اليأس أمّلهُ

وتقول أيضاً:

يرقي جراحي فلا ألقى لها أثرا

كم عـلّ قلبـيَ فـي لمـح وعللـهُ

والشاعرة لا يسيطر عليها اليأس أو يغلبها وهي الشاعرة المؤمنة بدليل قولها:... لم يبرح ذُرا أملي... بهذه الكلمات الثلاث تؤكد على الحضور الكامل والأمل الدائم.

أما ذكر اليأس فعبرت عنه بالمسّ وهي بذاتها تدل على عدم التمكن أو الدخول في القلب، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾(الأعـــراف).

وإن هذا الذكر لليأس من الشاعرة ليدل على الواقعية البشرية، وفي النهاية تغلب المثالية الإيمانية﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾(الأعراف). والإنسان دائم الحاجة إلى ما يسنده ويشد عضده، وهي لم تحتج إلا إلى طيف، وهذا في غاية التحقق المبدئي والإيماني.

إن تتابع الأسئلة بعد سؤال الدهشة واللهفة كما عبرت هي في آخر تصديرها للقصيدة يوحي بأنها لم تستفق جيداً من وقع المفاجأة فتمطره بالأسئلة المتتابعة:

من أبرم الوعدَ في حينٍ وأجلهُ؟

وكيف تُقبل والأيام غاديةٌ؟

أبعد هذا الفراق المرّ تذكرني؟

وهي أسئلة تابعة للحالة الأولى، وليست أسئلة استنكار ولا استغراب.

ثم تبدأ الشاعرة بدورة الوعي والهدوء والاستقرار لتقول له:

إذا كان الوجد والوله هما اللذان أتيا بك فاعلم أني لستُ عنك بغافلة ولا ناسية، فإن طيفك أنت أيضاً لم يبرح ذُرا أملي.

ويبدو الصحو الكامل والوعي التام قد زالت مسبباته بسؤالين أيضاً نشعر معهما بالراحة والاطمئنان وحلاوة التذكر لتبدأ رحلة جمالية جديدة ملأى بالصور والمشاعر والتألق والتأنق الإبداعي.

أين الحضور إذا ما الصبح زنرها؟!

ونُضـرة الفـل حـين الطـل بللهُ؟!

حقلٌ من الغيد لون العيد منتشياً

لكـلّ قـدّ هـوىً فـي البـال ميّله

وكـل خـدّ بـوهـج الشـوق ملتهبٌ

يـزداد ذوبـاً إذا المحبـوب قبّلهُ

صور متتابعة، شرحُها وادعاء بيانها ينقص من بهائها ويحط من عليائها...

الـريـح تـلـعـب بـالأذيـال قـاصـدةً

وكـلـمـا اشـتـد فـعـل الـريـح أخـجـلـه

ولما في هذا البيت من جمال صورة فإنني أحب أن أقف عليه وقفةً عجلى، ذلك أن الشاعرة تسرح بنا في حقل الزنابق بألوانها الزاهية، وخصورها التي يزنرها الصبح!! ونضرة الصبح حين الطل بلّلهُ.

وحتى لا أتجاوز ما لا بُدّ منه أقول: إن الربط بديع بين الصور والمعاني لألفت إلى علاقة الطل بالصبح في هذا البيت.

ومن جمال الدمج المعنوي المصور، أن الريح تلعب بأذيال الغيد في الحقل(الزنبق والفل) وغيرهما...

ويبهرنا التعبير بـ «قاصدة» حيث التشخيص الذي يحمل معنى الإرادة العاقلة.

فصورة الريح وهي تقصد إلى كشف سوق الحقل بتحريك أوراقها بقوة(وهو المناسب للفظ الريح هنا) فتخجل بدورها من إبراز مفاتنها المغطاة دائماً بالأوراق والأزهار، فيُعطي التعبير(بالخجل) هنا إيحاءً تشخيصياً دَعَوياً في منتهى اللطافة والروعة في هذا المقام.

ولقد وقفت على هذا البيت أرجع فيه البصر فما وجدت فيه من فطور يمنع منه، بما يحويه من صور – وليست صورة مفردة – وبما يحويه من حركة وتشخيص وإيحاء، بالتأكيد هو مقصود لدى شاعرة بهذا المستوى من الإبداع والوعي، جعلني أوقن أن عدم وجوده في القصيدة سيكون أفقدنا صوراً ومعنى ما كان أن تخطر على البال لولا وجودها...

ومن جميل التوافق والانسجام والإرادة الواعية للمعنى أن «الأذيال» تعود إلى الغيد في قولها:

حقلٌ من الغيد لون العيد منتشياً
لكل قدّ هوىً في البال ميّله

ويمتد إلى بيت في نهايات القصيدة تقول فيه:

حين ارتدى خضرة الأفنان دُكنتها
توشّح الظّلّ أعطافاً وأسدله

فأذيال أثواب الغيد مرخاة مَسدلة وهي صورة تناسب طبيعة أوراق الزنبق المرسلة، ومن طرائف المعرفة أن الزنبق يُعرف بأنه نبتٌ حيي.

والغيد جمع غيداء، والغَيَدُ: تمايلٌ وتثنّ في لين ونعومة. فأي تناغم وتناسب وانسجام أبدعتهُ الشاعرة في هذا البيت!! مع ما بين(غيدٍ و عيد) من بديع.

* * *

إن أبطأ النّسْم والأفنان ناعسة
تراه هبّ رفيفاً كي يعجّلهُ

يبدو أن العصفور يسعى إلى حياة وحركة حوله ومعه، لذا نراه يرفض السكون والخمول فيقصد إلى الحركة والتحريك برفيف جناحيه ليعجّل في الحركة من حوله.

وصورة الأفنان وهي ساكنة هادئة بالنعاس كأنما تنتظر من يوقظها من غفوتها فيكون العصفور هو المحرك المتحرك.

وهنا إلماحة خفيّة إلى مدى عشق العصفور للزنبق وفتونه به، فيبكّر في صحوه ويصابحه(وهي تصور المسابقة في الإصباح).

إنها الحركة الدائبة ومن يعشق يتحرك ويحرّك ويستيقظ ويوقِظ.

* * *

يظَل بالورد مفتونا يظل به
وإن سقته عيون الورد ظلله

في هذا البيت جمال من نوع آخر...

فإنما هو مبادلة حب بحب، وظل بظل، فالعصفور من شدة افتتانه بالزنبق يلازمه ويتخذ منه ظِلا، يسكن إلى جناح الزنبق وأعطافه وأذياله....

ثم هو بدوره حين الورد يأذن له بورد اللّمى ليسقيه رحيقه كاملاً مُؤثراً وإن شفه الخدر يعلوه مرفرفاً فيظلله، وهي صورة إيحائية جميلة....

أحبت الشاعرة أن تصدّر القصيدة بكلمات تضع القارئ في الجو الذي استلهمت منه القصيدة، على غير عادتها، فذكرت مرة بأن العصفور يرشف الرحيق، ومرة أخرى بأنه يشتف الرحيق، فتعمَد إلى رسم الصور المختلفة من اشتقاقات اللفظ الواحد فلا تحس بالتكرار أو النشوز.

- فيرتشف الرحيق: من رشف الماء ونحوه يرشفه رشفاً ورشيفاً، أي مصّه بشفتيه.
- ورشف الإناء: اشتف ما فيه واستقصاه .
- ويشتف الرحيق: أي يتقصاه بحثاً، وبمعنى ذهب ببعضه .

ففي الحالين إرادةُ التوكيد أن العصفور يعمِد إلى أنه لا يُبقي من رحيق الزنبق شيئاً.

وعندما استعملت هذه الكلمة في القصيدة جاءت بصورة مجازية لطيفة، فالرّشف للعمر، واللّمى هي زهر الزنبق .

فيرشف العمر من تلك اللّمى عبقا
سبحان من صبّه خمرا وحلّله

وفي بيت آخر:

بادأتُه الشدو حتى شفّه خدر
فراح يرقص جذلاناً وأكمله

فكانت النتيجة الإضمار والرقة، وهي النتيجة الطبيعية لارتشاف الرحيق من الزهر وتقصي ما فيه.

صورة جميلة متخيلة، إنه يرشف العمر لا الرحيق، والوردة هي اللّمى حال كون العصفور مولعاً بهذا العمر فلا يدعه إلا وقد استقصى نهايته فيفارِق ثملاً بالعبق الحلال...

دعوته نحتسي الإصباح مؤتلقا
وبالزنابق قد زينت منزله

وهنا يأتي تدخل الشاعرة بعد رحلة تأمل ووصف، لتكون طرفاً مشاركاً مع العصفور والزنبق. فكأنها تريد أن تقول بأنها والعصفور سواء، ما كان لها أن تكون غافية أو غافلة، وليست بحاجة إلى من يوقظ نومها أو غفوتها فهي مع العصفور رقة برقة، ورشفة برشفة، وإيقاظاً بإيقاظ، فما كان لهذا السحر الصباحي أن يفوتها، أو أن يأتي العصفور وهي في انشغال أيا كان عنه. فأرادت أن تشعره بأن هناك من يشاركه الحياة بكل جمال صباحاتها، وأجمل بهذا التعبير – الصورة – «نحتسي الإصباح»!!. وأترك لهذه الصورة الخيال والتأمل ..

وفي الشطر الثاني لفتة جميلة إلى أن الشاعرة تعلم أو على يقين بأن هذا العصفور سيأتيها، فتسبق بإعداد منزله وتزيين مرتعه بما يحب، وعبرت عن ذلك في تصدير

القصيدة بقولها: «قبل عامين أحضرت بعض الزنابق إلى حديقة منزلي ولم يمض إلا وقت قصير حتى أتى العصفور» وشعرا في هذا الشطر الثاني.

وكما أسلفت فإن الشاعرة تدخل مع العصفور في احتساء جمالات الصباح وائتلاقه، وارتشاف العمر بالشدو والترنم والتغني، وتسبقه بذلك فما لبث العصفور أن رقّ وفتر واسترخى.. وإذا به يهتز فرحاً وطرباً ويكمل وهو في هذه الحال الشدو، ويشارك بالترنم.

إنه التوحد مع الطبيعة في صفاء جمالها ونقاء فطرتها، وإنه حديث الروح. وهل يفهم هذه اللغة إلا الأرواح الطاهرة النقية: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ (الإسراء)، إنه الفقه والفهم والتماهي بلغة الروح التي أودعها الباري تعالى في كل كائناته: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الحشر -٢٤).

* * *

تلا عليّ حديث الروح ثم إذا
صمتّ أبحر في معناه رتّله

إنها آيات الجلال والجمال فيمن يتأمل بروحه ووجدانه ويجعل بصره وحسّهُ رسول صدق إلى ذينك الروح والوجدان.

نلمس هنا أن وجدان الشاعرة المؤمنة لم يستطع صبراً عن التعبير عن هذا الوحي الإيماني الذي انصب في الروح عبقاً، فعاجلت قبل انقضاء القصيدة إلى التسبيح بطريقتها بسلاسة وانسيابية وتلقائية عجيبة.

آيٌ: وأيُ جلالٍ في تأمله!
قد أجمل الكون في سطر وفصله

ونحن للحق في ظلال المشهد الشفيف المبدع لو لم تظهر الشاعرة مكنونها الإيماني لعاجلنا نحن به، ولكنه الشعور الصدوق السبّاق الذي لا يكذب صاحبه ولا قارئه فيبرز بلا تصنع أو تكلف وفي وقته الذي ينبغي أن يظهر فيه. إنها آية، وإن كانت كقبضة الكف أو كفسحة العين المندهشة إلا أنها أجملت واحتوت وفصلت ورمزت إلى عظيم الكون وإدهاشه وجماله وجلاله، إنه السطر «العصفور» عبرّ عن سر (كن) في هذا الكون.

واختيار كلمة «جلال» تعطي هذا المعنى من العظمة؛ فالجلال يحوي الجمال، ولو كانت «وأي جمال» لما أعطت المعنى الذي تحويه «الجلال». فمن أسماء الله تعالى « ذو الجلال» يقول الحق: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ (الرحمن)، وليست من أسمائه وصفاته (الجمال) والسبب ما أسلفنا، أليس في ذلك دلالة على المستوى المعجمي الرفيع لدى الشاعرة؟!

وتختم القصيدة (المدهشة، المعجبة) بسبعة أبيات لا تزال ترقى في القصيدة صُعُداً، على غير ما عهدنا عند الكثيرين الذين ما أن يصلوا إلى آخر القصيدة حتى تكون قد زحفت أرضاً، فالصور تتوافد والمعاني تتواصل متراصة متراكبة، والألفاظ والكلمات ترقص نشوى أن كانت هي المختارة هنا.

كقبضة القلب لولا الريش همّ به
نحو الفضاء وذاك الهمّ أثقله
كفسحة العين والإدهاش أوسعها
وكرَّ نجمٌ بذيل الليل كحّلهُ

تشبيهان متلاصقان موفقان رائعان، أو لنقل: مثلان: الأول: قلبيّ. والثاني: عينيّ.

القلب قبضة، والعين فسحة، وتوافق الريش والإدهاش بينهما..... و«نحو الفضاء»: صعود يقابلها «كر نجم»: نزول.

والتناسب بين «همّ به» و «نحو الفضاء» واضح، وكذلك بين «أثقله" و«كرّ نجمٌ» أي نحو الأرض.

والتعبير هنا بـ«أثقله» تناصٌ قرآني من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ (التوبة -٣٨).

واختصار الحذف في: «لولا الريش همّ به نحو الفضاء» ولو ذكر جواب لولا لكان حشوا وهو مثل ما

جاء في كتاب الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾(الرعد-٣١).

وصورة العين المفتوحة اندهاشاً المكحّلة بذيل الليل!! والمرود هو النجم ذو الوميض المخضّب بسواد الليل الكاحل، فقد كان الوميض عاملاً مشتركاً بين بريق العين وبريق النجم والبريق الرائع لريش العصفور، فهو بطبيعته يتلألأ عندما يسقط عليه الضوء!، والكحل أيضاً عامل مشترك بين عناصر الصورة الثلاثة، فسواد العين وحلكة الليل والدّكنة التي وصفتها الشاعرة في لون العصفور وأسدل الظل فوقها كما أرخى الليلُ سدوله!

حين ارتدى خضرة الأفنان دُكنتها

توشحَ الظلّ أعطافاً وأسدله

إنها صورة مركّبة مدهشة مبتكرة غير مسبوقة فيما أزعم.

* * *

يفر كالآه إما الوجد أطلقها

يرف كالقلب إما العشق سربله

ومعلوم ما بين « يفر و يرف» من حسن بديع.

والآه يطلقها الوجد، والذي يفر هو الطير والذي يرف هو القلب، ثم التناغم بين الوجد والقلب..!!

صورة العصفور حين انطلاقه بلا استئذان هي صورة الآه حين تخرج منفلتة ومنطلقة من الأعماق مثل ذلك كذلك، وإن رفيفه حين يفر كرفيف القلب المسربل بالعشق ملازمة ودواماً.

وسربل هنا اشتقاق من(سرابيل) الكلمة القرآنية، في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾(النحل-٨١)، فهي القميص وهي الدرع الذي يُتحصن ويُتقى به. وهي تعني الملازمة.. وقد جاءت هنا - في القصيدة- في مكانها اللائق.

والقلب العاشق له رفيف كرفيف جناح الفراشة أو العصفور.

* * *

في الأبيات الثلاثة الأخيرة تعود القصيدة إلى بداياتها لتشكل دائرة مغلقة، تتشابك البداية مع النهاية في حلقة مدوّرة.

فالعصفور أتى بعد غياب ليُرقي جراح الغربة والفراق فإذا بالجرح يبرأ(فلا ألقى لها أثرا):

يَرقي جراحي فلا ألقى لها أثرا

كم علّ قلبيَ في لمحٍ وعللهُ

وظاهر ما بين «علّ و علّل» من البديع.

وهذا البيت يعود ليتشابك مع قول الشاعرة:

يا خلُ طيفك لم يبرح ذرا أملي

وكلما مسّ قلبي اليأس أمله

فالعصفور أمرض قلبها، وفي ومضة كاللمح سقاه وأبرأه وداواه.

والبيت قبل الأخير:

الوقت أرسل قرص الشمس يوقظنا

فأسدل الليل أستارا وأغفله

يعود بنا إلى البيت الذي يقول:

أين الخصور إذا ما الصبح زنرها؟

ونُضرة الفل حين الطل بلّلهُ

وفي هذا البيت قبل الأخير من روعة البيان ما فيه، فالوقت يرسل قرص الشمس لتطل على الأرض فيرُسل قرصُ الشمس بدوره خيوطه لتقرع جرس التنبيه والإيقاظ، فإذا بالشمس بدل أن تفعل ذلك تشفق على العاشقين فتسدل ستار الليل ليمتد فترة أطول مغفلة أوامر الوقت.

أو أن الليل هو الذي يرخي سدوله ويغشّي المكان بضبابيته فيحجب ضوء قرص الشمس حتى يفقد العاشقان الإحساس بالوقت وينعمان بهذه اللحظات الناعمة البديعة المؤنسة...

وإنها لصورة من أبرع الصور وأروعها.

تذكرنا بحبس الله تعالى الشمس من الجريان والغروب حتى يحقق النبي يوشع عليه السلام بغيته في دخول الأرض المقدسة قبل غروب قرص الشمس.

* * *

وتختم القصيدة ببيت الدهشة والإدهاش:

فعدت أسألُ عنّي لستُ حالمة

ماذا أتى بك؟ قال: الوجد والوله

لنرى أنفسنا منسابين في قراءة القصيدة من أولها وكأنها لم تُختم.

إدهاش بداية، وإدهاش نهاية، سطرته مع القصيدة (اللوحة) ريشة فنان مبدع كان الرسم والتلوين والخيوط والظلال بالحروف والكلمات، فكان هذا التركيب الرائع لتخرج لوحة فنية رائعة جمعت من ألطاف ولطائف الصور والخيال مع البديع والبيان والمعاني ما يبهر العقول ويذهب بالألباب، إنها: عاشق الزنبق■

أمره ليس بين الكاف والنون بل بعدهما

نشرت مجلة الأدب الإسلامي في عددها ٦٧ قصيدة جميلة بعنوان (طفلة القدس) للشاعر المتألق محمود مفلح واستوقفني البيت الذي يقول فيه:

لئن غفوت فللأيام دورتها وأمر ربك بين الكاف والنون

وأود التنبيه إلى أن المعنى المقصود في الشطر الثاني من البيت هو سرعة وقوع الأمر الذي يريده الله سبحانه وعدم تأخره، غير أن صياغة المعنى تختلف عمّا ورد في التنزيل الحكيم.

وقد اشتهر عند العوام قولهم: يا من أمره بين الكاف والنون، وهذا غلط: لأن أمر الله ليس بين الكاف والنون، بل بعد الكاف والنون.

وهذه المقولة اشتهرت بين الناس وترددت على ألسنة الكثير، وقد وصل الحال إلى ترديد بعض الخطباء لها في دعاء الخطبة وغيره دون التفكر في معناها وعدم موافقتها لما ورد في كتاب الله.

ولقد نبه على غلط هذه المقولة الشيخ العلامة محمد ابن صالح بن عثيمين – رحمه الله – في شرح الحديث الثاني من الأربعين النووية، صفحة (٦٣-٦٤) فقال: «وبهذه المناسبة أودّ أن أنبّه على كلمة دارجة عند العوام، حيث يقولون (يا من أمره بين الكاف والنون) وهذا غلط عظيم، والصواب: (يا من أمره بعد الكاف والنون) لأن ما بين الكاف والنون ليس أمراً، فالأمر لا يتم إلا إذا جاءت الكاف والنون لأن الكاف المضمومة ليست أمراً والنون كذلك، لكن باجتماعهما تكون أمراً.

فالصواب أن تقول: (يا من أمره أي مأموره بعد الكاف والنون) كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ (يس).

أحمد حلمي- مصر

ماذا أفعل؟

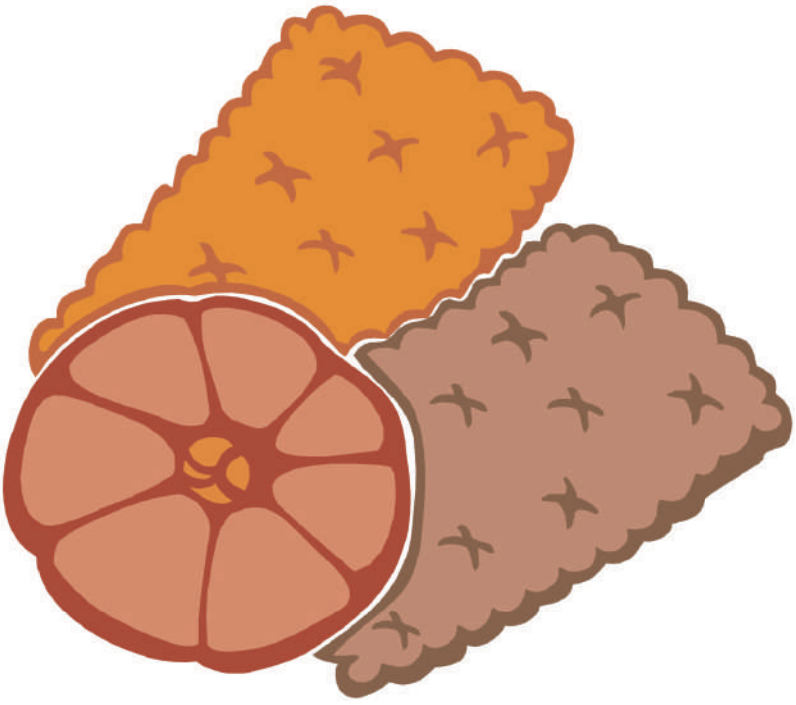

محمود حسين عيسى - مصر

جلست بجواره في قاعة الانتظار.. وفي أثناء قراءتي في كتابي الذي أخرجته من حقيبة يدي كي أستفيد من فترة انتظار الطائرة، شاركني في تناول «البسكويت» الذي اشتريته من سوق المطار.. فما إن بدأت في أخذ أول قطعة من علبة «البسكويت» المفتوحة بجانبي حتى بدأ في التقاط وتناول قطعة من العلبة نفسها.. قلت في نفسي: كان من الواجب أن أدعوه لتناول «البسكويت» معي، ولكن عدم دعوتي له لا يعطيه الحق أن يمد يده من تلقاء نفسه دون استئذان.. وما إن تناولت الثانية حتى تناول قطعة أخرى، وأنا غير مصدق ما أرى، ولكن حيائي منعني من الحديث إليه، أو إلقاء نظرة قد تسبب له حرجا ما، وتكرر الحال إلى آخر قطعة في علبة «البسكويت» التي تعمدت عدم أخذها قبله لأرى ماذا سيفعل؟ ولم يطل انتظاري.. فقد قام باقتسامها، ومد يده لي بنصفها وأنا في ذهول تام مما يحدث.. تساءلت في نفسي: أبلغت به الجرأة إلى هذا الحد؟ ألم يفكر لحظة أن يترك لي آخر قطعة؟ إنه لأمر غريب حقاً..

لم أسمع به ولم أره في حياتي..! ألم يكن حرياً به أن يتعلم آداب الاستئذان؟ ألم يسمع قط: إذا دعيتم إلى طعام فلبوا؟ وهذا يعني ببساطة عدم الأخذ من دون دعوة..!

لبيت نداء المذيعة الداخلية في المطار بالتوجه إلى الطائرة.. وانفض الجالسون في قاعة الانتظار.

صعدتُ إلى الطائرة وبدأت أبحث عن مقعدي من خلال النظر إلى أرقام المقاعد بعد أن استعنت بنظارتي.. ها هو ذا الرقم (٣٥).. الحمد لله.. وما كدت أجلس حتى التفت إلى من يجاورني كي ألقي عليه السلام.. إنه هو..! نعم هو من شاركني – منذ قليل – علبة «البسكويت» .. يا لها من مفاجأة غير سارة..! سألقي عليه السلام، هذا حقه.. ثم أواصل قراءة كتابي.. ولن ألتفت إليه.. ولن أتحدث معه.. وإن رغب في التواصل معي للتخفيف

من طول رحلة السفر فسأقاوم رغبته هذه بأية وسيلة.. فهو لم يحترم خصوصياتي.. ومن ثم فهو ليس جديراً بصحبة الطريق..

هممت أن أخرج مفكرتي الصغيرة التي أدون فيها الأفكار المهمة التي يدعو إليها الكتاب، كي أراجعها عند الحاجة إليها، وهذه عادة ترسخت في منذ الصغر، إذ لا أحبذ الكتابة في هوامش الكتاب، لأحتفظ به نظيفاً.. وما إن فتحت حقيبة يدي حتى ذهلت من هول المفاجأة..! إنها علبة «البسكويت» التي اشتريتها.. أسقط في يدي..

وشعرت بدوار مفاجئ من شدة الحرج..! وتساءلت بعد أن عاد إليّ توازني: أمعقول هذا؟ أسلبت القراءة عقلي فأنستني أن أخرج علبة «البسكويت» الخاصة بي من حقيبة يدي؟ يا له من موقف! نظرت من طرف خفي إلى جاري.. وهمست في نفسي: أتراه ظن بي وقال عني في نفسه ما ظننت به وقلت عنه في نفسي؟

والآن ماذا أفعل؟

بدأ العرق يتصبب من وجهي.. فأنا الحريص على الآداب أقع في مثل هذا الموقف..

ماذا أفعل؟

موقفه كان نبيلاً ينم على كرمه.. وموقفي لم يخل من الظن، والعتب، ولكن عذري حيائي الذي منعني من توجيه لوم له..! وعذري أني لم أقصر في حقه في إلقاء السلام..! ولكن لا عذر لي في قرار مقاطعته..! أأعتذر له شفاهة؟ ولكن ماذا أقول؟

اختلست نظرة سريعة إليه فوجدت ابتسامة خفيفة على محياه شجعتني على أن أفتح علبة «البسكويت» وأضعها بيننا.. وسرعان ما امتدت أيدينا إليها ونحن نكتم ضحكة تريد الانطلاق■

الثواني والأماني

شيخموس العلي - سورية

يمرُّ العام خطفاً كالثواني
فيا أسفي على مرِّ الزمانِ
أراك على الطريق بغير وعد
وأحيانا بلا وعد تراني
شغلنا بالمعيشة دون قصدٍ
عن الأعراف والسبع المثاني
لقد كثرت مطالبها وفاقت
حدود العقل في زمن الهوان
فهل في اليوم من عمل يساوي
صلاة الفجر والذكر الحسانِ
فَجُلُّ الناس لو صدقوا لقالوا
أضعنا عمرنا خلف الأماني

الفنون الأدبية في مجلة الأدب الإسلامي

دراسة تحليلية فنية

رسالة دكتوراه للباحث: أحمد علي محمود

تتحدث الدراسة عن الأدب الذي حوته مجلة الأدب الإسلامي التي انبثقت عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية لتحمل صوتها إلى العالم، وتبث إبداعات أعضائها إلى الناس، فضمنت بين صحائفها أعمالاً أدبية إسلامية عالية القيمة، بالغة التأثير.

وقد عرضت الدراسة لمعظم الفنون الأدبية متمثلة في الشعر بأغراضه المختلفة، والنثر بفروعه الكثيرة: قصة ومسرحية ومقالاً وترجمة، وقد جمعت خطة الدراسة بين الجانب التحليلي والسمات الفنية التي تهدف إلى التعرف على أهم الظواهر الفنية في جوانب المضمون الشعري والتشكيل الإبداعي، ملتزماً في ذلك بالمنهج التكاملي.

يقول الباحث: رأيت أن تكون الفنون الأدبية في مجلة الأدب الإسلامي ميدانا في دراستي لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) من قسم الأدب والنقد في كلية اللغة العربية بأسيوط. وشملت الدراسة مجلة الأدب الإسلامي زمنيا منذ صدورها عام ١٤١٣هـ، إلى ١٤٢٦هـ، وضمت الأعداد من الأول إلى الثامن والأربعين، وهي مجلة فصلية تصدر أربعة أعداد في السنة.

وقد جمعت خطة الدراسة بين الجانب التحليلي والسمات الفنية التي تهدف إلى التعرف على أهم الظواهر الفنية في جوانب المضمون الشعري والتشكيل الإبداعي ملتزمة في ذلك بالمنهج التكاملي، وسار منهج الدراسة على عدة أمور منها: -

أولاً: نسبة الأبيات موضع الدراسة إلى وزنها العروضي.

ثانياً: توضيح معاني المفردات الصعبة الواردة في النصوص الشعرية.

ثالثاً: إيراد بعض الإشارات النحوية والعروضية والبلاغية والتاريخية المتصلة بالنص.

رابعاً: الترجمة الموجزة للأعلام الواردة في الدراسة، مستثنياً من ذلك الأنبياء والمرسلين (عليهم الصلاة والسلام)، وكذلك الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم)، وذلك لما يتبوؤه الأنبياء والخلفاء من مكانة سامقة وشهرة بالغة لا تحتاج إلى إعلام أو ترجمة، ومستثنياً من ذلك – أيضاً – الأدباء المحدثين الذين لم تنهض كتب الترجمة بالتعريف بهم بعد.

خامساً: الترجمة للبلدان والمواضع مع نسبة الترجمة إلى مراجعها المتخصصة.

وتطلبت طبيعة البحث أن يقسم إلى بابين تسبقهما المقدمة وتلحقهما الخاتمة والفهارس على النحو الآتي:

المقدمة: وهي تتضمن الحديث عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والصعوبات التي واجهتني فيه، والتعريف الموجز بالرابطة والمجلة، والدراسات التي أفدت منها، ومنهج الدراسة وخطة السير فيها.

الباب الأول: الإبداع الشعري دراسة تحليلية فنية. وينقسم إلى فصلين:

الفصل الأول: الإبداع الشعري: دراسة تحليلية، ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: الشعر الديني.

المبحث الثاني: الشعر القومي.

المبحث الثالث: الشعر الاجتماعي.

المبحث الرابع: الشعر الوجداني.

المبحث الخامس: شعر الرثاء.

الفصل الثاني:: الإبداع الشعري دراسة فنية. ويتضمن ستة مباحث:

المبحث الأول: المعاني والأفكار.

المبحث الثاني: التجربة الشعرية والعاطفة.

المبحث الثالث: وحدة القصيدة وبناؤها.

المبحث الرابع: الألفاظ والأساليب.

المبحث الخامس: الخيال والصورة الشعرية .

المبحث السادس: التشكيل الموسيقي

الباب الثاني: الإبداع النثري دراسة تحليلية فنية، وينقسم إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: القصة القصيرةدراسة تحليلية فنية، ويتضمن خمسة مباحث:

المبحث الأول: القصة الدينية.

المبحث الثاني: القصة السياسية.

المبحث الثالث: القصة الاجتماعية.

المبحث الرابع: القصة التاريخية.

المبحث الخامس: القصة الذاتية.

الفصل الثاني: المسرحية دراسة تحليلية فنية. ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المسرحية الدينية.

المبحث الثاني: المسرحية الاجتماعية.

المبحث الثالث: المسرحية التاريخية.

الفصل الثالث: المقال والدراسات الأدبية دراسة تحليلية فنية، ويتضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقال دراسة تحليلية فنية.

المبحث الثاني: الدراسات التنظيرية دراسة تحليلية فنية.

المبحث الثالث: الدراسات التطبيقية دراسة تحليلية فنية.

الفصل الرابع: فن التراجم: اتجاهاته وخصائصه الفنية، ويتضمن مبحثين:

المبحث الأول: تراجم الأدباء دراسة تحليلية فنية.

المبحث الثاني: تراجم المفكرين والدعاة: دراسة تحليلية فنية.

وانتهى الباحث من إعداد هذه الدراسة، وخرج منها بالنتائج الآتية:

أولاً: استلهام أدباء المجلة- شعراءً وكتاباً – القرآن

الكريم والسنة المطهرة والتراث الإسلامي والقيم النبيلة في كل آدابهم.

ثانيا: التواصل بين بلدان العالم الإسلامي موجود عن طريق الرابطة والمجلة والأدباء والنقاد.

ثالثاً: فهم الأدباء الشامل لقضايا العصر الحديث، وربطها بالحلول الإيمانية.

رابعاً: نهجت المجلة منهج الوسطية والاعتدال، والبعد عن الإفراط والتفريط في كل فنونها.

خامساً: هيمنة الأدب الديني على فنون المجلة.

سادساً: اهتمام المجلة بصغار الأدباء تحليلاً ونقداً وتقويماً، وخصصت لهم بابا في المجلة وهو الأقلام الواعدة.

سابعا: اهتمت المجلة بأدب الطفل، وأفردت له مساحات واسعة بين صفحاتها، بل أصدرت فيه عددا خاصا.

ثامنا: كشفت المجلة النقاب عن الكثير من الأدباء المغمورين، ونفضت الغبار عن كثير من الأدباء الذين سيطر عليهم الخمول والكسل.

تاسعاً: اتسم فن الشعر –من الناحية الفنية– بسمات مميزة من حيث المعاني والأفكار، والتجربة الشعرية والعاطفة، وبناء القصيدة ووحدتها والمعجم الشعري والأسلوب والخيال والصورة الشعرية والتشكيل الموسيقي.

أ – فقد كانت المعاني واضحة – غالبا– والأفكار سهلة، مستمدة في كثير من الأحيان من القرآن الكريم والحديث الشريف وأشعار العرب القدامى والسابقين وكذلك الأمثال العربية، مع استلهام الشخصيات الإسلامية والأحداث التاريخية.

ب– كانت التجربة صادقة والعاطفة قوية عند معظم الشعراء، خاصة فيما يتصل

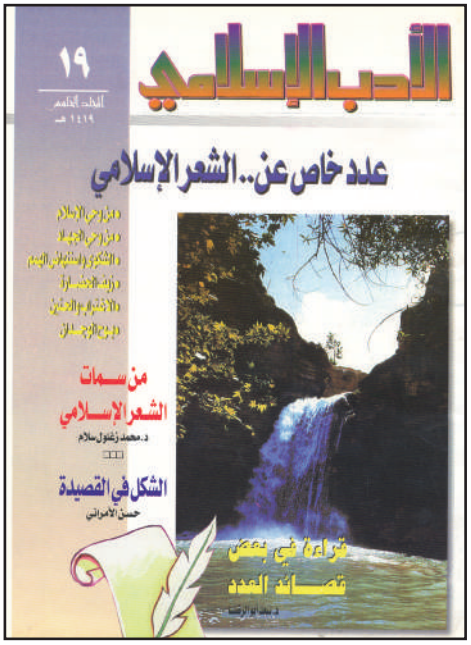

بالشعر الديني والقومي وشعر الرثاء والتأبين.

ج– تحققت الوحدة الموضوعية في شعر المجلة، ولكن الوحدة العضوية لم تتحقق إلا في بعض القصائد المعتمدة على أسلوب القصة والحوار.

د– اتسم بناء القصيدة بالإحكام، فكانت أجزاء القصائد تتآزر وتتعاون على نقل المعنى إلى المتلقي في تسلسل محكم وإحكام رائع.

هـ – لكل شاعر معجمه الخاص به، والذي يميزه عن غيره مهما اتحد المكان والزمان والبيئة.

و– اتسمت مفردات اللغة عند الشعراء بالثراء الواضح وكثرة التقلبات اللغوية مع سهولة الأسلوب الشعري ووضوحه.

ز – كان الخيال واعيا متزنا لم يرتفع إلى الأجواء السامقة والشطحات البعيدة، ولم يتدن إلى القرب المبتذل.

ح– أجاد الشعراء في رسم الصورة الشعرية، وبرعوا في الإتيان بما يقويها مثل الصوت واللون والحركة والسكون، مما جعل منها لوحات فنية بارعة الجمال، وقد

تنوعت هذه الصور إلى كلية وجزئية ثم مبتكرة وتقليدية.

ط- وضح تأثر الشعراء بالبيئة ومعطياتها وآفاتها وأمراضها.

ى- التزم الشعراء بوحدة البحر العروضي في القصيدة الواحدة.

ك- جاءت قوافي القصائد على عدة أشكال، منها الموحدة والمقطعات، ومنها ما جاء على هيئة الأناشيد.

ل- حفلت القصائد بألوان من الموسيقا الداخلية الظاهرة والخفية، مما أشاع في القصائد جواً من التناغم الموسيقي الجذاب الذي يأسر العقول ويسبي الألباب.

م- نظم الشعراء في شتى الأغراض التي تحث على الفضيلة وتنفر من الرذيلة.

عاشرا: تنوعت اتجاهات القصة في المجلة إلى دينية وسياسة واجتماعية وتاريخية وذاتية.

حادي عشر: تنوعت اتجاهات المسرحية في المجلة إلى دينية واجتماعية وتاريخية.

ثاني عشر: مال الأدباء في القصة والمسرحية إلى تصوير الواقع ورسم تفاصيله

ثالث عشر: تنوعت اتجاهات فن المقال في المجلة إلى أنواع كثيرة، منها: الاجتماعي والسياسي والوجداني والتأملي والفكري، وكانت هذه المقالات معبرة عن وجهة نظر أصحابها، متفقة مع منهج المجلة في تناولها للقضايا الأدبية.

رابع عشر: كانت الدراسات التنظيرية في المجلة متعددة ومتنوعة شملت معظم الأجناس النثرية، فهناك دراسات حول القرآن الكريم، ودراسات حول القصة، ودراسات حول القضايا والظواهر الأدبية المختلفة، وكذلك القضايا الثقافية،

ودراسات حول الشعر. وبذا تكون المجلة قد أسهمت إسهامات كبيرة في تطوير الحركة الأدبية في مدة الدراسة.

خامس عشر: أسهمت المجلة في الدراسات التطبيقية المختلفة، وكانت هناك دراسات تطبيقية في قصة، ودراسات تطبيقية في مسرحية، ودراسات تطبيقية في رواية، ودراسات تطبيقية في قصيدة، ودراسات تطبيقية في ديوان شعري، أو في مجموعة قصصية.

سادس عشر: توسعت المجلة في شكل المقال من حيث الكم، وفي معناه من حيث المضمون.

سابع عشر: خلت المجلة من الرواية، ومن الترجمة الذاتية.

ثامن عشر: جاء فن التراجم كأحد الفنون الأدبية التي اهتمت بها المجلة، لما له من قيمة فنية عالية، تحمل إلى الناس نماذج شعرية وقيماً إنسانية لها دور كبير في القدوة والأسوة الحسنة لصغار المسلمين.

تاسع عشر: إهمال تراجم الأدباء والشعراء المشاركين بإبداعاتهم في المجلة.

عشرين: أدباء المجلة والرابطة يدعون إلى الأدب الإسلامي، ويؤمنون بهذا اللون من الإبداع، وهذا يحمد لهم ولكنه لا يعني أن هذا الأدب

مقصور على أعضاء هذه الرابطة أو تلك المجلة، أو أنهم وحدهم من يبدعونه، أو أن تصوره وقف على أدباء الرابطة، أو أن لهم وحدهم حق التمثيل لهذا اللون من الإبداع، فالأدب الإسلامي موجود في كل مكان وزمان، وسوف يظل إن شاء الله إلى قيام الساعة.

وقد أبدى الباحث بعض المقترحات والتوصيات أثبتها فيما يأتي:

أولا: مناشدة الجامعات الإسلامية والمدارس والمراكز التعليمية والتربوية أن تدرس مادة الأدب الإسلامي في هذه الهيئات، ودعوة الرابطة بشتى فروعها وكذلك المجلة لتقديم الخدمات وتكثيف المساعدة اللازمة في ترتيب مقررات الأدب الإسلامي ومنهج تدريسه.

ثانيا: يرى الباحث أنه يجب مكافحة الحركات الهدامة والكتابات المسمومة التي تضلل المسلمين وغير المسلمين، وذلك بعرض القيم الإسلامية النبيلة في شتى اللغات بأساليب أدبية مختلفة قوية ومؤثرة، يميل إليها الذهن، ويألفها القلب، لتزول بذلك الشكوك والشبهات عن الإسلام التي تروجها هذه الأقلام المسعورة.

ثالثا: يدعو الباحث مجلة الأدب الإسلامي إلى الاهتمام بفن الرواية، والتغلب على عائق طول الرواية، بحيث تصدر عدة أعداد مزدوجة متوالية لتغطية هذا الحدث.

رابعا: يرى الباحث وجوب الترجمة الموجزة للأدباء المشاركين في المجلة، وذلك حتى تسهل الدراسات وتوثيق المعلومات على الباحثين فيما يخص المجلة وفنونها.

خامسا: يدعو الباحث نقاد المجلة وأدباءها لكي يقوموا بتقويم عطاء الأدب الإسلامي الوفير، وأن يقوموا بالدراسات التنظيرية لهذا النتاج منذ

فجر الإسلام حتى اليوم لتتكامل نظرية الأدب الإسلامي، وتقف في مصاف نظريات الآداب العالمية، وذلك بتخصيص باب في المجلة لذلك الغرض، أو تخصيص عدد سنوي يدعى إلى الكتابة فيه مقدماً.

سادسا: يدعو الباحثين والدارسين إلى استكمال دراسة أعداد المجلة دراسة واعية في مختلف فنون الأدب، وذلك بعد عام ١٤٢٦هـ، أو العدد ٤٨، على أن يتناول الباحث فناً واحداً من فنون المجلة مثل الشعر أو القصة أو المقال أو المسرحية... إلخ، وذلك حتى يوفيه حقه، وحتى يعم النفع على الإسلام والمسلمين(*).

هذا، وقد تمت مناقشة الرسالة بقاعة كلية اللغة العربية بأسيوط في حضور وفد من أعضاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية يتقدمهم الأستاذ الدكتور عبد المنعم يونس (رئيس جمعية الأدب الإسلامي بالقاهرة) وذلك يوم الأحد ١٩ سبتمبر ٢٠١٠م، وقد حصل الباحث على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف ■

(*) نوقشت في كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية، بجامعة آل البيت في الأردن، رسالة ماجستير بعنوان: آراء رابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأدب والنقد، دراسة وتقويم) للباحث كمال أحمد مقابلة. وصدرت في كتاب عن دار الضياء بعمان، الأردن، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

شجون الحرم

رياض بن عقيل أبو نمي - اليمن

على المسجدين الخيرِّيـنِ سلامُ ... هناك حياة العاشقين تـرامُ

لكم ذكريات كم كتمنا بها الهوى ... ومَنْ ليلُه السلوانُ كيف يُلامُ

إذا ذكرت أوطانكم عند معشرٍ ... توقد في صدر المحبِّ غرامُ

ونذكرُ أنّا قد رأينا مقامكم ... فطار من الجفن الكسير منامُ

فبالله بلغ مَنْ نحب تحيةً ... فحبُ اليماني لوعةٌ وسقامُ

أمانٍ أقضيها لعلّي أزوركم ... ولو كان بالربع المعظيم زحامُ

رحلت إليكم والهوى في مدامعي ... أسيرُ حثيثاً والشجون زمامُ

أحن إليكم أحسب الخطو فيكم ... وإن اقترابي منكمُ لسلامُ

وما أن رأت عيني لمكة معلما ... ومِيقات قومي هاج في هيامُ

أسائل من أهوى أهذا مقامهُ؟ ... هنا طاف مَنْ للعالمين إمامُ

وصلى هنا خلف المقام محمدٌ ... ولبى صحاب صادقون كرامُ

فحاذيتُ بيتاً لا يُملُّ طوافهُ ... لكلِّ طوافٍ وجهةٌ ومقامُ

أصلي فأمضي للنبي محمد ... فألقي سلامي والدموعُ سِجامُ

كأني بأصحاب النبي تجمعوا ... وللمنبر الأوفى شجا وضرامُ

هنا الحجرات الطاهراتُ وروضة ... وأيُّ حياةٍ غيرُهنَّ حُطامُ

فلله ما أحلى الحنينَ لدارهم ... عسى غودةٌ في ربعهم ومقامُ

استغاثة

حسني سيد لبيب - مصر

واتاه حلم مزعج. كان يمسك بفأس مفلطحة، وينهمك في حفر لحد صغير، عند معبر النفق، في المكان الذي تكوم فيه القتيل. لايدري من أين أتته فتوة الشباب. ظل يحفر، ويحفر.. لايكل، حتى اكتمل اللحد بطول الرجل وعرضه، وأعطى للحفرة عمقا مناسبا، وأتى بالجثة المغطاة بالملاءة البيضاء. حملها بين ذراعيه. بدت الآن جسما متماسكا ليس فيه ندبة جرح ولا شلو منفصل. أرقدها في اللحد، ثم أهال عليها التراب، بينا القتيل يستعطفه ألا يفعل، فلا يصيخ السمع لتوسلاته، إلا أن القتيل نهض نافرة عروقه، نافضا التراب عن الملاءة البيضاء، وأمسك بخناقه يهم أن يقتله. يصرخ بأعلى حنجرته. يفيق من الحلم الكابوس وهو يتحسس رقبته. حين أفاق، ألفى جابرا وحفيده راقدين، وصوت شخيره يكاد يخرق أذنه.

صوت رجل في النزع الأخير، يغطي على صوت الشخير، بحدته وتواصله، يستصرخ الناس أن تهب لنجدته قبل أن يدهسه القطار. ارتعب. هناك ضحية أخرى في هذا الليل الموحش ؟ يظل الصراخ المتعالي يؤلم أذنه.. ينادي على جابر فلا يجيب، يلكزه في جنبه، فلا يتحرك. صرخ عاليا:

-جابر.. اصح يا جابر..

غمغم وهو بين اليقظة والمنام:

- الستّار موجود..

قال في حدة:

- اصح ياجابر.. أنقذ الرجل المسكين..

أفاق على صوت نحيبه:

- أين؟

بكى حمزة.

- هناك على السكة.. في نفس المكان..

- كيف عرفت ؟

- ألا تسمع صرخاته ؟

- أنا لا أسمع صوتا.. حتى الهمس لا أسمعه!

- يبدو أنك مازلت نائما.. سأذهب وحدي..

ونهض يتكئ على عكازه، فأسنده جابر. قال:

- لست نائما.. ثق أني لا أسمع صوت استغاثة..

- اسمع جيدا .

صمت الاثنان فإذ بصوت الاستغاثة يتناهى إلى أذنيه. تنهد قائلا:

- سبحان الله..

عاوده النوم، لكنه يزور أجفانه لحظات ثم يجافيه. خمد الصوت تماما. سكون قاتل، لا يبدده إلا صفير رياح باردة، ونباح كلاب يأتي من منتصف النفق، ومواء قطة

تحتمي بالمنضدة الصدئة بالخارج من لسعة البرد.. فيند من جديد صراخ الرجل المستجير.. صادف مرور قطار تسبقه صفارته المدوية النائحة، فغطت على كل شيء. علا صوت صفارة القطار على كل الأصوات. أتكون الاستغاثة في هذه المرة من عابر في حلكة الليل؟ يعلو الصراخ رويدا رويدا.. حتى كأنه يأتي من رجل في النزع الأخير. أهو الوهم يعاوده، يجسد له صوت المستغيث؟

في هذه المرة لم يشأ إيقاظ جابر..

- لعله الوهم يا حمزة يمسك بتلابيبك.

يسكت النباح والمواء والصفير، يستأسد المستجير بصوته الباكي الدامي!.. يتعملق الشبح. نقر خفيف على الباب.. ينتفض.. أيكون هو، وقد صحا بشحمه ولحمه ودمه النازف؟ ارتعدت فرائصه. إن أيقظ جابرا فلن يسمع ما يسمع. استلقى على ظهره، محدقا في السقف، ثم مد يده المرتعشة يمسك بطرف البطانية ويغطي جسمه كله من أصابع القدمين حتى شعر الرأس. لكن الصوت لا يزال يدوي في أذنه. أغمض عينيه حتى لا يرى سواد ظلمة، أو حركة أشباح. كاد يبكي.

متى يطلع الصباح ؟ أو متى أنام، فأغفو عن دنيا الأحياء بفواجعها ومآسيها؟

بكت عيناه قطرات من الدموع، وإذ بأذنه تفيق على صوت المؤذن يجلجل في الفضاء المترامي:

الله أكبر.. الله أكبر..

فرح بالنداء. نهض يتوضأ، مستبشرا بنور الفجر الطالع من رحم الظلمة. خمدت الأصوات كلها.. كلها.. إلا صوت المؤذن النديّ، ينتشر أريجه في ملكوت الله■

منهج الأدب الإسلامي

المؤلف : د. عبد الله بن صالح العريني

عرض: التحرير

يأتي كتاب (منهج الأدب الإسلامي) إسهاما من مؤلفه د.عبدالله بن صالح العريني في تأكيد أهمية الأدب الإسلامي في حياتنا المعاصرة، والحاجة إليه، ووضوح فكرته واستقامة منهجه رغم ما يثار حوله من غبار في الساحة الأدبية.

ويمثل هذا الكتاب خطوة في التنظير الإيجابي الفاعل للأدب الإسلامي بعد أربع روايات وعدة مجموعات من القصص القصيرة التي أصدرها المؤلف في مجال الإبداع في الأدب الإسلامي.

و قارئ الكتاب يدرك بيسر وسهولة وضوح فكرة الأدب الإسلامي وبداهته، مثلما يدرك أصالته وعمق جذوره، ويتكون لديه شعور بالحاجة الماسة إليه.

ويصرح د. العريني في مقدمة الكتاب تأثره البالغ بالدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا في اقتناعه بالأدب الإسلامي وسيطرته على مشاعره وتحديد هدفه في كل الدروب، وبذلك يقصد أن يكون كتابه هذا جوابا على كثير من الأسئلة التي وجهت إليه شخصيا في أثناء تدريسه منهج الأدب الإسلامي في المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وجعل المؤلف الكتاب في أربعة محاور رئيسة هي:

● مقدمات في منهج الأدب الإسلامي:

تحدث فيها عن مصطلح الأدب الإسلامي وتعريفه، وجديد الأدب الإسلامي وقديمه. وعن مرجعيته هل هي: الأديب أم النص؟ وعن موقع الأدب الإسلامي بالنسبة إلى الأدب العربي، وآداب الشعوب الإسلامية، والآداب العالمية، والأدب الشعبي. وتحدث عن تاريخ الدعوة إلى الأدب الإسلامي وحاجتنا إليه.

● موقف الأدب الإسلامي من أغراض الشعر:

وتحدث في هذا المحور عن موقف الأدب الإسلامي من ثلاثة أغراض رئيسية في الشعر العربي قديمه وحديثه وهي: الغزل، والمدح، والهجاء. وعرض لقصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير رضي الله عنه نموذجا مؤصلا في غرضي الغزل والمدح، مؤكدا على اتساع الأدب الإسلامي لهذين الغرضين واتصافهما بسمة الحشمة والتعفف في الغزل، والقصد والاعتدال في المدح.

أما غرض الهجاء فقد أقره الإسلام دفاعا عن الخير ودفعا للشر، وحث الرسول صلى الله عليه وسلم شعراء الإسلام وفي مقدمتهم حسان بن ثابت للرد على شعراء المشركين وهجوهم، ولكن هذه الأغراض الثلاثة كثيرا ماخرجت عن حدودها إلى الاعتداء قديما وحديثا، ولم يلتزم الشعراء بالاعتدال كما يطلبه الإسلام.

● موقف الأدب الإسلامي من قضايا النقد الأدبي:

وتحدث فيه عن قضية الشكل والمضمون، وقضية الالتزام. فبعد الإقرار أن الشكل منطقة محايدة للآداب كلها يحدد د. العريني سمات تميز شكل الأدب الإسلامي وهي: الانفتاح على جميع فنون الأدب، وتوظيف جميع عناصر الأدب، والإفادة من القرآن الكريم والحديث النبوي، والسلامة الشرعية واللغوية للألفاظ، ورفض العبث والغموض.

ومن ناحية المضمون يؤكد د.العريني بداية أن الآداب العالمية كلها أدب مضمون، ويذكر عددا من الأمثلة على ذلك، ثم يذكر عددا من سمات مضمون الأدب الإسلامي وهي: سعة المضمون، والأفق الروحي والإيماني،

ومخاطبة الفطرة ، والسمو الأخلاقي، والإيجابية.

وفي قضية الالتزام يحدد د. العريني مفهوم الالتزام وأنواعه، ويؤكد وجوده في الآداب العالمية، ويناقش الاعتراض على مبدأ الالتزام وعلى مصطلحه، ثم يوضح الفرق بين الالتزام والإلزام، وتفاوت مستويات الالتزام. ويجيب على أهم سؤال أو اعتراض على الالتزام وهو أنه يحد من الإبداع، ويشكل قيدا عليه فيقول: فالالتزامات الضيقة المتسلطة سوف تحد من الإبداع وتعيق جناحه من التحليق في سماء الفن الرفيع.. مثل الالتزام الوجودي والشيوعي فهما شاهدا عيان في هذه القضية.

أما الالتزام الإسلامي فيتضمن توجيهات ربانية كريمة فيها الرحمة والرفق والتوسعة على الأديب والمساعدة، وأن القيم الإسلامية تدعم الإبداع مثل قيمة الجمال، والكمال، والإتقان والإحسان.

● موقف الأدب الإسلامي من قضايا الإنسان والحياة:

في هذا المحور تناول د. العريني ثلاث قضايا عامة في الأدب وهي: تصوير الشر، وتصوير العلاقة بين الجنسين، وتصوير القضايا الإسلامية.

وقد حدد بداية مفهوم الشر، ومظاهره وصوره، وإشكالية تصويره في الأدب، وبين أن عرض بعض مظاهر الشر قد يكون مدعاة للجذب إليه وليس للتنفير منه، وهنا يأتي دور الأديب في صياغة فنه بحيث يعرض الشر مغلوبا ومكروها في النهاية، وفي محيط واسع من الخير. وأورد عددا من الأمثلة القرآنية لتأصيل هذه القاعدة.

وفي العلاقة بين الجنسين حذر د. العريني من خطورة فوضى الجنس في عالم اليوم، وذكر عددا من مظاهرها في المجتمعات الحاضرة، وأن عددا من الأعمال الأدبية العالمية روجت لهذه الفوضى وحسنتها، وتأثر عدد من الأدباء العرب بهذا الاتجاه مثل إحسان عبد القدوس وغادة السمان وغيرهما.

وفي التأصيل الإسلامي لهذه القضية يؤكد د. العريني أن أسلوب القرآن الكريم والحديث الشريف اتسم في التعبير عن هذه العلاقة بالسرعة والكناية، وعدم التوسع والاستطراد، وعدم التوقف عند التفصيلات المثيرة. وهو ما ينبغي الاقتداء به في الأدب الإسلامي.

وأشار إلى أن توسع بعض الأدباء الذين عرفوا باتجاههم الإسلامي في هذا الموضوع وغيره وخروجهم على المنهج الإسلامي فيه لايعد دليلا ولا مسوغا لجوازه.

ويختم د. العريني كتابه بتصوير القضايا الإسلامية في الأدب، والاعتراضات التي تثار حوله بادئا بتحديد مفهوم القضايا الإسلامية وأنواعها، وأهمية الأدب الذي يهتم بها، وأن الشعر الإسلامي اهتم بقضايا الأمة منذ القدم، وكذلك الأدب العربي الحديث والآداب العالمية.

وأشار إلى أن بعض الشعراء العرب المعاصرين اهتموا بقضايا لا تهم المسلمين أكثر من اهتمامهم بالقضايا الإسلامية. ويتوقف عند اتهام الشعر الإسلامي خاصة بالبكائية ويدافع عنه في الوقت الذي يدعو فيه إلى التمتع بروح الأمل والإيجابية في هذا النوع من الشعر.

ويقدم لذلك الشاعر عبد الرحمن العشماوي مثالا، وقصيدته شموخ في زمن الانكسار نموذجا، والتي تحدث فيها العشماوي عن طفل الحجارة الذي صار مضرب المثل في مقاومة المحتل وظلمه في العصر الراهن.

يعد هذا الكتاب نموذجا لعرض واضح وجذاب لقضية الأدب الإسلامي الأساسية والجدل الدائر حول مشروعيته مصطلحا و تنظيرا وتطبيقا.

وقد يخطر للقارئ أن يقترح على المؤلف تقديم المحور الثالث (موقف الأدب الإسلامي من قضايا النقد الأدبي) على المحور الثاني (موقف الأدب الإسلامي من أغراض الشعر) لأنه أكثر التصاقا بالمنهج العام النظري للأدب، في حين يبدو المحور الثاني أقرب إلى تقديم منهج تطبيقي في الأدب الإسلامي.

صدر الكتاب في الرياض عن مطابع النرجس بطبعته الأولى ١٤٣١هـ – ٢٠١٠ م، في ٢٥٠ صفحة تقريبا من القطع المتوسط ■

إعداد: شمس الدين درمش

مكتب السعودية - الرياض:

«السيرة الأدبية والذاتية للأديب د. حسين علي محمد في ملتقى شوال الأدبي

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض الملتقى الأدبي لشهر شوال ١٤٣١هـ بعنوان: «السيرة الأدبية والذاتية للأديب د. حسين علي محمد - رحمه الله.

وهو الملتقى الأول بعد وفاة د. حسين علي محمد الذي كان له حضور دائم في الملتقى الأدبي لإبداع الشباب خلال السنوات الماضية.

وأدار الملتقى وبدأ الحديث فيه د. ناصر الخنين نائب رئيس المكتب الإقليمي فقدم عرضا لسيرته الذاتية ومشاركاته ومؤلفاته الأدبية والنقدية .. ثم تحدث في الملتقى عدد من أصدقاء د. حسين ومحبيه وطلابه، وهم: الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سابقا، والدكتور محمد بن سليمان القسومي رئيس قسم الأدب بجامعة الإمام، والأستاذ الدكتور عبدالله ابن صالح العريني الروائي المعروف ونائب رئيس الرابطة للشؤون الثقافية.

وألقى د. وليد قصاب، وعماد علي قطري قصيدتي رثاء في الفقيد، رحمه الله.

وألقى الأستاذ أيمن ذو الغنى كلمة رثاء نثرية، وقرأ أيضا كلمة الأديب المعروف وديع فلسطين نيابة عنه.

وتحدث الأستاذ محمد الحناحنة وجبران سحاري عن تعامل د. حسين علي محمد مع المبدعين الشباب في ملتقيات الرابطة ، وتوجيهاته المفيدة.

وختم اللقاء بكلمة من د. عبدالقدوس أبو صالح رئيس الرابطة عبر فيها عن حزنه العميق لفقد الرابطة أحد أدبائها ونقادها النشيطين، وأشاد بإسهامات د. حسين علي محمد في الرابطة ومجلة الأدب الإسلامي الذي بقي عضوا في هيئة تحريرها من العدد الأول حتى العدد ٦٨ الذي صدر بعد وفاته.

د. حمد الله والاختيارات الشعرية في الأدب العربي

استضاف المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض الدكتور محمد علي حمد الله في الملتقى الأدبي لشهر ذي القعدة ١٤٣١هـ، وقد تحدث الضيف في موضوع: «الاختيارات الشعرية في الأدب العربي».

وقدم لحديثه بإيضاح المراد من كلمة (الاختيار) وأورد عددا من المؤلفات في هذا المجال في موضوعات متعددة في الشعر والأمثال والنحو وغيرها.

وذكر د. حمدالله أن أقدم الاختيارات الشعرية هو المعلقات ثم المفضليات والأصمعيات وجمهرة أشعار العرب ومنها الاختيارات الشعرية في شعر الحماسة مثل حماسة أبي تمام، والبحتري وغيرهما.

الهويمل وأنشطة أدبية وثقافية

الرواية السعودية.. نظرة نقدية

استضاف منتدى العمري الثقافي بمدينة الرياض الأستاذ الدكتور حسن بن فهد الهويمل رئيس المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية بالسعودية، والأستاذ في جامعة القصيم، في محاضرة بعنوان:«الرواية السعودية.. نظرة نقدية»، وذلك في ٧ ذي القعدة ١٤٣١هـ. وأدار الندوة الدكتور عبدالله بن صالح العريني الأستاذ بقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بجامعة الإمام بالرياض.

وحضر المنتدى جمع من رواد المنتدى والمهتمين بالأدب والثقافة.

المنهج الوسطي والتيارات الفكرية المعاصرة

وألقى الأستاذ الدكتور حسن بن فهد الهويمل محاضرة بعنوان: « المنهج الوسطي والتيارات الفكرية المعاصرة»، وذلك في مقر إدارة التوعية الإسلامية بمدينة حائل، يوم الأربعاء ٢٦ ذي القعدة ١٤٣١هـ، وحضرها جمع من المهتمين بالأدب والثقافة.

وضيفاً على مجلس الذوق الأدبي

استضاف مجلس الذوق الأدبي لموسم ١٤٣١-١٤٣٢هـ، الدكتور حسن الهويمل حيث تحدث في الأمسية التي شهدت حضوراً أدبياً غفيراً من أدباء ونقاد ووجهاء المنطقة الشرقية، عن الأدب وهموم الإصلاح.

وشارك في الملتقى الأستاذ عبدالواحد علوي بورقة تحدث فيها عن ضيف الملتقى وجهوده في حقلي اللغة العربية وأدب الأطفال، وقرأ الأستاذ أيمن ذو الغنى قصيدة للشاعر مصطفى عكرمة الذي ألقاها في حفل تكريم د. محمد علي حمدالله في جامعة دمشق.

وأثنى رئيس الرابطة د. عبدالقدوس أبوصالح على جهود الضيف في مجال التعليم والأدب والنقد، ودوره في نشر اللغة العربية والدفاع عنها. ودعاه إلى كتابة مذكراته لتستفيد الأجيال القادمة من تجاربه الغنية في حياته العلمية والتعليمية.

وشارك بالمداخلات والأسئلة كل من د. عبدالفتاح محمد والشاعر محمد منذر قبش، وختم اللقاء بعدد من القصائد الشعرية للدكتور وليد قصاب وأسامة الفرّا وجبران سحاري وحيدر البدراني.

وفند الهويمل في الأمسية، دعاوى بعض النقاد الذين يزعمون أن الالتزام يضعف الأدب والشاعرية، وذكر أن ذلك غير صحيح، بل طالب أن يكون الشاعر متشرباً لمبدئه قبل أن يبدع القصيدة، فلا يكون مُلزَما بالقيم، بل ملتزماً بها.

وتلا ذلك إطلالتان شعريتان واعدتان، من تقديم الشاعر عبد اللطيف العريفي، والشاعر سلمان السعد.

ثم فُتح المجال لعدد من المداخلات للجمهور، حيث تداخل كل من الشيخ عبد الرحمن العبيد، ومحمد الزهراني، ومحمد المطر، ومصطفى أبو الرز.

واختتم اللقاء بتقديم الشيخ يوسف الدوسري صاحب المجلس درعاً تذكارية للضيف الكريم.

تجاربهم في القراءة

ألقى د. حسن الهويمل محاضرة بعنوان:(تجاربهم في القراءة) وذلك بمركز الملك عبدالعزيز التاريخي بالرياض بتاريخ ٨ محرم ١٤٣٢هـ، ضمن فعاليات المشروع الوطني الثقافي لتجديد الصلة بالكتاب التي تقيمها مكتبة الملك عبدالعزيز العامة. وتحدث فيها عن تجربته الخاصة في القراءة منذ مراحل حياته الأولى.

لجنة الأدبيات: د. بتول حاج أحمد:

اجتماع الأدبيات بدار الدكتورة رجاء عودة

اجتمعت لجنة الأدبيات في الرابطة بالرياض بدار رئيسة لجنة الأدبيات بالرابطة الدكتورة رجاء عودة. وكان لقاء جامعا ضم : أ.د وسمية المنصور، ود. رجاء عودة، ود. مباركة بنت البراء، ود. بتول حاج أحمد، ود. وداد نوفل، ود.نهلة إمام، ود.شادن أبو صالح، ود. سمية الرومي، ود. دالية سعودي، وأ. فاطمة أديب صالح، وأ. مؤمنة أديب صالح، ود. جمانة محمد خير الغلاييني، ود. براء محمد خير الغلاييني، وأ. آلاء الشويعر، وأ. أريج محمدخير الغلاييني وأ. أروى محمد خير الغلاييني. قدمت في اللقاءمشاركات أدبية ثرة شملت بحثين في الترجمة أحدهما للدكتورة دالية سعودي بعنوان:«أثر الترجمة في إثراء اللغة العربية»، والآخر للدكتورة نهلة إمام، أما الدكتورة سمية الرومي فقدمت قراءة لنموذجين قصصيين، وقدمت الدكتورة وسمية المنصور دراسة حول تفسير آيتين في سورة البقرة . وكان للشعر مساحة رحبة قدمت فيها قصائد من اختيار الدكتورة رجاء عودة، والدكتورة بتول حاج أحمد، والدكتورة شادن أبو صالح. كما شاركت بعض الشاعرات ببعض نتاجهن على النحو الآتي : قصيدتان للدكتورة وداد نوفل، وقصيدة للدكتورة مباركة بنت البراء، وقصيدة للأستاذة مؤمنة أديب صالح.

وفي نهاية اللقاء تم توزيع عدد من الجوائز على الأدبيات اللاتي أسهمن ببعض النصوص الأدبية.

ملتقى الإبداع الأدبي للشباب

أقام المكتب الإقليمي للرابطة بالرياض ملتقى الإبداع الأدبي للشباب بتاريخ ١٤٣١/١/٩هـ. وشارك فيه عدد من الأدباء بالنصوص الشعرية والقصصية.

فقد شارك كل من الشعراء : إبراهيم النعيمي، وعبدالله البهلال، وعماد علي قطري، ومرعي محمد القرني، وحيدر البدراني، وعبدالمنعم الجاسم بقصائدهم التي لقيت اهتمام الحضور، وكانت محل تجاذب في الآراء من حيث الجودة الفنية والمضمون، وكانت القصائد على النمط الخليلي ما عدا قصيدة حنين إلى النيل لعماد قطري، وقصيدة د. وليد قصاب (وجهي القديم) اللتين جاءت على التفعيلة.

وأشاد د. وليد قصاب بشاعرية عبدالله البهلال وعماد قطزي خصوصاً، من حيث الأسلوب والصور مع أن قصيدة قطري تميل إلى الرمز، وقصيدة البهلال تميل إلى الوضوح.

وكان موضوع الغزل، ورثاء الآخر محل تداول الرأي بين الحضور حيث يمثل الموت أكبر حقيقة في الحياة.

وشارك في الملتقى ياسين عبدالوهاب بقصة (الميناء) التي جاءت أفضل من مشاركاته السابقة، وألقى الطفل أحمد ذو الغنى خطبة قس بن ساعدة المشهورة، نموذجا لتدريب الناشئة على مواجهة الجمهور وإتقان أدوات الإلقاء.

وأدار اللقاء الأستاذ محمد شلال الحناحنة.

مجلة الأدب الإسلامي الإلكترونية

صدر العدد الأول من مجلة الأدب الإسلامي الإلكترونية عن رابطة الأدب الإسلامي، وفيها مواضيع متنوعة من المقالات والشعر والقصة لكتاب من بلدان مختلفة من العالم العربي والإسلامي.

ندعوكم لقراءتها والتعليق على موضوعاتها،وتقديم اقتراحاتكم لتطويرها من خلال الموقع الإلكتروني لرابطة الأدب الإسلامي العالمية على الرابط الآتي:

http://www.adabislami.org/magazine

أسهموا في نشر الموقع الجديد لرابطة الأدب الإسلامي العالمية حيث يمكنكم قراءة مجلتنا الفصلية وآخر أخبار الأدب الإسلامي ورابطته.

المسابقة المنبرية الشعرية الثانية

في إطار الفعاليات التي يقيمها النادي الأدبي بالرياض لتشجيع المبدعين من الشعراء وكتاب القصة تم تنظيم المسابقة المنبرية الشعرية الثانية، وفاز فيها عضو الرابطة الشاعر محمد عبدالله عبدالباري بالجائزة الثالثة. وشارك في المسابقة من أعضاء الرابطة أيضا الشاعر سعود سليمان اليوسف، ومعاذ الهزاني، وألقى الفائزون عددا من القصائد المتميزة في حفل توزيع الجوائز.

والفائزون الآخرون هم: الأول حسن عبده آل صميل، والثاني آسية العماري، والرابع أحمد محمد كامل سلامة، والخامس جاسم عساكر. ويستعد النادي لإقامة المسابقة الثالثة.

مكتب اليمن - صنعاء

دور الهجرة النبوية في تاريخ البشرية

د. أحمد قطران

أحمد هادي جميل

ضمن أنشطته الدورية أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية باليمن مساء الأربعاء ١٤٣٢/١/٢هـ الموافق ٢٠١٠/١٢/٨م ندوة عن الهجرة النبوية ودورها في تغيير تاريخ البشرية .

تحد ث فيها كل من د. أحمد قطران عضو الرابطة، والأستاذ أحمد هادي جمال الدين عضو المكتب عن دور الهجرة في تغيير مسار التاريخ البشري حيث تحدث كيف أنه مع الهجرة انتقلت الدعوة من مكة إلى المدينة المنورة، كذلك الانتقال الحضاري للمجتمع لأن الدور الكامل للإسلام كان في المدينة حيث الفضاء الواسع للانتشار بعيدا عن المضايقات التي كان يلقاها في مكة .

وذكر الأستاذ أحمد هادي بأن الهجرة كانت هجرة حرية وهجرة قيم كما ذكر دور المسجد في التغذية الروحية للمجتمع المسلم ليفيض بالخير للآخرين ، وكذا العهد الديني للآخرين وهذا يدل على قبول الإسلام للآخر وعلى سعة صدر الإسلام للآخرين ودور المؤاخاة في تاريخ المجتمع البشري الإسلامي .

مكتب الهند - إقبال أحمد الندوي:

المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الهند
يعقد اجتماعاً أدبياً حول المكانة الشعرية
للشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي رحمه الله تعالى

رأس سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي الجلسة الافتتاحية لندوة أدبية عقدها المكتب الإقليمي الهندي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في مدينة إله آباد تحت رعاية دار المعارف الإسلامية في ٢٣/ نوفمبر ٢٠١٠م، بعنوان «المصلح الجليل والشاعر الكبير الشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي ومكانته الشعرية»، وقال الشيخ محمد الرابع الندوي: إن الأدب الحامل للفكرة الغربية قد أضر بالأدب الإسلامي بصورة خفية، فقد تسلط أصحاب هذه الفكرة على الأدب وجعلوه خارجاً من إطار المعاني الطيبة والدين، وبذلك لزم علينا مكافحة هذا الوضع وتقديم الأدب الهادف البناء أيضاً.

وسلط سماحة الشيخ محمد الرابع الندوي الضوء على المكانة الشعرية والأدبية للشاعر الزاهد الشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي رحمه الله تعالى الذي عقدت الندوة لبيان براعته الشعرية، فقال: إن كلامه لم يتقيد بالصناعة اللفظية

محمد الرابع الندوي

محمد واضح الندوي

والزخارف الكلامية، فقد كان يهدي كلامه إلى القلوب، فكان كلامه شراباً طهوراً للحب والمعرفة.

وقدم الشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي أمين سر مكتب رابطة الأدب الإسلامي في الهند تقريرا استعرض فيه نشاطات الرابطة وأعمالها، وقد قرأ هذا التقرير الشيخ نذر الحفيظ الندوي نيابة عنه، وقال في تقريره: إن الشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي رحمه الله كان أديباً كبيراً وشاعراً ملهماً بجانب كونه مصلحاً عظيماً ومربياً كبيراً، وفي شعره تمثيل لمشاعر القلب وتصوير لعواطفه.

وقال الشيخ محمد واضح الندوي وهو يذكر مكانة الشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي في الأدب والشعر: كانت أبياته يضرب بها المثل كمواعظه ووصاياه، وقد طبعت مجموعة قصائده باسم «عرفان محبت» ونالت رواجاً وقبولاً كبيراً من عامة الناس وخواصهم، وقد أشاد بهذه المجموعة عدد من الأدباء والعلماء، منهم سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية سابقاً.

وقدم الشيخ مقبول أحمد القاسمي مدير دار المعارف الإسلامية كلمة ترحيبية نيابة عن والده الجليل والمربي الكبير الشيخ محمد قمر الزمان الإله آبادي رئيس

لجنة الاستقبال ورئيس دار المعارف الإسلامية رحب فيها بالمندوبين والحضور والمستمعين.

وقال البروفيسور شمس الرحمن الفاروقي وهو من كبار أدباء اللغة العربية ونقادها في العصر الحاضر: إن الواقع أن عقد مثل هذه الندوة الأدبية للمكانة الشعرية للشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي ليس بدعاً من الأمر، فلقد كان الحديث عن سوانح النفس في الحب الإلهي وحب النبي صلى الله عليه وسلم عادة متبعة في السابق، وكان أصحاب العاطفة الدينية من كبار الشعراء يعالجونها بشعرهم الرقيق، وقد لقيت أخيراً إعراضاً من المهتمين بقول الشعر، فكادت تموت في هذه الأيام ولكنكم أحييتموها بعقد هذه الندوة.

وبعد الجلسة الافتتاحية بدأت جلسة البحوث والمقالات برئاسة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي ومدير دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ، ثم عقدت الجلسة الثانية للبحوث بعد صلاة المغرب تحت رئاسة الشيخ محمد قمر الزمان الإله آبادي، وقدمت في الجلستين أكثر من عشرة بحوث، وكان من أهمها بحث الدكتور سعيد الأعظمي الندوي، والدكتور تابش مهدي من دلهي، والبروفيسور ظفر أحمد الصديقي من جامعة علي كره الإسلامية، والدكتور عبد القادر الجعفري من جامعة إله آباد، والمفتي زين الإسلام نائب المفتي بدار العلوم ديوبند، والشيخ سلطان الهدى الندوي الأستاذ بدار العلوم ندوة العلماء، والشيخ اصطفاء الحسن الندوي الأستاذ بدار العلوم ندوة العلماء، والشيخ محمد اشتياق القاسمي المدير العام لدار العلوم المركزية بدلهي. ومعظم هذه البحوث كانت تدور حول شعر الشيخ محمد أحمد البرتاب كرهي وخاصة ديوانه «عرفان محبت».

التعبير الاصطلاحي وطبيعته المجازية بين الثقافة والأداء

أقام كرسي بحث صحيفة الجزيرة للدراسات اللغوية التطبيقية الحديثة الورشة التطبيقية الأولى في مشروع التعبيرات الاصطلاحية بعنوان:«التعبير الاصطلاحي وطبيعته المجازية بين الثقافة والأداء»، قدمها كل من الأستاذة الدكتورة وسمية المنصور أستاذ النحو والصرف في جامعة الملك سعود، والدكتورة وداد نوفل أستاذ مشارك في البلاغة العربية في جامعة الملك سعود، وذلك يوم الأربعاء الموافق ١٩ ذي القعدة ١٤٣١هـ في جامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن بالرياض.

الحج نفحات إلهية ولمحات أدبية

أصدر منتدى الأدب الإسلامي بالمركز العالمي للوسطية بدولة الكويت نشرة خاصة بمناسبة موسم الحج للعام ١٤٣١هـ، بعنوان: «الحج نفحات إلهية ولمحات أدبية».

وقال مدير منتدى الأدب الإسلامي ونائب رئيس اللجنة العليا للأدب الإسلامي الأستاذ أحمد هاشم العلوي: إن النشرة جاءت ترجمة لحرص المنتدى على دعم منظومة القيم المجتمعية، وتكريس رسالة الأدب الإسلامي الهادف في معايشة المناسبات الإسلامية المختلفة.

مكتب الأردن - عبدالله أبو دهاك

السمحان في أمسية شعرية

أقامت جمعية الأدب الإسلامي في الأردن يوم السبت الموافق ٩ /١٠/ ٢٠١٠ م، أمسية شعرية للشاعروالناقد أ. محمد السمحان، قرأ فيها عددا من قصائده الشعرية والإسلامية التي نالت إعجاب الجمهور من خلال التفاعل والمداخلات والتعليقات. وقد أدار الأمسية الشاعر والأديب محمد المشايخ.

البشتاوي يحاضر عن الإعجاز العلمي في الآيات القرآنية

أقامت جمعية الأدب الإسلامي في الأردن يوم ١٦/١٠/ ٢٠١٠ م، محاضرة علمية للمهندس حاتم البشتاوي قدمه فيها د. محمد زكي خضر، تحدث فيها عن الإعجاز العلمي في الآيات القرآنية التي عرض فيها للبحر وأحيائه، مبينا الملخلوقات التي تعيش في البحر وأهميتها للإنسان.

الساريسي يحاضر عن شوقي وفلسطين

أقامت جمعية الأدب الإسلامي يوم السبت ٣٠/١٠/ ٢٠١٠ م، محاضرة أدبية للدكتور عمر الساريسي قدمه فيها أ. علي الكيلاني بعنوان (شوقي وفلسطين). عرض المحاضر شعر شوقي في المدن العربية والإسلامية، مثل: الآستانة وبيروت، ودمشق وبرقة، طرابلس، وبغداد . وكيف أنه أجاد في التعلق فيها، لكنه لم يقل قصيدة واحدة في فلسطين أو القدس، وهذا أمر يدعو إلى التفكير والبحث عن الأسباب.. ألم يسمع شوقي بثورة البراق عام ١٩٢٩ م وما صاحبها من إعدامات للأبطال والمجاهدين.

سورية يا حبيبتي للشاعرة هيفاء علوان

في أمسية شعرية عقدت في جمعية الأدب الإسلامي العالمية في عمان ،يوم السبت الموافق ١١/١٢/ ٢٠١٠ م ألقت الشاعرة هيفاء علوان عددا من قصائدها وقدمتها الأديبة هيام ضمرة ، وقد استهلت الشاعرة قصائدها بقصيدة (يا صبر صبرا) وهي ترثي زوجها الأديب محمد الحسناوي رحمه الله ، وكان لها وقع شجي في قلوب الحضور ، وختم قصائدها بقصيدة (سوريا حبيبتي) علما أن الشاعرة ذات أصول سورية ، بقيت متعلقة بأصولها وذكريات طفولتها، وقد أبدى الجمهور تفاعلا ممتازا مع قصائد الشاعرة .

من نشاطات أعضاء الرابطة:

د. وليد قصاب في المنتصف

استضافت قناة الثقافية السعودية الأستاذ الدكتور وليد قصاب في البرنامج الأدبي (المنتصف)، وذلك يوم الأربعاء ١٨ ذي الحجة ١٤٣١هـ الموافق ٢٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٠م. البرنامج الذي يمتد لساعة كاملة تحدث فيه د. وليد عن الأدب الإسلامي وتأصيله في القرآن والسنة النبوية، ومسوغات الدعوة إليه، وشبهات المعارضين للأدب الإسلامي وأجوبتها.

وتناول حديثه وسطية الأدب الإسلامي في الاهتمام بالشكل والمضمون، والاعتداد بالقديم والحديث، والموقف من المذاهب الأدبية الأخرى على اختلاف أنواعها. وأكد شمولية الأدب الإسلامي ووسطيته المستمدة من الإسلام الذي ينتمي إليه.

واستقبل البرنامج مداخلتين من كل من د. سليمان المنصور رئيس قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض الذي أشار إلى أهمية الأدب الإسلامي، وأن الالتزام فيه حد يجعله قابلا للنقد والقياس وليس قيدا يمنع المبدع من الانطلاق.

وكانت المداخلة الثانية من د. عبدالقدوس أبوصالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الذي تحدث عن العلاقة بين الأدب الإسلامي والأديب المسلم، وأجاب عن التساؤل الذي يقول: هل يشترط في إسلامية الأدب إسلامية المبدع؟! وقال: إن ما يبدعه غير المسلم يعد من الأدب الموافق للأدب الإسلامي.

أصغر عضو في رابطة الأدب الإسلامي في ضيافة قناة الثقافية السعودية

استضافت قناة الثقافية السعودية في ٢٥ من ذي القعدة ١٤٣١هـ، الموافق٢/ ١١/ ٢٠١٠م كلاً من: الأستاذ بدر بن محمد عيد الحسين رئيس لجنة أدب الأطفال برابطة الأدب الإسلامي العالمية، والمشرف على موقع (سند) الإلكتروني للأطفال.

والطفل أحمد بن أيمن ذوالغنى أصغر عضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو نادي الصحفيين بمجلة باسم، والطالب في الصف الأول المتوسط.

وذلك في برنامج (المنتصف)، على الهواء مباشرة. وكان عنوان الحلقة: أدب الأطفال أهدافه وأهميته.تقديم الأستاذ: سالم الخثعمي.

وقد شارك أحمد بن أيمن ذوالغنى بإلقاء قصة قصيرة بقلمه، وإنشاد مقطعين من معلقة زهير بن أبي سُلمى.

الحقيل وأنشطة أدبية وثقافية

- شارك الأستاذ عبدالله الحقيل عضو الرابطة في فعاليات حفل افتتاح سوق عكاظ في الطائف وندواته الثقافية خلال المدة من ١٩ - ٢٥ شوال ١٤٣١هـ.
- وشارك في الندوة العلمية لرابطة العالم الإسلامي بعنوان: (الربانيون وراثة النبوة وعظم المسؤولية) التي أقيمت في مدينة سيئون بحضرموت خلال المدة من ١٩-٢١ ذي القعدة ١٤٣١هـ، بمناسبة اختيار تريم عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ٢٠١٠.
- استضافت قناة الثقافية الأستاذ عبدالله الحقيل بتسجيل عدة أحاديث بعنوان: (رحلة الحج في عيون الرحالة والأدباء والمؤرخين).

إصدارات حديثة

■ دراسات أدبية ونقدية:

● انتصار الدم على السيف، د. حلمي محمد القاعود، مركز الإعلام العربي، ط١، القاهرة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

● الشعر الإسلامي العربي الحديث.. جماله ورسالته، د . إسماعيل إسماعيلي علوي، ط١، ٢٠٠٩م، مطبعة أنفو، فاس، المغرب.

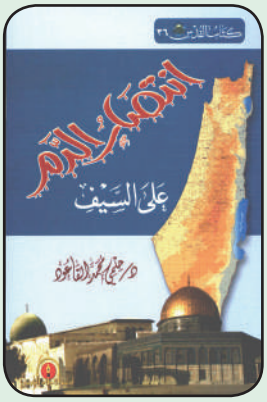

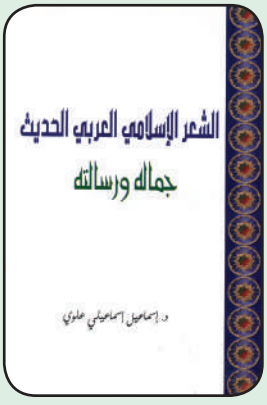

● ظواهر التجديد في قصيدة الأطفال في سورية، محمد قرانيا، نشر اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ط١، ٢٠٠٨م.

● الوافي في القوافي، تأليف ابن الفرخان، تحقيق د. عمر خلف، نشر دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة ، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

■ الشعر:

● شيء من الحب، سالم بن رزيق بن عوض، مطابع الحميضي، بالرياض، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

● صدر للشاعر محمد توكلنا عن مطبعة دار عكرمة في دمشق، ط١، ٢٠٠٩م، ديوانان شعريان هما:

١- هذه سبيلي، تقديم د. محمد راتب النابلسي.

٢ - عناد الريح، تقديم الأستاذ ماهر الهندي.

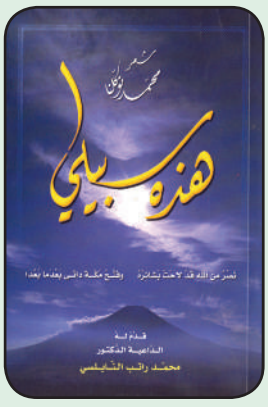

● ملحمة غزة، شيماء محمد توفيق الحداد، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، تقديم الشاعر سليم عبدالقادر.

■ من أدب الرحلات:

● رحلة إلى اليابان، عبدالله بن حمد الحقيل، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

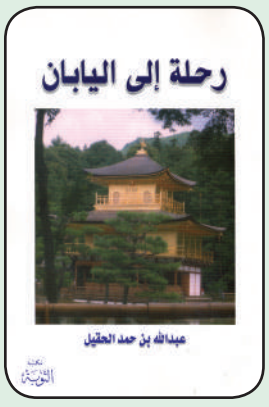

نتيجة مسابقة الرواية التي أجراها موقع الألوكة

أعلن موقع الألوكة الإلكتروني النتيجة النهائية لمسابقة الرواية التي أعلن عنها وتنافس فيها روائيون مبدعون من أنحاء العالم العربي، حيث بلغ عدد الروايات المشاركة ٢٤١ رواية، وشهدت منافسة شديدة، وتم التحكيم بالتعاون مع رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وفيما يأتي أسماء الفائزين، وفيهم عدد من أعضاء الرابطة.

الترتيب	عنوان الرواية	اسم الكاتب	الدولة	قيمة الجائزة	ملاحظات
١	حجبت لعدم ارتقاء المشاركات إليها			٦٥ ألف	
٢	حجبت لعدم ارتقاء المشاركات إليها			٤٠ ألف	
٣	سينا جوج	مأمون محمد المغازي	مصر	٢٥ ألف	
٤	أين رأسي	ابتسام شاكوش	سوريا	١٥ ألف	عضو الرابطة
٤ مكرر	أهازيجُ البِنْغال	أسامة الزيني	مصر	١٥ ألف	
٤ مكرر	أحلام برزخية	رائد أحمد غنيم	فلسطين	١٥ ألف	
٤ مكرر	العاشرة مساء	مها الجريس	السعودية	١٥ ألف	
٤ مكرر	العيون السود	د. نزار أباظة	سوريا	١٥ ألف	عضو الرابطة
–	ثمن الأحلام	أسامة الزيني	مصر	حجبت، لفوز روايته الأخرى بجائزة أعلى	
–	هواجس امرأة عانس	صورية المروشي	الجزائر	٥ آلاف ريال	عضو الرابطة
–	لأجل من ؟	صباح نوري محمد الضامن	فلسطين	٥ آلاف ريال	
–	لا يليق	محمد إبراهيم عبد الشكور	مصر	٥ آلاف ريال	
–	أخت على آخر الزمن	علاء سعد حسن	مصر	٥ آلاف ريال	عضو الرابطة
–	انعتاق	خيري حمدان	الأردن	٥ آلاف ريال	
–	ضفيرتان	د. حنان فاروق إبراهيم	مصر	٣ آلاف ريال	
–	الأمنية المنتظرة	أحمد شيخ مصطفى	سوريا	٣ آلاف ريال	
–	ليس للنشر	إياد الرجوب	فلسطين	٣ آلاف ريال	
–	لأجلك يا جهنّم!(الكفاح الجهنّمي)	زكريا النواري الفاخري	ليبيا	٣ آلاف ريال	
–	طريق الشوك	إبراهيم ذيب نافع الفقيه	الأردن	٣ آلاف ريال	
–	أبو زيد المبالي	بهيجة مصري إدلبي،وعامر الدبك	سوريا	٣ آلاف ريال	
–	أمطار العقوق	محمد عبد الغفار أحمد زقزوق	مصر	٣ آلاف ريال	
–	اعترافات الحجاج بن يوسف	محمد محمد السنباطي	مصر	٣ آلاف ريال	

المجلة مرجع قيم لقاصديها

أهنئكم على صدور العدد ٦٧ من مجلتكم القيمة - مجلة الأدب الإسلامي - الذي تكفل بتغطية أحداث وأخبار مؤتمر علي أحمد باكثير، الذي كان فخرا على جبين الرابطة، حيث التنظيم الجيد والحضور الثقافي والإعلامي البين، غير أنني بعد مطالعتي للعدد ساءني جدا قصور التغطية عن ذكر كافة أبحاث المؤتمر، واكتفائها بالإشارة إلى أبحاث الجلسات فحسب، فالمفترض أن المجلة تعد مرجعا للباحثين، وذكر الأبحاث - التي أغفلت التغطية ذكرها وتجاهلتها - يثري المجلة، ويعضد كونها مرجعا لمن أراد الاستزادة عن مسرح باكثير ورواياته وشعره...

فضلا عن أن في ذكر كافة الأبحاث تكريما لأصحابها الذين تنازلوا عن حقهم - وديا - في تقديم البحث للجمهور، نظرا لضيق الوقت، ولكثافة الأبحاث المقدمة التي تصل إلى ما يقرب الخمسين بحثا.

آمل منكم بوصفكم من القائمين على المجلة استدراك ما وقع، لتظل المجلة كما عهدناها مرجعا قيما لقاصديها، فالأبحاث لم يتأت وصولها للجميع من الراغبين وإن كانت قد نشرت. شاكرة لكم سعة صدركم ولطفكم واستجابتكم الكريمة سلفا.

د. سحر حسن أشقر - مكة المكرمة

● **الأخت الكريمة د . سحر حسن أشقر حفظها الله**

نشكر لك اهتمامك بالمجلة والرابطة وندواتها.

وبخصوص ما ذكرت من الأبحاث فقد تم نشرها في كتاب صدر عن اتحاد الكتاب العرب في القاهرة، وسيتم عرضه في عدد قادم في باب مكتبة الأدب الإسلامي في المجلة.

التحرير

أدعو إلى الاستفادة من آداب الشعوب الأخرى

أشكركم على إرسالكم عدد المجلة على بريدي الإلكتروني للمساهمة معكم، لقد قرأت فصول المجلة باستمتاع شديد حيث استأثرت موضوعاتها على اهتمامي، وليس لدي أية ملاحظات تذكر فيما يتعلق بجودة العمل، إلا أنني أدعو إلى الاستفادة من آداب الشعوب الأخرى في تثقيف القارئ المسلم، وتعزيز صلته بأدبه الأصيل، من خلال إجراء موازنة نقدية بين الأعمال الأدبية لتلك الشعوب والأعمال الأدبية التي يزخر بها الأدب الإسلامي، ففي ذلك مندوحة نحو تقريب الصلات الثقافية

والفكرية بين الشعوب العالمية والشعوب الإسلامية، وإغناء القارئ بالمعرفة والثقافة ، وتنمية إحساسه بعالمية الفكر الإسلامي لغة وأدبا ، كأن تعقد -على سبيل المثال لا الحصر- مقارنة أوموازنة نقدية بين المعاني التي وردت في إبداعات الشاعر الروسي بوشكين الشعرية والتي تتفق فطرة مع معاني الفكر الإسلامي الموظفة في إبداعات الشعراء والكتاب المسلمين ممن عاشوا في نفس المرحلة ، حيث ورد في منجزاته الفكرية ما يتطابق مع دعوتنا الأصيلة، ومناهل ثقافتنا، وذلك انطلاقا من أن تجارب الحياة قد تترك آثارا متشابهة في نفوس الناس ممن يتشابهون خلقا ومزاجا. وغيرها من الأعمال. فالانكفاء على ما لدينا من أعمال قد يقطع صلتنا بالعوالم الأخرى.

أصيلة السعدية - سلطنة عمان

مجلة البلاغ

أسبوعية - إسلامية - سياسية
تصدر عن مؤسسة دار البلاغ للصحافة والطباعة والنشر

أسسها عبدالرحمن راشد الولايتي

عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م

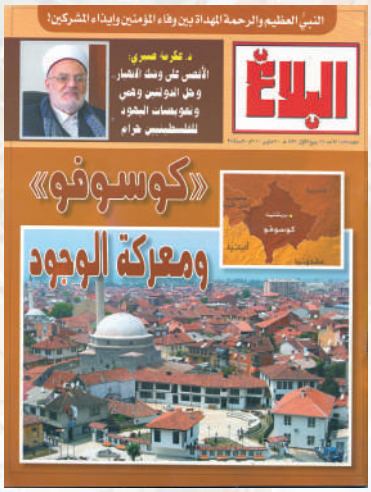

من أبواب المجلة:

- حديث الواقع
- محليات
- خليجيات
- الرأي الآخر
- كلمة حق
- حديقة البلاغ
- لقاءات
- قضايا سياسية
- البلاغ الاقتصادي
- العالم في أسبوع
- وقفات
- الأدب
- حتى نلتقي

الاشتراك السنوي:

٢٠ دينارا كويتيا للأفراد داخل الكويت ، ٢٥ دينارا كويتيا للأفراد في الدول العربية

٥٠ دينارا كويتيا للجهات الحكومية والشركات، ٧٠ دولارا أمريكيا للدول الأجنبية

المراسلات:

هاتف: ٢٤٨١٨٨٢٠ (٩٦٥)+ - فاكس: ٢٤٨١٢٧٣٥ (٩٦٥) + - ص.ب: ٤٥٥٨ الصفاة: ١٣٠٤٦ الكويت

الموقع على الإنترنت: www.al-balagh.com - البريد الإلكتروني: albalagh5@yahoo.com

ضريبة بالإكراه

محمد سعيد المولوي- سورية

ما سأخطه ليس رواية عن أحد، أو حديثا عن فلان أو غيره بل هو حادث شخصي خضعت له منذ بضع سنوات.

اتصل بي ابن عم لي وقال: كنت في مراجعة لوزارة المالية وسئلت عنك، وقالوا: إن عليك ضرائب كثيرة، وقد أبلغوك على صفحات الصحف عدة مرات.

وعجبت من قوله، فمن أين تترتب عليّ الضرائب؟ وما هو العمل الذي يستلزم هذه الضرائب؟، واستفسرت عن فرع الدائرة المطالبة.. وذهبت إليهم.

دخلت الغرفة المطلوبة فإذا أربع سيدات قد تصدرت كل واحدة مكتبا، وبدا أن من كانت في صدارة الغرفة هي المديرة.

سلمت ثم قلت: أخبرني ابن عمي أنكم تريدونني وأنكم بلغتموني على صفحات الصحف.

بادرت الموظفة المديرة بسرعة وكأنها قد لقيت لقيا وبصوت مرتفع قالت: أين أنت يا أخي؟؟ لقد بلغناك على صفحات الصحف ثلاث مرات، وقد تضاعفت الضريبة ثلاث مرات..

قلت: أية ضريبة؟! ومتى بلغتموني.. ومن أين لكم عندي ضريبة..؟!

قالت: عليك ضريبة مقدارها ستمئة وستون ألف ليرة..

كاد قلبي يقف وقلت مستنكرا: وكيف حصلت هذه الضريبة؟!

أجابت: أنت وردت لوزارة الدفاع آلات صناعية ومواد أخرى..!!

قلت: كيف ذلك، فأنا ليس عندي محلات تورد عُدَدا صناعية لوزارة الدفاع!!!

قالت: بلى، واسمك وارد في القوائم المرسلة من الوزارة..

قلت : يا أختي أنا مدرس متقاعد ، ليس عندي محلات ولا بضائع، وأنا أدفع ضريبة البيت في أول شهر من كل سنة.. فمن أين هذه الضرائب؟!!

قالت: لا أعرف، اسمك وارد في قوائم الموردين للوزارة، وستدفع المبلغ ستدفعه..!

قلت: هل القضية : زنّاه فَحَدَّه؟!

وسألت: الذي يورد إلى وزارة الدفاع ألا يفترض أن يكون مسجلا في إحدى غرفتي التجارة أو الصناعة وأن يقدم «فواتير» نظامية؟؟!! فهل عندكم مثل هذه الفواتير؟ وهل عندكم رقم غرفة تجارة أو غرفة صناعة؟!

قالت: لا.. وعليك أن تذهب إلى وزارة الدفاع وأن تبحث عن غايتك. وإلا فإننا سنحجز على أموالك المنقولة وغير المنقولة.

وخطر لي خاطر فقلت: هذه الضريبة باسم من وردت في القوائم؟

فأجابت : باسم محمد سعيد مولوي.

وقلت: هذا ليس أنا. فأنا محمد سعيد المولوي وهذه بطاقة هويتي، فابحثوا عن محمد سعيد مولوي..

وصدمت الموظفة مما قلت.. وقالت: ألست أنت هو؟!

قلت: لا..

قالت: أتكتب إقرارا بذلك؟

قلت: أكتب..

قالت: إن كان هذا الأمر خلاف ذلك فإن الضريبة ستتضاعف!!

قلت: إن كان الأمر كماتقولين فضاعفي أضعافا كثيرة، وضعي ما شئت من الغرامات والعقوبات القانونية والجزائية والمالية..

وعادت لتقول : ولكنك ستدفعها..

وقلت: أهو جزاء بالإكراه!؟

وكتبت الإقرار.. وانصرفت.

ومضت ثلاثة أشهر.. وجاءني أحد الأصدقاء وقال: لقد قرأت في الصحيفة تبليغا لك بمجموعة ضرائب.

ورويت له ما جرى فقال: اطمئن إن الموظفة المسؤولة أنا أعرفها،، وسأذهب إليها..

وذهب ثم عاد وقال: هل يمكن أن تكتب لنا إقرارا بأنك لست المعني..

قلت: قد كتبت.

قال: صدقت، لكن اكتب لي الإقرار..

فكتبت الإقرار.. ومضى إلى الموظفة وأخبرها أنه يعرفني تمام المعرفة وأنه لانشاط لي في العدد ولا غيرها. وأن الاسم خلاف الاسم..

قالت: خذ هذا التبليغ وأبلغه لمن تظن أنه المطلوب.

ومضى الصديق إلى دكان المطلوب فإذا هو قد مات منذ ثلاثة أشهر، وإذا أولاده قد اقتسموا المحلات والثروة، وما استلم أحد التبليغ.

ومضى زمن وأردت بيع سيارتي فإذا هي محجوزة لقسم الضرائب وحصة البيت التي ورثتها عن أبي.

وكلفنا هذا التصرف تعبا كثيرا وصبرا طويلا حتى رفعنا الحجز.. لكن أقول : لو أنهم أعطوني المحل الذي يورد البضائع للدولة لرضيت أن أدفع أضعاف الضريبة المزعومة ■

أدبنا والصورة المقلوبة

د . عبدالباسط بدر

إلى أي مدى تؤثر فينا الكلمة التي ينسجها أديب بارع؟ وهل يمكن أن تتجاوز أرض الحقيقة إلى الضلال؟

لاشك أن أي إنسان آتاه الله قدرا من الحس والتذوق يطرب للكلمة البليغة، وبخاصة إذا كانت مغموسة بوجدان قائلها، فبين القلوب نسب لا تخطئه النفس السوية، وهذه الروائع الأدبية في كل زمان ومكان تشدنا إليها، وتجعلنا نعيش صورها ومعانيها كما نبضت في أعماق أصحابها. ومازلنا، وسنبقى نعجب بعيون الأدب الجاهلي، وروائع حسان، وبدائع جرير والفرزدق، وفرائد المتنبي والمعري، وقل الأمر نفسه عن كتابات ابن المقفع والجاحظ والهمذاني وغيرهم من المبدعين.

ونحن، في الغالب، نستسلم لما يقوله المبدعون لأننا عندما نتذوق إبداعاتهم، وننشغل بعذوبة العبارات وروعة الصور، وقد لا نهتم بما يحمله المعنى من تناقض أو مخالفة للحقيقة، فالبيان الرفيع يتجاوز المحاكمات العقلية الباردة أو يخدرها.. وإن من البيان لسحرا..

وهنا منزلق خطير، كثيرا ما نتعثر فيه، عندما ينحرف الأديب إلى قضية خاطئة، أو يجرفه هوى مريض، فيحول بقدرته البيانية العالية الحق إلى باطل، أو يزور الباطل ويعرضه حقا خالصا، ويشد عواطفنا إليه. وهذه – ولاشك – محنة للأدب تفقده قدرا من مصداقيته، وتشعرنا بضرورة مراجعة مضمونه قبل أن يغمرنا الضباب

وفي تاريخنا الأدبي منزلقات عدة. خرج الأدب فيها عن أرض الحقيقة، ورسم صورا مقلوبة لأشخاص أسوياء، وربما، شوّه ذكرهم وطمس تاريخهم الحقيقي بسبب خصومات شخصية، أو غايات أنانية، أو هوى منحرف.. ومن هذه الصور المقلوبة تلك التي رسمها الأديب الساخر الأسعد بن مماتي للوزير النابه قراقوش بن عبد الله الأسدي

كان الأسعد. كما تقول كتب التاريخ والتراجم – نصرانيا من أقباط مصر، أسلم في عهد صلاح الدين وعمل في الدواوين. واستطاع بعلمه وأدبه أن يصل إلى مناصب رفيعة فيها، ولكن طموحه كان أكبر منها فانغمس في دسائس القصور، فكشفه الوزير قراقوش وحال دون نجاح مؤامرته، وكاد الوزير صفي الدين بن شكر أن يبطش به ففر مستخفيا إلى حلب، وبدأ هناك يصب حقده على غريمه الأكبر قراقوش فوضع كتابا أسماه:«الفاشوش في أحكام قراقوش» حشد فيه حكايات مختلفة عجيبة تصور قراقوش إنسانا مخبولا ظالما مضحكا، وعرضها بأسلوب ساخر.

والمدهش أن كتب التاريخ والتراجم تجمع على أن قراقوش هذا رجل فاضل عالم عاقل أخلص في خدمة صلاح الدين، وكانت عبقريته في الهندسة فذة، فقد خطط سور القاهرة، وأشرف على بنائه، وأنشأ قلعة صلاح الدين على جبل عال، وبنى القناطر الخيرية التي في الجيزة، وبلغ من رجاحة عقله أن صلاح الدين كان ينيبه في إدارة شؤون مصر حينما يغيب عنها، وعندما أسره الفرنجة في عكة افتداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار وفرح به فرحا عظيما.. وظلّ موضع حفاوة السلطان والشعب حتى وفاته، ولكن كتاب الأسعد بن مماتي نجح في هز صورته المشرقة بعد وفاته، ثم طمسها وحولها إلى حكايات مضحكة يتندر بها السمار.. ومازالت حتى اليوم واحدة من الأساطير الشعبية في بلاد كثيرة، ومازال الناس يضربون بقراقوش الأمثلة للظلم والانحراف والاضطراب فماذا يعني هذا كله؟

إنه يعني بالدرجة الأولى أن للكلمة قوة، وأنها قادرة على الإمتاع والإفادة، وقادرة في الوقت نفسه على التزييف والإضلال. وأن الأديب مؤتمن ومسؤول عن أمانته أمام الله أولا، ومن ثم أمام أجيال القراء.. وهذا يعني أننا في حاجة لمراجعة حقيقية للصورة المقلوبة في أدبنا لنتأكد : أهي في طبيعتها مضطربة يصدق عليها هذا الوصف المضحك؟ أم أنها مظلومة.. ظلمها بيان ساحر وظفه صاحبه في هوى شخصي ورغبات منحرفة.

International League Of Islamic Literature

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

www.adabislami.org وخول الموقع info@adabislami.org

إن واجب الدعوة إلى الله عز وجل عن طريق الكلمة الأصيلة الملتزمة، والسعي إلى تعزيز الأدب الإسلامي وانتشار الأدب المزور في العالمين العربي والإسلامي، كل ذلك وما بعض الأدباء الإسلاميين إلى التفكير في إنشاء رابطة

تجمع صفوفهم وتشدُّ كل واحد منهم بعضد أخيه، وترفع صوتهم، وتقفهم على واجبهم في التأصيل للأدب الإسلامي، ونقد المذاهب الأدبية العالمية ومناهج النقد الحديث، وإيضاح ما فيها من إيجابيات وسلبيات

زورونا على موقع الرابطة

WWW

adabislami.org

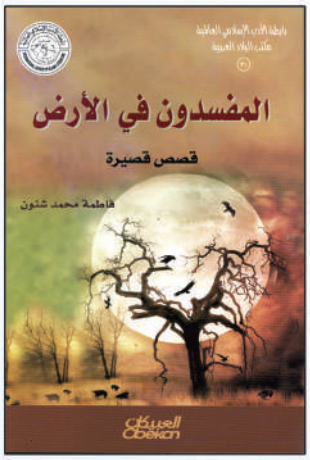

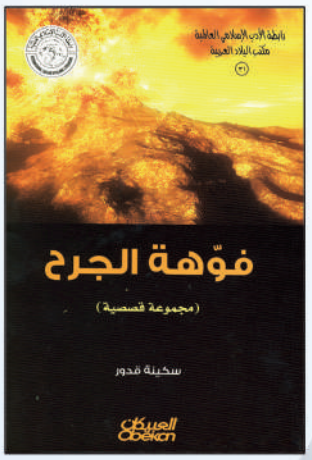

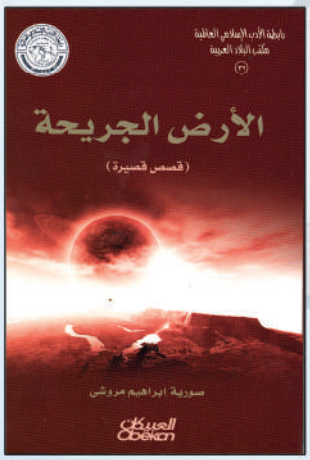

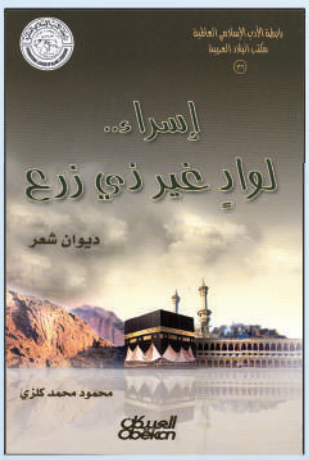

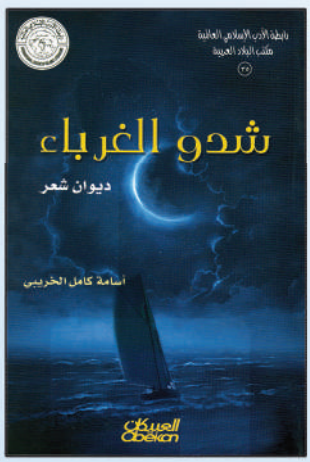

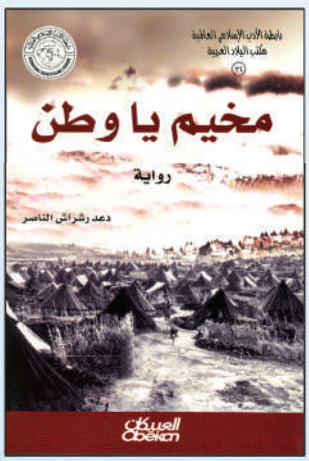

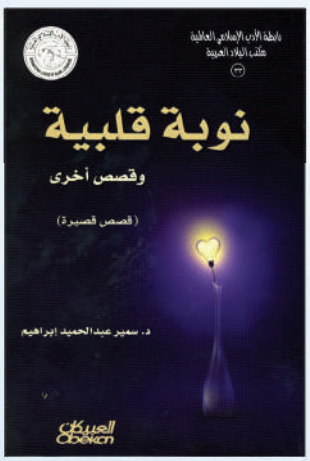

صدر حديثا

عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية :

- المفسدون في الأرض - قصص قصيرة
- فوهة الجرح - مجموعة قصصية
- الأرض الجريحة - قصص قصيرة
- نوبة قلبية وقصص أخرى - قصص قصيرة
- مخيم يا وطن - رواية
- شدو الغرباء - ديوان شعر
- إسراء.. لواد غير ذي زرع - ديوان شعر

تطلب من:

- مكاتب الرابطة في العالم..
- مكتبة العبيكان وفروعها في السعودية